تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٨٢ ـ ذو الحجة ١٤٠٢



المختار

من ريدرز دايجست

الغيرة دليل الحب؟

(ص ١٨)

السلاح: ديبلوماسية الحديد والنار

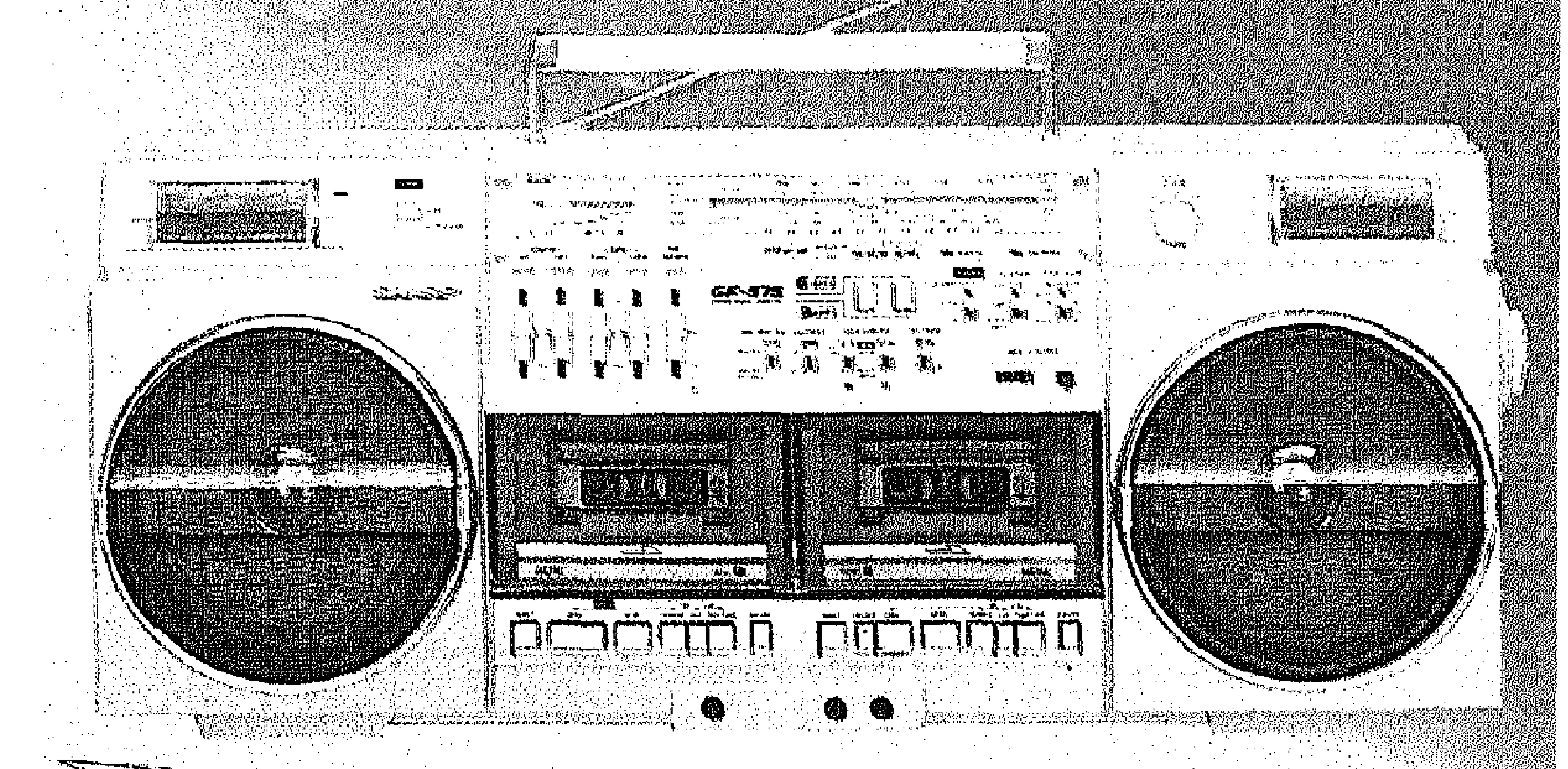
(ص ١٣)

الارهاق: لا تتجاوزوا الخط الاحمر

(ص ١٠٢)

لبنان ٥٠٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٧د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٧ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٧ر ـ مسقط ٦٠٠ب ـ العراق ٦٠٠ف ـ تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ أنكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وأمريكا الشمالية ٢,٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest October 1982 N° 47



إقتسم وقت دبلجتك إلى النصف.
ضاعف متعتك الموسيقية.

دبلجة شارب فائقة السرعة تجعلك مهندس التسجيل بنفسك.

لاعطائك متعة اكبر من موسيقاك ووقتا اكثر للاستمتاع بها انتجت شارب اول راديوكاسيت اوحد بدبلجة فائقة السرعة.
يمكنك الآن الدبلجة من شريط واحد لآخر واضافة او قطع موسيقاك المفضلة او الصوت من شريط مسجل سلفا. فان GF-575Z من شارب لا يقوم بجميع هذه العمليات فحسب بل يفعل ذلك في نصف الوقت !
مزيدا من الوقت للاستماع، والتحرير والاستمتاع ـــ «شيء اضافي» من شارب يعمل لاجلك.

• طاقة ذروة موسيقية ٣٢ وات • تشغيل الشريط ناعم اللمس • نظام ٤ مكبرات للصوت باتجاهين ١٦ سم • ضابطة منفصلة للنغم العميق/عالى الطبقة

ملحوظة :
قد تتالف المادة السمعية ـ البصرية من انتاج محفوظة حقوقة لا يجوز ان تسجل بدون تفويض من مالك الحقوق. يرجى الرجوع الى القانون المتصل فى بلادك.

GF-575Z



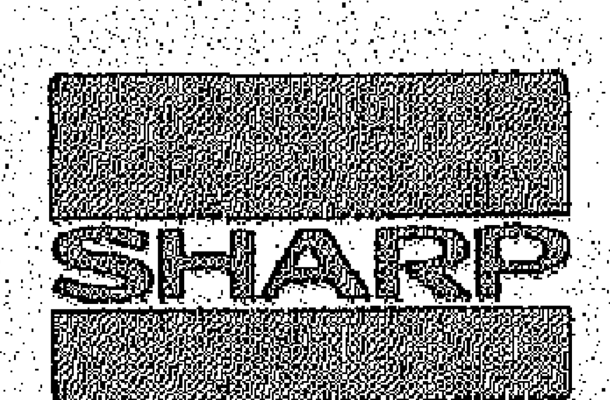


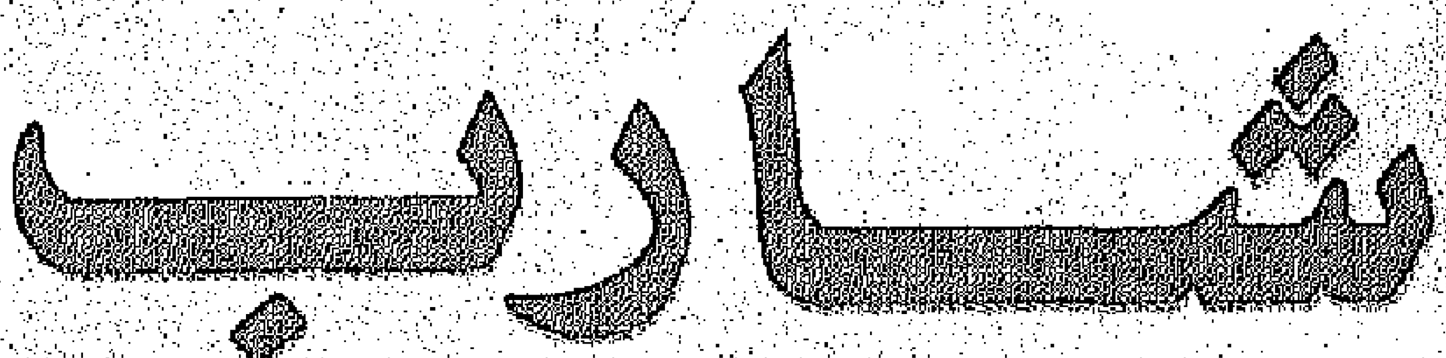
Soft-Touch
Soft Touch Operation





APPS





SHARP CORPORATION Osaka, Japan



اكتب واربح

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية٠

الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق٠ ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة٠

تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين٠

حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب٠

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين٠ على الا يتجاوز القول المأثور السطرين٠

السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية٠ وهذه كذلك يرجب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين٠

المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل٠

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة٠

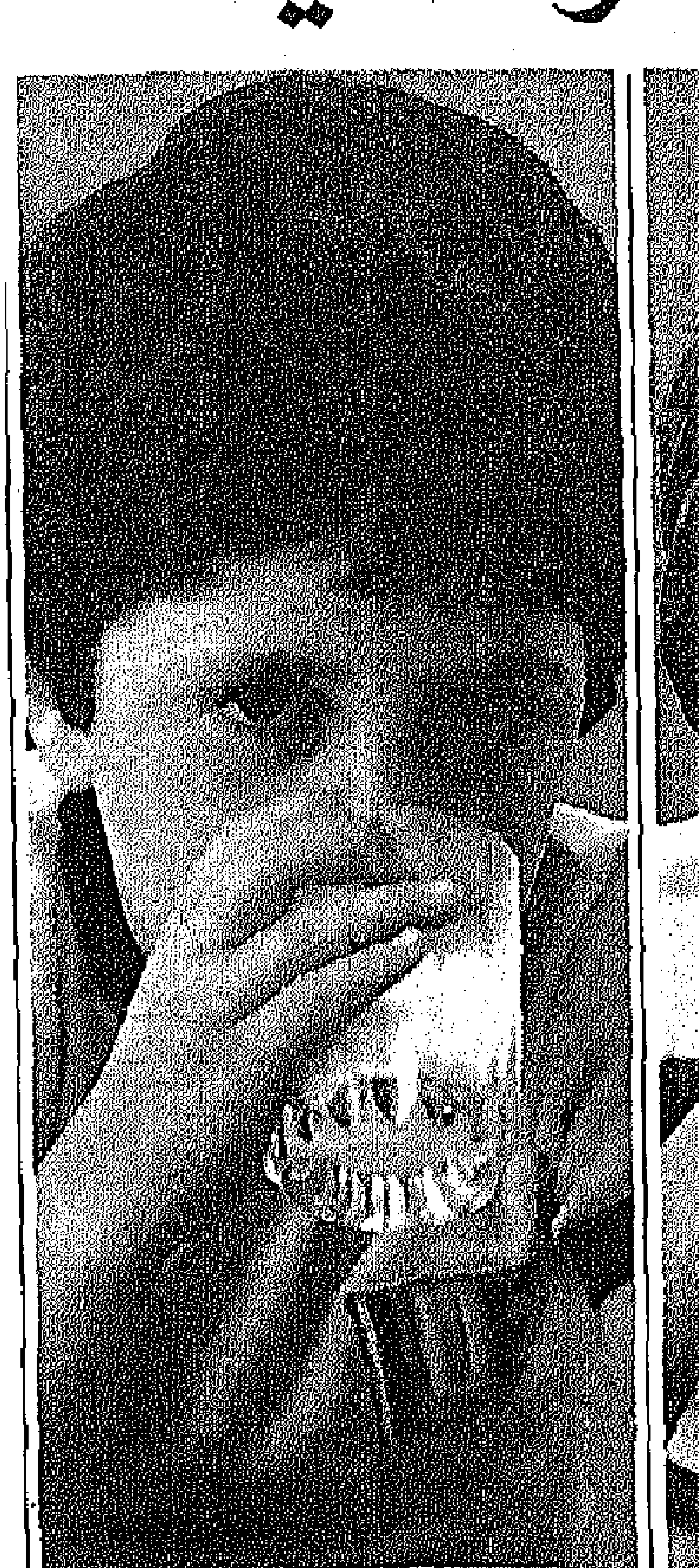
الشروط الشروط الشروط الشروط

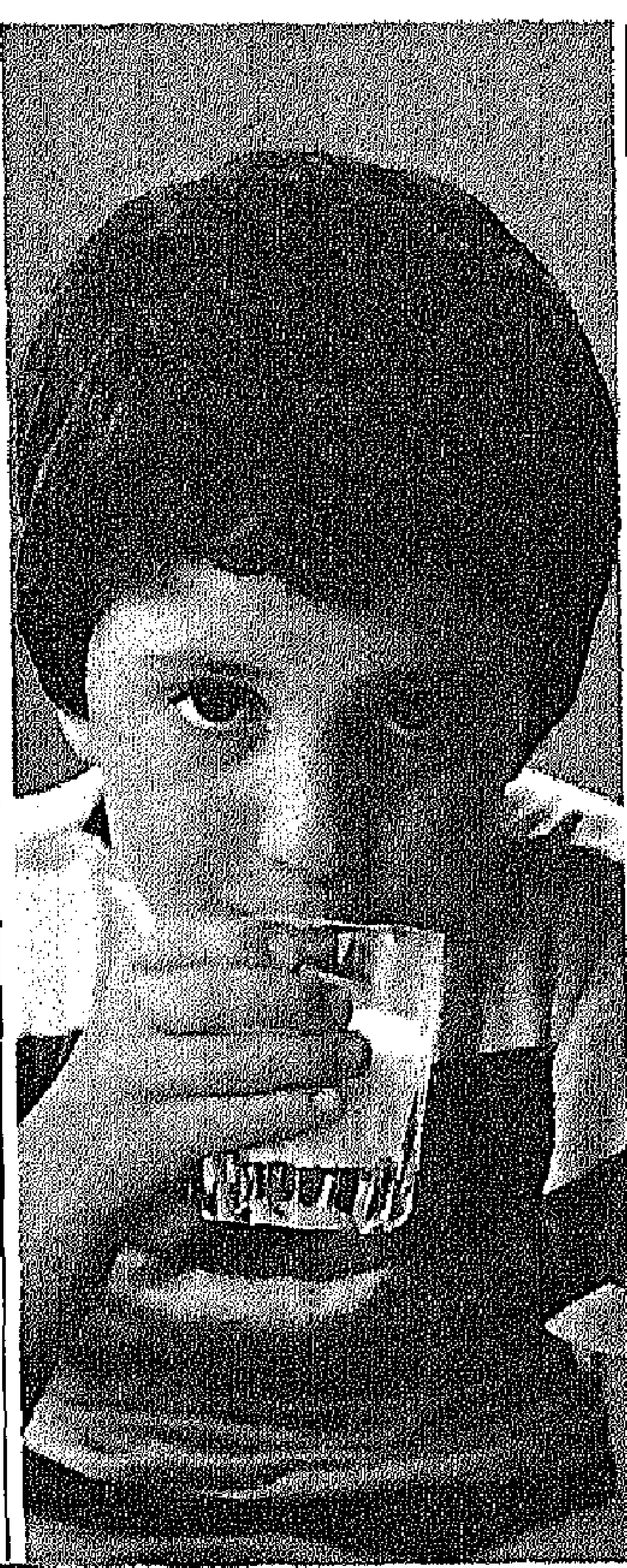
● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة، ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ٠٠٠) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد، ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن، ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية، ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر،

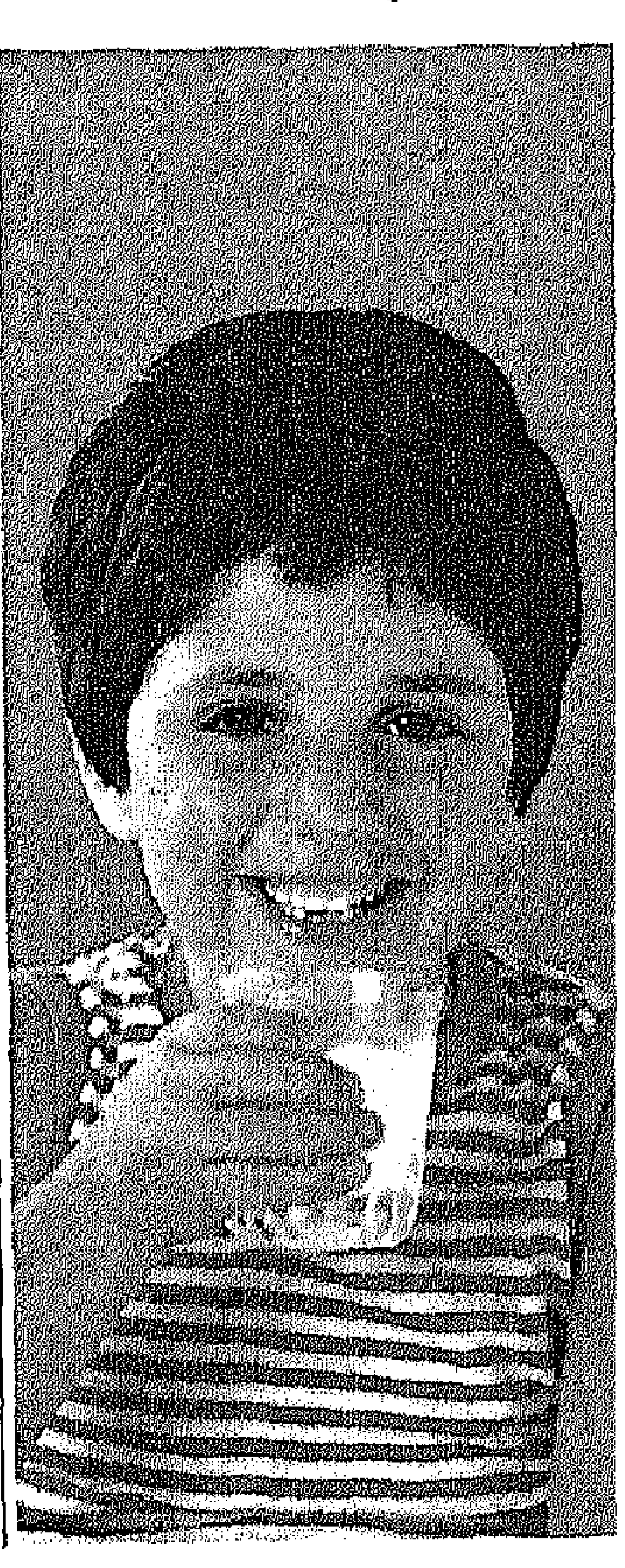
توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

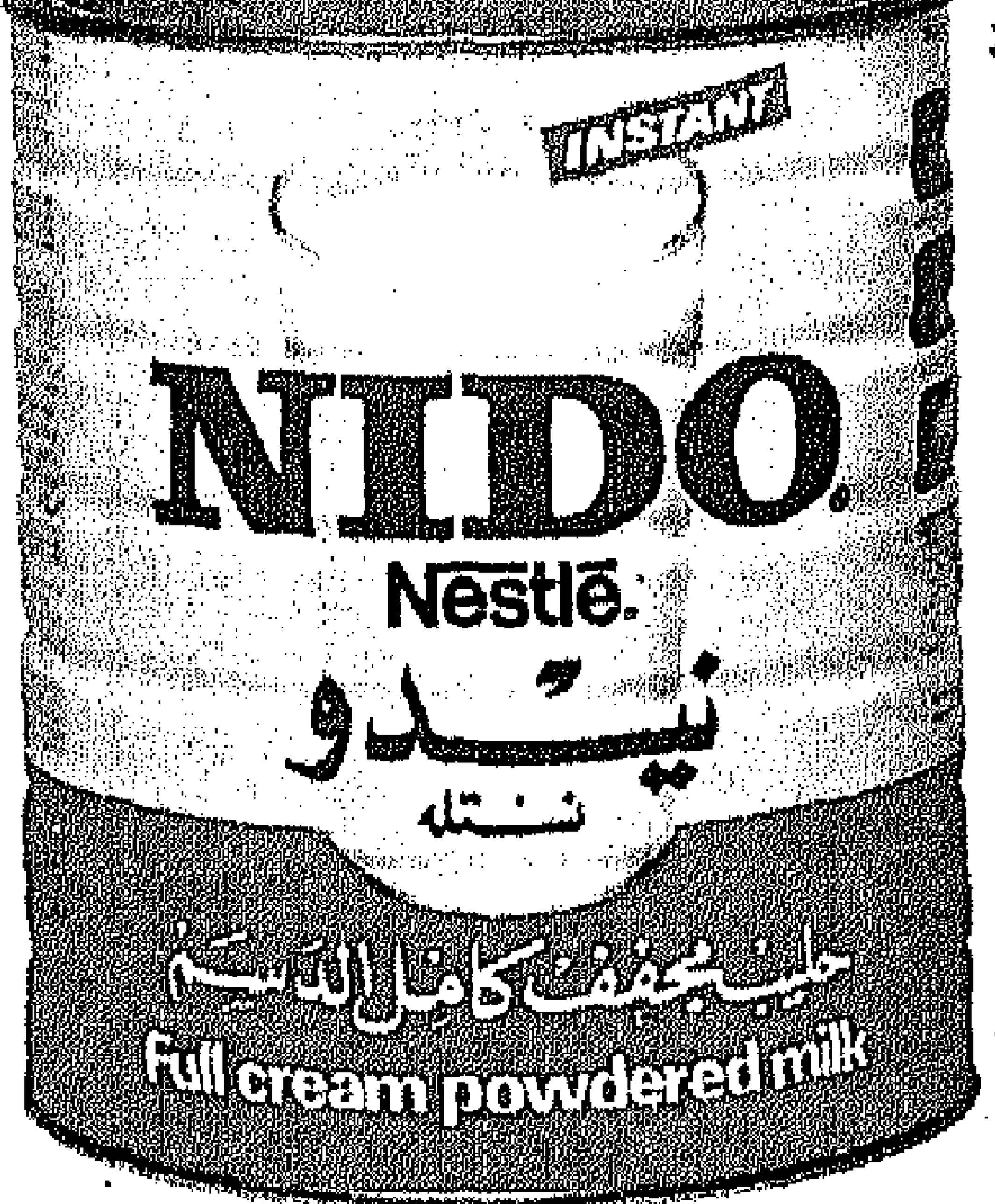
مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي
بناية الشرتوني ـ ص ب: ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان٠

أمِّنوا لأولادِكم نموًّا صحيحًا









نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًّا متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية.

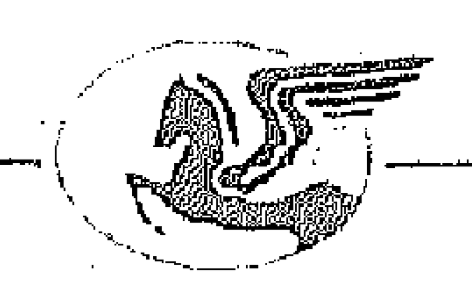
نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلاتٍ مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أيّ وقتٍ من النهار.

نيدو السريع الذوبان

لينمو اولادكم وينعموا بالعافية

تقدمة نستله **Nestlé**



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ« ريدرز دايجست »:
رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون، مدير التحرير: الان دوليو، المدير العام: جون أ. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، ص.ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (المؤقت) ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٠٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest, 37 Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، بيروت. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

تنشر « ريدرز دايجست » في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: ديوك (هيرنانديز ـ اسبانيا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
October 1982 N° 47 (New Series) Vol. 4



اكثر من ١٠٠ مليون يقراون « ريدرز دايجست » في ١٨٠ بلداً بـ ١٧ لغة.


PARKER
باركر أرو
تشكيلة متميّزة من أربعة أقلام
فخمة: قلم الحبر والرولر والحبر
الجاف والرصاص.
صُمّمت وصُنعت من أفخم المواد، بما
فيها الفولاذ المصقول المقاوم للصدأ،
والأسود الكاتم الرفيع، والتغليف
الذهبي، كلٌ من الاقلام تتجسّد فيه كل
ما يمثله إسم باركر: جودة لا تضاهى،
المتانة والجمال الذي لا يزول.
PARKER



الرّحلة المشؤومة

أقلع المنطاد في رحلة استكشافية فوق المحيط. واذ بلغ بقعة نفط مشبوهة دخل سحابة وخرج منها خالياً من ملاحيه

صباح الاحد في ١٦ اغسطس (آب) ١٩٤٢ كان ريكاردو كابوفيلا يتمشى على الشاطىء قرب سان فرنسيسكو (ولاية كاليفورنيا) عندما رأى على بعد ١٥ متراً منطاد مراقبة يجر حبلا طويلا على صفحة المياه. ولم تكن المحركات دائرة كما لم يظهر على المنصة اي ملاح.

اي منطاد هذا؟ امريكي ام ياباني؟ وصل المنطاد الى الشاطىء ودار قليلا في الهواء. ورأى كابوفيلا ما كتب عليه: "البحرية الامريكية ل ـ ٨" ولكن لم يهبط المنطاد هنا؟ وشكله لم يكن عادياً. كانت هناك جعدة في وسطه نتيجة انخفاض الضغط، وكأن عملاقاً داسه.

تدحرجت عجلة الهبوط الوحيدة على الرمال فارتفع المنطاد برفق وحلق فوق رابية عبر الطريق. ولم يلبث ان لامس الارض، وافلتت منه قذيفة عمق



مقياسُ الأناقة
RADO رادو
مقياس الاناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن
Mod. dép.

تدحرجت على الرصيف. وبعد تحرر المنطاد من هذا الثقل، قفز بسرعة الى ارتفاع ٣٠ متراً وانسل بعيداً عن انظار كابوفيلا الذي هرع الى هاتف قريب واتصل بالشرطة.

كانت السيدة هوراس ابلتون في مطبخها في ضاحية دالي قرب سان فرنسيسكو، عندما سمعت ما خيل اليها انه سلاسل ثقيلة تسحب فوق السقف. واظلمت الغرفة وسمعت السيدة صوت تسرب الغاز. وملأ منطاد كبير فسحة السماء التي تظهر من النافذة. وبينما هي تراقب هبوطه في الشارع العام امام منزل وليم موريس، انقطع سلك كهربائي وارسل شرراً في الهواء. وتدلى كيس الغاز على سيارة موريس.

تجمع رجال الاطفاء والشرطة ومراقبو الغارات الجوية وضربوا حزاماً حول المنطقة ليبعدوا حشداً متكاثراً من الناس. ثم تولت الامر وحدات من البحرية والجيش مزودة بالبنادق والحراب. واحدث الاطفائيون ثقوباً كبيرة في كيس الغاز كي يمنعوا المنطاد من التحليق ثانية. وتسلق الاطفائي توماس اوبراين المنصة، فلم يجد عليها احداً. واستغرب ان يرى مزلاج الباب مفتوحاً، ولم يكن قضيب السلامة الذي يسد المدخل في مكانه. وارتمت قبعة ضابط بحري على لوحة القيادة. وكان جهاز الراديو مفتوحاً وصالحاً وقد تدلى فوق الباب مذياع موصول بمكبرات الصوت الخارجية. وكانت مفاتيح اشعال المحرك في وضع التشغيل وخطوط الوقود مفتوحة والوقود متوافراً في الخزان.

هل توقفت المحركات؟ كانت مظلات الهبوط وقارب النجاة المطاطي في مكانها. ولم يكن اي شيء مكسوراً او ساقطاً او في غير موضعه. لا دم ولا ثقوب رصاص ولا رائحة بارود من المدفع الرشاش. وخلف احد المقاعد قبعت حقيبة القبطان الثقيلة المقفلة التي تحتوي اوامر سرية.

ولم يسفر البحث في البحر والجو عن العثور على اي اثر للطاقم المفقود، وبدا كأن افراده خطفوا من المنطاد وهو يحلق. ولكن كيف؟ ومن خطفهم؟ ولأي سبب؟ حتى هذااليوم لا يزال بلا جواب.

بقعة مشبوهة — كان المنطاد "ل — ٨" جزءاً من دورية مناطيد مراقبة دشنت في مارس (آذار) ١٩٤٢ كشبكة أمن لساحل كاليفورنيا تنذر بأي هجوم ياباني وتحدد مواضع الغواصات اليابانية وتغرقها. واطلقت الدورية وسط مخاوف محمومة من غزو ياباني.

وفي يناير (كانون الثاني) دمّر الزورق "تاهو" غواصة عدوة في وضح النهار قبالة فارالونز خارج جسر غولدن غايت في سان فرنسيسكو. وفي اليوم ذاته قصفت غواصة ناقلة النفط "اغويوورلد" قبالة ساحل سانتا كروز. وفي ٢٣ فبراير (شباط) طفت غواصة يابانية في قناة سانتا بربارة ودنت من الشاطىء واطلقت اكثر من ٣٠ قذيفة. وفي الثالثة صباح ٢٥ فبراير (شباط) اشتعلت المدافع المضادة للطائرات عندما حلقت طائرات مجهولة الهوية فوق لوس انجلس.

ولادة جديدة . اكبر و احسن و بافكار عصرية

هوندا اكورد الجديدة باربعة ابواب في متناولكم

هوندا اكورد التي تعرفون حازت نجاحاً المياً عند وضعها في الاستعمال منذ ست نوات اذ انها كانت السيارة المناسبة في وقت المناسب وجاءت لتلبي حاجات صحابها. أما هوندا اكورد الجديدة باربعة بواب فقد صنعت لجيل جديد يطلب سيارات وسع وفعالية اكبر واقتصاداً في الاستهلاك. هي صممت بمسافة اكبر بين محوري العجلتين امامية والخلفية، كما زيد عرض العجلات ملامس للارض، مما وفر اصابة اضافية. المساحة الداخلية كلها صالحة للاستعمال، كما ن الصندوق اكبر من القديم بـ٢٦،٥ في المئة هذا يعني راحة أكثر وحمولة اكبر.

اما المحرك، فهو موضع ثقة، يتحمل اكثر، مع قوة دفع على العجلات الامامية. وعلى رغم انه اقوى فهو يوفر في استهلاك الوقود، كما ان جهاز التعليق والفرامل قد حسن مستواها. والنتيجة: تحسن في الاداء والفعالية على كل المستويات وراحة اكثر تضاف اليها لوحة لاجهزة القياس ذات تجهيز كامل.

هوندا اكورد الجديدة اتساع، رحابة وتناسق تام ـ تماماً كما كنتم تطمحون اليها.

★ يختلف التجهيز في بعض البلدان



نتيجة لكل ذلك، شغلت دورية مناطيد المراقبة كنظام دفاع وانذار مبكر.

وكان المنطاد "ل - ٨" ذو المحركين ينتمي الى السرب الثاني والثلاثين. وهو جاب دائرة يبلغ شعاعها ٨٠ كيلومتراً. وكان طوله ٤٦ متراً واقصى امتداد لقطره ١٤ متراً وسعته ٣٤٨٠ متراً مكعباً من غاز الهيليوم. وكان مسلحاً بقنبلتي عمق ومدفع رشاش من عيار ٣٠ ميلمتراً. وطار من غولدن غايت الى فارالونز ثم الى بوينت ريس وحاذى الساحل عائداً الى الجسر. وكان يقوم بهذه الدورة بمقدار ما تسمح طاقته من الوقود البالغة ٥٧٠ ليتراً.

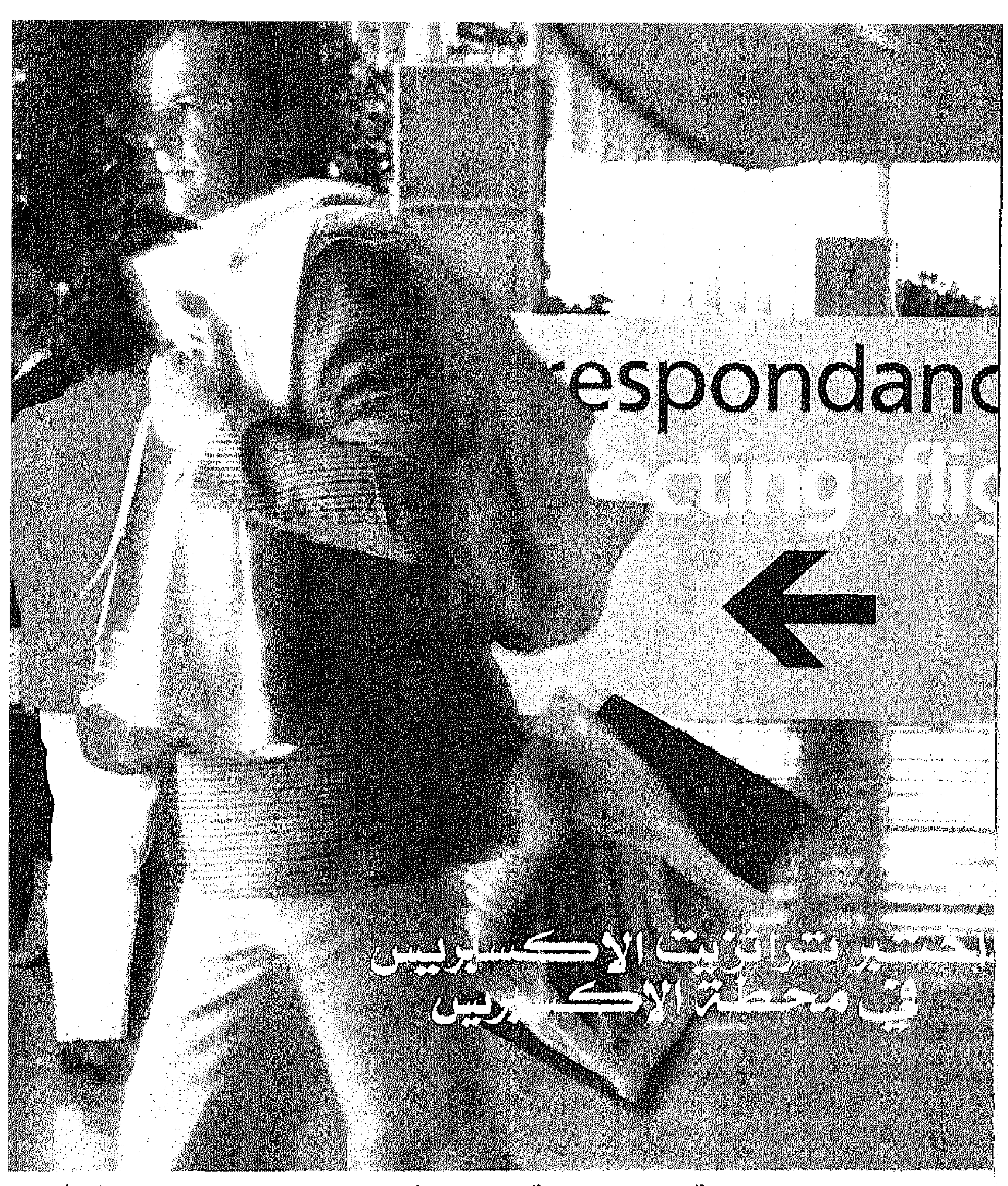
في ١٦ اغسطس (آب) قبيل السادسة صباحاً ادار ملاح ارضي في قاعدة "جزيرة الكنز" محركات "ل - ٨"، وفحص اجهزة القيادة واعاد فحصها لمدة ١٥ دقيقة. وبعد برهة وجيزة وصل ميكانيكي الطيران جيمس رايلي هيل وكشف على المنطاد قبل تحليقه. ثم اعتلى الملازم ديويت كودي المنطاد وتبعه الملازم تشارلز ادامز. وكان كودي (٢٧ سنة) احد افضل الطيارين في القيادة وقد سجل ٨٠٠ ساعة طيران في مناطيد غير صلبة. اما ادامز (٣٧ سنة) الذي فوض اليه بالامس فقط القيام بالمهمة بعد قضائه عشرين سنة كمجند، فقد حلق في كل انواع الطائرات والمناطيد البحرية وسجل قرابة ٢٣٠٠ ساعة طيراناً.

"ل - ٨" الذي سميت مهمته ذلك اليوم "الرحلة (١٠١" قطر الى المدرج الصغير. ووضع كودي قبعته على لوحة القيادة وحقيبته خلف مقعده، والقم المحركات. ثم التفت الى هيل وامره بمغادرة المركبة. وفتح الميكانيكي الباب وقفز الى المدرج ثم اغلقه خلفه، وراقب "ل - ٨" وهو يدرج مسافة ١٣٥ متراً قبل ان يرتفع ويتجه نحو جسر غولدن غايت.

في الساعة ٧،٣٨ اتصل قائد "الرحلة (١٠١" بجزيرة الكنز: "موقعنا على ستة كيلومترات شرق فارالونز. انتظر." وبعد اربع دقائق: "اني اتقصى بقعة نفط مشبوهة انتظر." وكانت هذه آخر رسالة ترد من "الرحلة (١٠١".

الباب المفتوح - قبل ذلك بلحظات رأى أ. باكمان، ربان السفينة التجارية "ديزي غراي" بقعتين من الدخان وبعض اللهب على سطح المياه تحت المنطاد مباشرة. واستنتج ان المنطاد القى اشارات تحذير. وفي الساعة ٧،٤٢، وهو الوقت الذي بثت "الرحلة (١٠١" رسالتها الاخيرة، رأى مراقب في السفينة التجارية "البرت غالاتين" المنطاد خلف "ديزي غراي" ببضعة كيلومترات وهو يسقط قنبلة دخان اشارة الى ان هناك غواصة تحته. واطلق القبطان سيروس براون صفارة الانذار ثم راقب المنطاد "ل ٨" يهبط ببطء الى ارتفاع تسعة امتار عن سطح المياه. ولم يرَ في البحر تحت المنطاد سوى علامات الدخان، واستنتج ان قائد المنطاد رأى حوتاً وهو يقوم بمناورة تدريبية. وحلق المنطاد واستقر على ارتفاع ٤٥ متراً، ودار حول سحابة الدخان ثم ارتفع ببطء نحو الغيوم.

وقبيل الحادية عشرة صباحاً كانت



الترانزيت الطويل، الشاق والبطيء يسرق
لك سعادة السفر. ولكن عندما تطير
آن على متن الخطوط الجوية الفرنسية
، باريس، ستستمتع بخدمة "ترانزيت"
ريع في محطة شارل ديغول ٢.
هناك، كل شيء مدروس ليجعل حياة
جل الاعمال أسهل. أقلّ وقت للوصل بين
صلة وأخرى هو ٤٥ دقيقة فقط،
ـد أسرع الاوقات ممّا يجعل من باريس
مخرجًا مثاليًا لـ ١٤٨ مدينة في ٧٣ بلدًا.
جداولنا وُضعت بشكل يخوّلكم دائمًا
إيجاد الوصل المناسب.

فإذا كنتم باقين في فرنسا، فالرحلات
للعواصم الاقليمية تقلع من المحطة
نفسها التي تصل اليها الرحلات العالمية.
نتغير الاوقات لتغيير الطائرات.
إذن للقيام بوصل فعّال بين رحلتين
ممتعتين، سافروا مع الفرنسية عبر باريس.

AIR FRANCE

الخطوط الجوية الفرنسية للترانزيت في باريس

طائرة لشركة بان اميريكان تحلق في المنطقة، فرأى قبطانها المنطاد على بعد حوالى خمسة كيلومترات من جسر غولدن غايت وهو يحلق على ارتفاع ثلاثين متراً وقد انتفخ على نحو كامل وبدا تحت سيطرة تامة. كما رآه قبطان الطائرة العسكرية "ب - ٣٨" في الوقت ذاته تقريباً، ولم يلحظ فيه اي امر غريب. وبعد دقائق، بينما كانت طائرة دورية بحرية تحلق على ارتفاع ٦٠٠ متر، ظهر "ل - ٨" الى يمينها. وسبح المنطاد الى جانب الطائرة برهة ثم دخل السحاب ثانية.

اول شخص رأى المنطاد بعد ذلك كان ريكاردو كابوفيلا.

لم تجد البحرية اي تفسير لتوقف محركات المنطاد. اما الباب فيحتمل ان يكون الملاحان فتحاه والا فكيف فُتح من الخارج؟ والدليل الغريب الوحيد على متن المنطاد هو ان مكبر الصوت للمذياع الخارجي حول الى وضع "تريث." فإما ان يكون كودي وادامز تكلما مع احد ما في الخارج واما انهما كانا يستعدان لذلك. ولكن مع من؟ واين؟ في الماء؟ على الشاطىء؟ في السحاب؟

كان هناك احتمال بعيد ان الرجلين سقطا من الباب المفتوح. ولكن لم تكن هناك ريح قوية ولا بحر هائج في ذلك اليوم. ولم يُشاهد اي منهما يسقط. ولم يعثر على جثتيهما في الماء او على الشاطىء.

وبعد انقضاء سنة اعتبر كودي وادامز متوفيين. وما زال اختفاؤهما لغزاً بعد اربعين سنة.

■ لاري انغلمان

※※※

الصوت والصورة

لماذا لا نتعرف على صوتنا حين نسمعه مسجلا على شريط، في حين نتصور أننا نميز وجهنا لدى رؤيته في مرآة؟

س.ه.

نادرة مصرفية

إنّ أيّاً من مصارف مدينة نيويورك الرئيسية لا يدين زبوناً عادياً مبلغاً كبيراً. لكن احدها فعل تلك المرة، ودين ٧٠ ألف دولار عن طريق أحد موظفيه الذي وقف، هو وزملاؤه، يصفقون للفتاة التي استدانت المبلغ.

وكان اسم الفتاة ديانا هالبرين، وهي عازفة كمان محترفة طلبت ذلك المبلغ لتسديد ثمن كمان من نوع "غوادانييني" الفاخر، بعدما امضت سنوات تجمع ما امكنها من ثمنه الاجمالي وهو ١٢٠ ألف دولار.

وحملت الكمان معها الى المصرف لاقناع موظف دائرة القروض بتلبية طلبها. ولما رآه سألها أن تعزف عليه. فأخرجته من علبته الانيقة، ووقفت خمس دقائق تعزف قطعاً من تشايكوفسكي وباغانيني، حتى غصت الغرفة بموظفي المصرف. وما ان انتهت حتى ارتفعت عاصفة من التصفيق ونالت الفنانة ما تريد.

صحيفة "نيويورك تايمس"


صَبَاح الخَيْر!
NESCAFÉ
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير.
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.
PI 2960

تجار الموت

تتهافت دول العالم اجمع على صنع الاسلحة وشرائها. فالى متى يبقى السلاح اداة ديبلوماسية؟

كان المنظر مروعاً: جنود مصريون يطلقون النار على الرئيس انور السادات برشاشات "كلاشنيكوف أك - ٤٧" السوفييتية (ثمن القطعة في السوق ٢٨٠ دولاراً) بعدما قفزوا من شاحنة "زيل" سوفييتية ايضاً (ثمنها ١٦٨٠٠ دولار). وفي المؤخر كانت دبابات أمريكية الصنع من طراز "م٦٠" (ثمن كل منها ١،٩ مليون دولار) تدرج في عرض للقدرة العسكرية المصرية، بينما ست طائرات "ميراج" فرنسية (ثمن الواحدة ٨ ملايين دولار) تحلق في تشكيلة متقاربة.

في بلدان عربية كثيرة عبّر الناس عن ابتهاجهم باغتيال السادات بأطلاق رشقات من رشاشات "أك - ٤٧" الاوتوماتيكية.

ان عشرة ملايين قطعة من هذه الرشاشات تتناقلها الايدي في انحاء العالم.

وقد اضحت تجارة السلاح الاداة الديبلوماسية الرئيسية بالنسبة الى الدول الكبرى والصغرى على حد سواء. فالدول الصغيرة لم تعد قانعة بشراء الفائض من مستودعات اسلحة الدول العظمى، بل اخذت تطلب الانواع المتطورة من كل شيء بدءاً بالطائرات المقاتلة وانتهاء بالبوارج البحرية. ان تجار السلاح، على رغم استنكارهم تكديس الاعتدة الحربية

Condensed from Time (October 27,'81), (c) 1981 by Time Inc., New York, N.Y.

وخوفهم من عواقبه، نراهم يتباكون مرددين الاغنية الحزينة القديمة التي طالما أنشدها تجار الرقيق في القرن التاسع عشر: "اذا لم نبع نحن، فسوانا سيبيع".

ان سوق السلاح العالمية، بكل تعقيداتها وعلاقاتها المتقلبّة، هي من اوسع اسواق العالم. ووفقاً لبعض التقديرات فقد تمت صفقات نقل بمبلغ ١١٦ مليون دولار خلال العام ١٩٨٠ وحده. وخلال العقد المنصرم قفزت مبيعات السلاح بدافع من تسابق الدول العظمى لكسب حلفاء لها في العالم الثالث وبسبب ارتفاع أسعار النفط الذي ادخل الى السوق زبائن متلهفين. هذه التجارة تزيد ارقامها اليوم على نصف مبيعات الاغذية في العالم.

وجاءت حرب الخليج العربي لتوفر معرضاً غريباً لهذه الاعتدة الفتاكة. فالعراق يستخدم طائرات "ميغ" سوفييتية وطائرات "ميراج" فرنسية وناقلات جنود مصفحة برازيلية ودبابات "ت - ٧٢" سوفييتية لمحاربة ايران التي تستخدم طائرات "ف - ٤" امريكية ودبابات "تشيفتن" بريطانية وطائرات "تشينوك" مروحية مصنوعة في ايطاليا. وقد ارسلت مصر الى بغداد اسلحة سوفييتية لم تعد تحتاج اليها بعدما وجدت من يزودها بأسلحة امريكية احدث. واتجهت ايران الى كوريا الشمالية وحتى الى اسرائيل للحصول على ذخائر وقطع غيار. وقد تم التفاوض على عقد صفقات ضخمة بواسطة سماسرة اوروبيين.

اما الاسلحة الخفيفة فليست مشكلة. ففي ضواحي تبريز شمال ايران، كما في مئات الاماكن الاخرى في العالم الثالث، اقام تجار مغامرون اسواقاً للاسلحة الخفيفة تشتمل على كل انواعها بدءاً بالرشاشات السوفييتية والصينية "أك - ٤٧" المستعملة (ثمن القطعة ١٩٢ دولاراً) وانتهاء بالمسدسات الامريكية "كولت ٤٥" الاوتوماتيكية الجديدة (ثمن القطعة ٢٨٨ دولاراً).

وهناك تجارة اكثر نشاطاً في لبنان الذي تمزقه الحرب. ويقول احد الخبراء: "ان في هذا البلد من الرشاشات اكثر مما فيه من المظلات." احد اسباب هذا الوضع هو ان في لبنان بين ٣٠ و ٤٠ تنظيماً مسلحاً، ولمنظمة التحرير الفلسطينية قوة تقدر بـ١٤ ألف رجل مسلحين برشاشات "أك - ٤٧" السوفييتية وبنادق "م - ١٦" الامريكية وحتى رشاشات "عوزي" نصف الاوتوماتيكية الاسرائيلية الصنع التي يحصل عليها تجار عرب من الضفة الغربية. وكانت ترسانة منظمة التحرير الفلسطينية تضم ايضاً (★) ٦٠ دبابة سوفييتية من طراز "ت - ٣٤" والدول العربية

(★) قبل الاجتياح الاسرائيلي للبنان في اوائل يونيو (حزيران) ١٩٨٢.

المتعاطفة مع المنظمة، كالجزائر وسوريا وليبيا، تشتري لها الاسلحة بتمويل من الكويت والمملكة العربية السعودية. وقد تلقت منظمة التحرير خلال العام ١٩٨٠ سلاحاً بقيمة ٩٦ مليون دولار.

سوق رائجة ــ حلّت السعودية محل ايران كأكبر مستورد للسلاح في الشرق الاوسط. وفيما تركز اهتمام الرأي العام كله على مناقشة الكونغرس صفقة بيع السعوديين خمس طائرات استطلاع من نوع "اواكس" لم يحلظ احد ان تلك الصفقة التي تقدر بـ ٨،١٦ مليارات دولار شملت ايضاً ١١٧٧ صاروخاً جو ــ جو من نوع "سايد وايندر" ومعدات لتوسيع مجال عمل ٦٠ طائرة مقاتلة من طراز "ف ــ ١٥" طلبت السعودية تزويدها بها. وفي السنة المالية التي انتهت في ٣٠ مارس (آذار) ١٩٨٠ اشترى السعوديون ايضاً طائرات مقاتلة امريكية وأعتدة لتطوير الدبابات وذخائر للجو والبر وقذائف مضادة للدبابات وأعتدة مساندة ومعدات للمطارات وانشاءات عسكرية عامة بمبلغ ٤،٣٢ مليارات دولار. كما حصلت فرنسا على صفقة عظيمة: مجموعة بحرية قيمتها ٢،٦٩٦ مليار دولار شملت اربع بوارج حاملة للصواريخ.

وعلى نقيض دول النفط الغنية في الشرق الاوسط، فان معظم الدول الافريقية عاجزة عن توسيع ترساناتها الحربية. لكن الصراعات الاقليمية جعلت افريقيا ايضاً سوقاً مربحة لتجار السلاح. فقد عرضت الولايات المتحدة على كينيا والصومال امدادهما بالسلاح في مقابل اتفاقات لاستخدام تسهيلات بحرية وجوية، على رغم ان هاتين الدولتين كانتا عدوّتين لدودتين وان الصومال ظل يشتري السلاح من السوفييت حتى العام ١٩٧٧. ثم ان كينيا مرتبطة بمعاهدة دفاعية مع اثيوبيا، جارة الصومال وعدوتها التي كانت في الماضي حليفة للولايات المتحدة واليوم يجهّز السوفييت جيشها ويدربه الكوبيون والالمان الشرقيون.

جنوب شرق آسيا سقط ايضاً في حبائل صفقات السلاح في السوقين الرسمية والسوداء معاً. وفي العام ١٩٨٠ بلغت قيمة الامدادات العسكرية الامريكية الى تايلاند ٤١٦ مليون دولار، كما غدت هذه البلاد معبراً للسلاح الصيني وسواه المرسل الى قوات الخمير الحمر المقاتلة في كمبوديا ضد الفيتناميين. اما هانوي فقد افرغت في السوق العالمية كميات هائلة من الاسلحة التي خلّفتها القوات الامريكية في فيتنام.

كانت الولايات المتحدة منذ أمد بعيد ــ ولا تزال الى حد ما ــ اكبر تاجر للاسلحة في العالم. وهي سجلت عام ١٩٨٠ صفقات تزيد قيمتها على ١٦،٣٢ مليار دولار بين مبيعات

رسمية حكومية وخاصة شملت ٧٢ بلداً. وفي العقد الماضي كان نصيبها ٤٥ في المئة من مبيعات الاسلحة الرئيسية الى العالم الثالث.

كذلك فان شحنات الاسلحة السوفييتية ازدادت كثيراً. وبلغت عقود بيع السلاح الى بلدان العالم الثالث خلال ١٩٨٠ ما قيمته ١٤،٤ مليار دولار بعدما كانت ٣،١٢ مليارات عام ١٩٧٣. ويركز الكرملين جهوده على تقديم الاسلحة الاساسية وتسليمها بسرعة. وفي المقابل تشكل الامدادات التقنية ٤٠ في المئة من المبيعات الامريكية. وتستغرق عملية الشحن ضعفي الوقت الذي تتطلبه عملية امريكية مماثلة. وهكذا يتفوق الاتحاد السوفييتي الى حد بعيد على الولايات المتحدة في مجال تسليم اسلحة رئيسية معينة. فمنذ ١٩٧٧ ارسل السوفييت الى بلدان العالم الثالث ضعفي ما باعته الولايات المتحدة من الدبابات (٥٧٥٠ في مقابل ٣٠٣٠) واربعة اضعاف ما باعته من الطائرات المقاتلة (٢٢٩٠ في مقابل ٥٤٠) وضعفي ما باعته من الصواريخ المضادة للطائرات (١١،٤٠٠ في مقابل ٤٩٦٠).

اما فرنسا، وهي المصدّر الثالث للاسلحة في العالم، فلها منتجات رفيعة الجودة وتتمتع بمهارة في التسويق. وقفزت عقود مبيعاتها من ٢٨٨ مليون دولار عام ١٩٧٣ الى ٧،٦٨ مليارات في السنة الماضية، مما جعل السلاح ثاني اربح صناعة في البلاد. وتعتبر فرنسا بديلا من الدولتين العظميين بالنسبة الى الزبائن في العالم الثالث. ويقول مسؤول في مصانع صواريخ "ماترا" التي تصدر ٧٥ في المئة من انتاجها: "في وسع الدول ان تشتري منا وتحافظ على استقلالها."

تجار الموت – تروّج الاسلحة اليوم كأي سلعة تجارية. فالفرنسيون والبريطانيون ينشرون كتباً دعائية جذّابة بينما المنتجون الامريكيون يعلنون عن بضائعهم في مجلة "اسبوع الطيران وتكنولوجيا الفضاء" وفي "صحيفة القوات المسلحة." وهناك اعلان لمؤسسة "غرومان" عن صواريخ جو – جو من طراز "فينكس" يتبجّح بان "لها معدل اصابة قاتلة لم يسبق له مثيل ويبلغ ٨٤ في المئة" وذلك تحت عنوان لافت: "فريق ف – ١٤/فينكس هو الاعظم. فعليك ان تقتل عدوك قبل ان يقتلك."

وعروض السلاح قد تكون اسلوباً لتخليص دولة ما من تبعية دولة عظمى أخرى. وهذا ما فعلته الولايات المتحدة ضد السوفييت في أندونيسيا والصومال ومصر. وقد ردّ السوفييت بالاسلوب نفسه في اليمن الشمالية واثيوبيا. وتدّعي فرنسا أن مبيعاتها من الاعتدة العسكرية الى ليبيا والعراق أضعفت النفوذ السوفييتي في هاتين الدولتين.

في اي حال يبدو ان العوامل الاقتصادية أضحت الدافع الاساسي

الى الاتجار بالسلاح. وان عقد صفقة مـع السعوديـيـن لبـيـع طـائـرات "اواكس" بقيمة ٨،١٦ مليارات دولار او معدات بحرية بقيمة ٢،٩٦ مليار دولار هـو غنيمـة كـبـرى لمـيـزان المدفوعات الامريكي. وتقدر حكومة الولايات المتحدة ان مبيعات السلاح توفر نحو خُمس النقد الاجنبي الذي يحصل عليه السوفييت.

ومع ذلـك فهنـاك حـدود لقـدرة الاسلحة على كسب الاصدقاء. وأوضح مثال لذلك هو ايران. فبعد تسليمها اسلحة امريكية بقيمة ٩،٦ مليارات دولار أقصي الشاه عن عرشه وحلّ نظام آيـة اللـه الخمينـي المعـادي للولايات المتحدة. وان ضمانات العالم كلها لا يمكنها ان تكفل تحكّم البائع بطريقة استخدام الاسلحة المبيعة. فعندمـا قصفـت اسرائيـل الاحيـاء السكنية في بيروت بطائرات امريكية الصنع، خرقت على نحو فاضح اتفاقاً ينص على ان تلك الطائرات تستخدم فقط فـي حـال الدفـاع.

ان تنافس القوى التي تهيمن على سوق السلاح العالمية هو معضلة في ذاته. فاذا رفضت الولايات المتحدة طلب فنزويلا شراء طائرات "ف ـ ١٦"، فماذا يمنع الفرنسيين من بيعها طائـرات ميـراج؟ وقـد انـذر السعوديون بانهم، في حال رفض الكونغرس الامريكي الموافقة على صفقة "اواكس،" سيشترون طائرات مماثلة من بريطانيا. وعندما رفض السوفييت امداد العراق بالسلاح بعد نشوب حرب الخليج، تحوّل الرئيس صدّام حسين الى مصر وفرنسا وبعض تجار السلاح المتعاملين مع الكتلة الشرقية.

ان الآمال في الوصول الى حلول عن طريق المفاوضات ضئيلة جداً. ونادراً ما يعبِّر المعنيون عن رغبة حقيقية في ضبط مبيعات الاسلحة التقليدية، سواء من جهة ادارة الرئيس ريغان او السوفييت او المنتجين الآخرين او حتى دول العالم الثالث. الخطوة الاولى في سبيل الوصول الى حل هي ادراك كل دولة معنية بهذه التجارة ان ما تراه يخدم مصالحها الآنيّة قد يخلق وضعاً خطيراً لن يكون في مصلحة اي دولة على وجه الارض.

منذ ١٩٤٥ نشب ١٣٠ نزاعاً مسلحاً يمكن تصنيف نصفها بحقّ حروباً. وقد جرى القتال فيها كلها على اراضي دول فقيرة وبأعتدة تم شراؤها من دول غنيّة.

وعندما يصبح في الامكان شراء احدث صاروخ يُحمل ويوجّه حرارياً، وذلك في سوق اي قرية في العالم، هل يبقى هناك مكان آمن لتحليق اي طائـرة؟ تومـاس بارجـر، الرئيـس السابق لشركة "آرامكو" ومدير مصنع نورثروب للطائرات، يحذر من الخطر الداهم: "عندما تتكاثر الالعاب بين يديك، كم من الوقت يمكنك ان تصبر قبل تجربتها؟"

■ والتر ايساكسون

هل يحق لنا ان نغار؟
هل يحق لنا ان نقيد بالحب من نحب؟
اي عذاب يقاسيه كل حبيب تنهشه الغيرة؟

الغيرة دليل الحب؟

ان الشعور بالغيرة يتلاشى. هكذا يقول رُسُل العلاقات المتحررة بين الجنسين. واذا كان من الممكن التغاضي عن الغيرة كنتيجة جانبية للهيام الرومنطيقي، فان هؤلاء المتحمسين يؤكدون اليوم أن الغيرة اصبحت امراً تخطاه هذا الزمن غير النازع الى الاستئثار والتملك، لان الافراط في المتطلبات العاطفية باسم الحب يعتبر خروجاً على "موضة" العصر.

لكن خبراء آخرين يعارضون هذا المنطق. يقول عالم الاجتماع روبرت بلود المختص بأمور العائلة: "ان الاقبال على الزواج المفتوح رفع عدد الاشخاص المعرضين للغيرة". فكثير من الرجال والنساء الذين اعطوا شركاءهم الحرية وقعوا فريسة غيرة غير متوقعة.

قبل وقت قريب تحدثت مع عشرات الازواج الشباب في موضوع الغيرة. ولم يقتصر حديثنا على الغيرة الناتجة من العلاقات الجنسية الجانبية، بل تطرق ايضاً الى الغيرة على المحبوب من اهتماماته واصدقائه وعائلته وعمله. وقد تردد بعض هؤلاء في بحث هذا الموضوع، وكأن مجرد الاعتراف بالغيرة هو الكارثة عينها. وأكد آخرون وجوب اظهار مقدار "معقول" من الغيرة كدليل على استمرار الحب.

قالت معلمة في الخامسة والعشرين: "اشعر بالخيبة اذا لم يتصرف زوجي بدافع من الغيرة بين وقت وآخر. ان اعتقاد شريكك انك ما زلت جذابة بالنسبة الى الآخرين هو إطراء في ذاته. ولا شك في ان هذا الامر يرفع المعنويات!"

وبالطبع فان "التمثيل" هو مفتاح هذا التعليق. فتمثيل دور الغيرة الجنسية قد لا يؤذي؛ بل ربما اعتبر حافزاً ايجابياً ما دام الطرفان يدركان انه لعبة وان احداً منهما لا يتعمد إثارة الآخر.

اما الغيرة الفعلية فقضية اخرى. فالازواج الذين تحدثت اليهم كانوا في غالبيتهم آسفين اذ تبددت الاوهام التي حملوها حول "وجوب عدم" حدوث الغيرة وادركوا انها قد تحدث فعلا على ارض الواقع. وادى ذلك الى شعور بالذنب او الحط من تقدير الذات.

الغيرة البناءة – في المقابل، فإن أقلية من الناس لم ترضَ بمفهوم جامد للغيرة على انها رد فعل سلبي إزاء عقدة عاطفية. قالت سيدة شابة: "احاول ان انظر الى مشاعر الغيرة بواقعية، واكتشف احياناً ماذا تحاول هذه المشاعر ان تقوله لي."

وأنا اعترف بجدوى النظر الى الغيرة من هذا المنطلق. "فالمشاعر لا يمكن ان تصنف ببساطة على انها جيدة او سيئة،" تقول العالمة النفسانية بياتريس هاريس، "انها دلائل على تفاعلات معقدة. وكما ينبهنا الالم الى وجود مشكلة جسدية ويدفعنا الى القيام بعمل ما ازاءها، فإن الغيرة قد تنبهنا الى وجود مشكلة عاطفية."

ويمكن اعتبار تجربة السيدة وردة نجيب مثالا على جدوى هذه الطريقة. وهي شابة في الثالثة والعشرين كانت تثور غيرتها كلما حدثها زوجها المحامي بسام عن رانية، زميلته في مكتب المحاماة حيث يعمل. وهو امر تكرر يومياً حتى كانت الحفلة السنوية التي تقيمها ادارة المكتب. وقابلت وردة غريمتها. "في اللحظة التي رأيتها عرفت انها ليست من النوع الذي يستهوي بسام. لكنهما بقيا يتحدثان ويضحكان طوال السهرة. وعندما عدنا الى البيت لم اتمالك اعصابي، فانفجرت غاضبة. واعتذر بسام لاهماله إياي في الحفلة، لكنه لم يفهم لماذا كنت منفعلة الى ذاك الحد". قال لي ان رانية ذكية وحديثها ممتع وانه يتعلم الكثير منها. وسألني عما اذا ساورني اي شك في انه واقع في غرامها، فأجبت بالنفي. وهنا سألني عن سبب غيرتي، فعجزت عن الاجابة."

وبقي السؤال يلح على ذهن وردة. فراحت تسبر اغوار ذاتها لمعرفة ينبوع غيرتها، فاكتشفت فيها مشاعر متزعزعة. "كنت اقلق دائماً لشعوري اني غير ذكية وغير مثقفة بما فيه الكفاية لاثير اهتمام بسام. وأظن اني لم احاول ابداً معالجة هذا الشعور."

وبنفاذ البصيرة هذا نجحت وردة في تحسين وضعها. فالتحقت بدورة من الدروس والمحاضرات حول المواضيع القانونية. وكان منطلقها في ذلك "ان اتمكن من التحدث الى بسام في بعض لغته واعرف شيئاً عن عمله. وقد اعطاني ذلك ثقة بالنفس." وبنتيجة ذلك امكنها ان تأتمن زوجها على مسائلها الشخصية، فتبوح له بشعورها بالنقص وعدم الكفاية وبالتالي تطلب مساعدته للتغلب عليها.

من هنا فان الغيرة، اذا ما استعملت بطريقة سلبية للعقاب او لفت الانتباه او تبرير رثاء الذات او اثارة الجدل، يرجح ان تفسد الامور اكثر. ولكن اذا هي وجهت في مجرى ايجابي، كما في حال وردة، فيمكن أن تصبح عاملا بناء.

آه من الآخر! — احد الاسباب التي تجعل من الغيرة مصدر ألم، كما يشير الطبيب النفساني ليا شيفر، هو شعورك بالعجز عن اي عمل يغير الوضع الذي يسببها. "ولكن في وسعك ان تحصر هذه الغيرة وتسأل نفسك: ممَ او ممن انا غيور حقيقة؟ هل يمكنني ان افعل اي شيء لوضع حد لشعوري هذا؟"

تلك وسيلة ناجعة اختبرتها بنفسي في حفلة حيث قضت زوجتي معظم السهرة في حوار صاخب مع شاب وسيم. وتحركت في داخلي غيرة لا يمكن انكارها. وسألت نفسي: "لماذا تبدو مستغرقة في الحديث؟ لعلي لا اناقش معها اموراً تثير اهتمامها. هل احبها؟ نعم، والا فلماذا اهتم لمدى انغماسها في حديث مع شخص آخر؟ وبما اني احبها، فلماذا لا افرح لانها تستمتع بوقتها؟ ام تراني اعتقد، لمجرد انها تستمتع بالحديث، انها تدبر موعد لقاء. من الواضح ان لا."

وحالما ادركت ان حديث زوجتي مع شخص آخر لم يسلبني شيئاً، بل انه دلني على طريقة اطور من خلالها علاقتي بها، ادركت ايضاً ان لا مبرر للغيرة.

كثيرون من الازواج الذين تحدثت معهم طرحوا مسألة الغيرة من نزعة الشريك الى التسلي. وينطبق هذا اكثر ما ينطبق على المتزوجين حديثاً الذين بدا على بعضهم ان اي وقت يمضيه الشريك بعيداً هو إهانة عاطفية. واذكر زوجاً شاباً كان يغار من ساعة واحدة. وكان مهندساً يتلقى دروساً ليلية تترتب عليها فروض محددة، ولهذا دبر برنامجاً زمنياً يتيح له قضاء ساعة مع زوجته كل يوم، بين الثامنة والتاسعة مساء. وهو قال: "مرة في الاسبوع تتناول زوجتي الغداء مع صديق لها اسمه سمير. في ذلك اليوم، يقضي الوقت عينه الذي امضيه مع زوجتي!"

هذا امر غير واقعي. لكنه واقعي بما فيه الكفاية بالنسبة الى المعنيين به. يقول احد المستشارين في القضايا الزوجية: "من الواضح ان معالجة هذا النوع من الغيرة بضبط ساعة توقيت للطرف الآخر، لن تجدي. اما اذا حثت الغيرة هؤلاء الناس على الغوص في اعماق نفوسهم وتحديد افكارهم حول ماهية الزواج ومستلزماته وما يتوقعون منه على الصعيد العملي، فان ذلك يساعدهم في التخلص من القوالب الفكرية الجامدة."

خيانة وكبرياء — بالنسبة الى العديد من الازواج الشباب، فان غيرتهم مبعثها اطفالهم. ويغدو وضعهم جحيماً لا يطاق. ويتساءل اب شاب: "اي وحش أنا لأغار من طفلي؟" وتسأل ام شابة: "كيف يمكنني ان اشعر بالاستياء لمجرد ان طفلتي تهرع دائماً الى والدها وليس الي؟"

يجب ان ندرك ان كلا الموقفين طبيعي ويمكننا تعريفه بـ"الغيرة الوجودية." وهي ببساطة شعور موجود لا يخضع لمنطق او حكمة او حتى لخجل.

يقول الاختصاصي بأمور العائلة سانفورد شرمن: "في كل مرة ننتقل من مرحلة اساسية في دورة الحياة الى مرحلة اخرى، ينتابنا شعور بفقدان شيء ما. ومكافآت الزواج تعني خسارة بعض الحرية. نحن نشعر دائماً بالغيرة على ما يجب ان نتنازل عنه عند نقاط التغيير المفاجىء في مراحل النمو. واذا لم نتفهم ذلك، فان غيرة كهذه يمكن ان تصبح عائقاً للنمو."

ويستشهد شرمن بغيرة والد من ابنه البكر. ويشرح انه من المفهوم ان يغار رجل من طفله لانه يشعر انه حل محله كموضع اساسي لعواطف زوجته واهتمامها. "لكن كظم الغيرة قد يساهم في ترسيخها مما يبقي الاب في منافسة طفولية مع ابنه. اما اذا اعترف الاب بشعوره، فانه لا يلبث ان يرى في طفله شخصاً يحتاج اليه وليس منافساً له. اذ ذاك يسره ان يشارك زوجته في رعاية الطفل، فيتجدد التوازن العاطفي في الزواج. وفي هذه الحال تساهم الغيرة في النضج العاطفي."

ويمكننا القول ان الغيرة في جميع مظاهرها تنبع من شعور بعدم الثقة بالنفس ونقص في تقدير الذات ومن مشاعر متضاربة بالعجز، اي من كل الامور التي يجملها علماء النفس تحت عنوان "صورة ذاتية وضيعة."

سألت الرجال والنساء الذين تحدثت معهم عن العامل الاساسي الذي يثير غيرتهم القصوى. فذكرت قلة منهم الخيانة الزوجية. وذكر معظمهم حالات تهدد كبرياءهم ونظرتهم الذاتية: "عندما يتحدث مع اصدقائه القدامى في امور لا علم لي بها، اشعر اني مهملة ومتروكة." او "عندما يتحلق الجميع حولها في حفلة ويهملونني..."

ومواجهة مثل هذه الغيرة لتحويلها من رد فعل سلبي الى موقف ايجابي بالقوة، يقول المحلل النفساني رولو ماي، تتطلب توجيه الانتباه الى الذات وطرح السؤال الآتي: لماذا اتّضع تقديري لذاتي الى هذا الحد؟ قد يكون هذا السؤال صعباً، لكنه على الاقل يوجه اهتمامك الى حيز يسمح لك بأن تفعل شيئاً ازاءه.

كثيراً ما نسمح للغيرة بان تنحدر بنا الى مشاعر بالذنب أو العجز أو الاشفاق على الذات. انا المسكين! ولكن في المقابل تمكننا الافادة من الغيرة لحث انفسنا على اتخاذ عمل بناء فنتفحص حاجاتنا العاطفية بوعي اكثر ونعمل ايجابياً لمعالجة مواطن الضعف فينا وبجدية اكثر للحفاظ على علاقة ما، وحتى للتعبير عن صرخة صادقة تطلب المساعدة: "انا احبك ويخيفني ما يجري. وبي حاجة اليك لايقافه."

عندما نسمح للغيرة بالسيطرة علينا من دون ان نتساءل عن سببها، فانها تبقى مصدر حقد وضغينة. أما اذا سلطنا عليها نور المنطق والفكر، فانها تصبح حافزاً للنضج والسعادة.

■ نورمان لوبسنز

الزنبقة البرية

في صراعه البطولي
طوال حياته،
حقق كريستي براون
حلماً راوده طويلا،
وهو: "ان يذكرك الآخرون لا لضعفاتك
الانسانية او خصوصياتك،
بل لشيء أنجزته وتركته وراءك"

Michael St. Maur Sheil

يطبع باصابع رجليه.

وقالت الام وهي تحاول إدخال الرضاعة في فم طفلها: "هيا! افتح فمك ياكريستي." الا ان فكّيه ظلاّ مطبقين. وانفتح فمه فجأة بعدما كان مغلقاً بإحكام. لكنّ ذلك لم يساعد بريدجت براون، والدة الصبي البالغ أحد عشر شهراً، في اطباق شفتيه على الرضاعة المتصلة بقنينة الحليب الساخن. وخاطتبه وهي تشدّه اليها: "هوّن عليك يا كريستي. سنحاول مرة اخرى."

لما ولد كريستي، كانت بشرته

زرقاء علامة على وشوك الاختناق بسبب قلة الاوكسيجين.

وأسفرت معالجة مسألة التنفّس لديه عن خلل في وظائف ذلك الجزء من الدماغ المتصل بحركة الاعصاب العضوية. وارتخت ذراعا الصبي كالمطاط، ولم يعد في إمكانه الجلوس من غير سناد، وكان لعابه يسيل باستمرار. وفي ذلك الوقت (١٩٣٣) لم يكن الطب يعرف الكثير عن مرض كريستي، وهو الشلل الدماغي الذي يحصل قبل الولادة او اثناءها. وحكم عليه الاطباء بالتخلّف العقلي، وأشاروا على ذويه بإرساله الى مؤسسة للمعاقين.

غير ان والدي كريستي رفضا ذلك، وأصرّا على إبقائه في البيت والاعتناء به مع اولادهما الآخرين. ومنزل العائلة يقع في شارع ستاناواي من بلدة كيميدج، وهي ضاحية عمالية بالقرب من دبلن، عاصمة ايرلندا. وكان لدى السيدة براون قناعة بأن طفلها ليس أبله، وقرّرت اثبات ذلك.

وراحت يوماً بعد يوم وسنة وراء سنة تقرأ على مسمعه وتتحدث اليه وتلمسه، سعياً الى رد فعل منه. وكان الاب، بعد ساعات عمله الطويلة في بناء المساكن، يغسل كريستي ويلبسه ويعينه على دخول المرحاض. لكن تلك المحاولات لم تجد. وتدخل الانسباء والاصدقاء لاقناع الوالدين بإرسال كريستي الى مؤسسة للمعاقين كي يتسنى لهما الانصراف الى اولادهما السبعة الآخرين. الا انهما رفضا ذلك.

دمعة وابتسامة ـ بالنسبة الى كريستي كانت تلك السنوات الاولى مثل حلم غريب. فهو يستطيع ان يسمع ويبصر، ان يحس ويفكر، من غير ان تكون له القدرة على نقل ذلك الى الآخرين. وعجز حتى عن هزّ رأسه. ولكن كيف يخترق ذلك النطاق ويقول لأفراد عائلته انه هناك، يعرف تلك الامور جميعاً؟

وفي يوم، وهو في الخامسة من عمره، أُجلس كريستي على أرضيّة المطبخ مستنداً الى وسائد. وراح يراقب اخته مونا وهي تكتب على لوح حجري. وفجأة نخع قدمه اليسرى والتقط قطعة الطبشور بأصابعه وأخذ يرسم على اللوح خطوطاً بلا نظام. ولم يكن استخدم قدمه من قبل.

ورفع كريستي عينيه ليرى الجميع يحدّقون اليه. وأدركت السيدة براون لتوّها ما يريد. وركعت على الارض بجانبه وقالت: "سأريك ما يمكن ان تفعله بالطبشور." ثم رسمت الحرف الاول من اللغة وأضافت: "انسخ هذا يا كريستي."

وأجهد قدمه عبثاً. وكرّر المحاولة، فكان له خط أعوج لا يمثل الا جانباً من الحرف. وعرف ان عليه ان يتابع، ففعل. لكنّ قطعة الطبشور كُسرت وهو في نصف الجانب الآخر. وودّ ليأسه ان يرميها بعيداً، الا انه احسّ يد امه فوق كتفه.

واخيراً أمكنه ان يرسم الحرف. وما كاد ان يفعل حتى ارتسمت على وجه امه دمعة وابتسامة. وصاح أبوه فرَحاً وحمله فوق كتفيه القويتين وطاف به ارجاء المنزل.

منذ ذلك الوقت لم تبقَ حياة كريستي كما كانت. وفي سنة واحدة

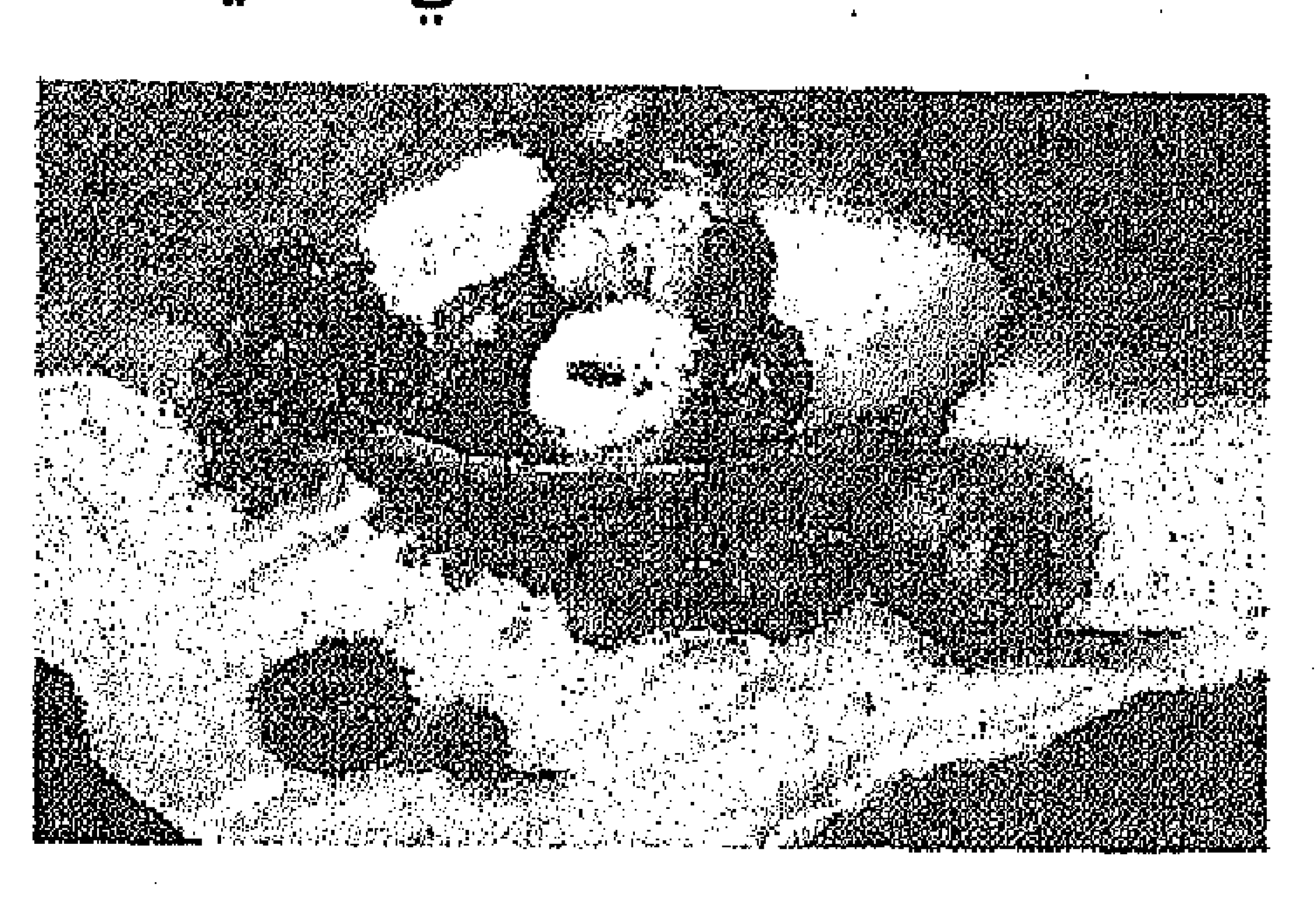
تعلّم ان يرسم الحروف كلها وهو يضع الطبشورة بإحكام بين أصابع قدمه. وعلّمته امه، مع الوقت، القراءة والكتابة. وكانت مخارج الحروف لديه تحدث نخيراً لا يفهمه سوى أفراد العائلة.

وما لبث كريستي ان تعلّم استخدام بعض عضلاته الارادية، وغدا بذلك طفل العائلة الماكر. وكان يعدو في انحاء المنزل، دافعاً جسمه بجانب ظهره، فيسرع على نحو خَطِر جداً ويقطع السلم هبوطاً وصعوداً. وكان يعبّر عن غيظه بقدمه اليسرى التي تغدو سلاحاً حاداً.

واتسمت حياة كريستي خارج المنزل بالفاعلية ايضاً، وذلك بفضل إخوته الذين كانوا يضعونه على عربة خشبية صنعوها لهم ويجرّونه في شوارع كيميدج ويصلون احياناً الى دبلن.

وكان ذلك وقتاً سعيداً في حياة كريستي. وعلى رغم اتكاله على الآخرين في بعض شؤونه، كتناول الطعام وارتداء الملابس، الا ان احداً منهم لم يدلله او يشبع نزواته. من هنا شعر بأنه فرد طبيعي في العائلة. لكنّ نظرات الغرباء إليه كانت تضايقه احياناً، فلا تلبث ضحكات المحيطين به وأصواتهم المفعمة بالمحبة ان تبدّد غيوم الكآبة.

العربة المكسورة ــ ذات عصر حار من شهر يوليو (تموز)، كُسر محور العربة التي كان يركبها كريستي خارج المنزل. وللمرة الاولى اضطرّ اخوته الى تركه في البيت. وكان يقبع على مقعده عند النافذة فيما اخوته يلعبون الكرة خارجاً. ومن هناك ينظر الى أيديهم الصلبة الرشيقة القادرة على حمل الكرة وقذفها، ثم يتطلع الى يديه هو الملتويتين المرتجفتين، فيخيّل اليه أنه يراهما ويرى نفسه للمرة الاولى. ومرة زحف الى غرفة النوم في الطبقة العليا وراح يتفرّس في المرآة التي عكست رأسه المرتعش وفمه المنحرف الذي لا يكف عن السيلان. وبحركة قوية واحدة من قدمه اليسرى حطّم تلك الصورة اللعينة أمامه.



زيتية ساكنة رسمها كريستي في الستينات

وسرعان ما اشترى الوالدان عربة جديدة لابنهما، وكانت هذه المرة قوية ومريحة. لكنه رفض ان يغادر المنزل.

وانقضى الصيف وجاء الخريف وكريستي جالس في مقعده يسرّح انظاره بعيداً.

واخيراً حان عيد الميلاد، وأخذ اطفال العائلة يفتحون هداياهم. وفيما رأى كريستي أحد اشقائه ينظر من غير مبالاة الى هديته، وهي علبة الوان معها فرشاة وأوراق للرسم، دنا اليه وقد خلبه شكل العلبة. وما لبث ان اخذها وأعطى شقيقه هديته، وهي شخوص عسكرية مختلفة.

وحمل الفرشاة بين أصابع قدمه اليسرى وغمسها في الصباغ الاحمر،

ثم رسم بها خطوطاً في وسط الصفحة. لقد كان ذلك بمثابة السحر له. وهو هو كان الساحر.

ويوماً بعد يوم راح كريستي يعمل بصمت في غرفة النوم، فيرسم بقدمه اليسرى على ورقة مثبتة الى الارض. وهكذا علّم نفسه بتؤدة لغة اللون والشكل. وتراكمت الرسوم عن جانبه، وهي تمثل اشياء ووجوهاً أليفة مختلفة ومناظر لأمكنة زارها وخطوطاً تجريدية تعبّر عن مشاعره الجياشة. وكان، اذ يَرسُم، ينسى وحدته وألمه ويشعر بالقوة.

وفي الثانية عشرة من عمره اشترك في مباراة للرسم نظمتها صحيفة ايرلندية للشباب الذين تراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والسادسة عشرة.

وبعد اسبوعين فاجأه والده بدخول غرفته وهو يصيح: "انظر! انظر! لقد فزت في المباراة! " وحمل الوالد الصحيفة التي نشرت الخبر امام عيني كريستي. اجل، لقد فاز كريستي براون من بين جميع الفتية والفتيات الايرلنديين الذين اشتركوا في المباراة.

ومع الوقت بدأ كريستي يكتب الى جانب الرسم للتعبير عن مشاعره المضطربة. وفي البداية استعار لغته من الافلام التي شاهدها والكتب التي قرأها، خصوصاً كتابات تشارلز ديكنز. غير ان المشاعر التي عبَّر عنها كانت مستمدّة كلياً من شارع ستاناواي ومن دبلن ومن ايرلندا كلها.

الزائر اللطيف – في الثامنة عشرة كانت حاجات كريستي براون لا تختلف عن حاجات اي فتى في سنه. لكنه دُفن حياً ضمن جسده العاجز. وذاك جعله يعاني الكبت والخوف باطراد.

وحدث ذات مساء انّ غريباً طرق باب كريستي وبَدّل حياته منذ تلك اللحظة. وما ان بادره ذلك الزائر الوسيم بقوله: "مرحبا يا كريستي" حتى أحس جاذباً يشدّه نحوه. وربما كان ذلك صوته القوي واللطيف في آن.

ذلك الشخص كان الدكتور روبرت كوليس، وهو طبيب احداث ايرلندي شهير شارك في حفلة خيرية لمصلحة الاولاد المعاقين. ولما وقف امام كريستي خلال الحفلة، رأى فيه ولداً كسيحاً يحمل وجهاً كأنه خرج من إحدى لوحات عصر النهضة وعينين لم يسبق ان شاهد مثل زرقتهما. وسأل عن اسم الصبي، فقيل له: "كريستي براون." وبعد سنوات، عشية افتتاح العيادة الاولى للشلل الدماغي في ايرلندا، قصد الدكتور كوليس منزل آل براون يسأل عن كريستي.

وأخبره عن العيادة وعن التمارين الجديدة التي ابتُكرت في الولايات المتحدة لمعالجة هذا النوع من الشلل. وأوضح ان الشفاء ليس بالامر السهل، لكنه سأل كريستي إن كان يود المشاركة في تلك التمارين.

وكان لكلمات كوليس أبلغ الاثر في نفس كريستي. فهي تفتح امامه فرصة للحياة. وكانت العيادة غرفة مستطيلة أشبه بالثكنة في مستشفى دبلن للجراحة التقويمية. هناك تابع كريستي، مع فتية آخرين في مثل وضعه، تمارين من شأنها تقوية

وظائف العضلات ونقل المشاعر والافكار الى الآخرين.

ولم تتجاوز النتيجة التي حصل عليها كريستي بعض التقدّم في النطق. ترى أيحرز المزيد من التطوّر اذا خفف اعتماد قدمه اليسرى؟ ربما أجبره ذلك على استخدام عضلاته الأخرى. وقبل كريستي تعليق اعماله، علّ إراحة قدمه اليسرى تكسبه التقدّم المنشود.

الا ان تلك التضحية الكبيرة التي ارتضاها لم تؤدِ الى نتيجة، وأدرك هو والطبيب ان سنوات طفولته الطويلة التي أمضاها من غير تمرين كانت هي العائق الرئيسي في سبيل إحراز تطوّر ملحوظ، وان الوقت فات لتحقيق اي امر خطير.

رؤية مشتركة — كان اثر العيادة كبيراً في نضج كريستي الشخصي. وهو انشأ صداقات كثيرة، كانت اقواها تلك التي أقامها مع اولاد يشبهون الصورة التي شاهدها في المرآة حين وقف مرة امامها. وأعانته شجاعتهم في وجه الالم على النظر الى حياته من زاوية جديدة. ويوماً بعد يوم، بات أشد قبولا لما هو ولمن هو. فهو لن يصبح طبيعياً البتة من الناحية الجسدية. لكنه يتمتع بالفكر والشعور، وفي إمكانه الكتابة.

وأدرك ان لديه افكاراً مهمة يود التعبير عنها. ولم يكف عن مقت عذابه، وإن يكن ذلك العذاب حمل الجمال على نحو غريب الى حياته. وأعانته عزلته على اكتشاف المعنى والحكمة حتى في الامور العادية.

وصمم على كتابة سيرة حياته علها تكون مرآة لغرباء كثيرين أمثاله في هذا العالم القاسي.

غير انه كان يحتاج في الكتابة الى استخدام قدمه اليسرى التي عقد العزم على اراحتها ما أمكن. وهكذا اضطر الى املاء سيرته على إخوته. وكان ذلك عملا مجهداً له ولهم جميعاً.

وانقضت سنة وضع فيها كريستي، خلال مئات ساعات العمل، آلاف الكلمات. لكن جمله كان ينقصها الشكل الحسن. ولا ريب في انه كان يحتاج الى رعاية ادبية. وطرأ على ذهنه ان يستعين بالدكتور كوليس. وسرعان ما وجه اليه الرسالة الآتية: "عزيزي الدكتور كوليس. اني احاول تأليف كتاب، وأود مساعدتك اذا أمكن. كريستي براون."

وفي اليوم التالي كان كريستي يطالع بجانب الموقد عندما دخل الدكتور كوليس وهو يقول: "حسناً، أين هي مخطوطتك؟" وتصفّحها، فوقع فيها على موهبة اكيدة، وان لم تكن خالية من الشوائب. وأعلن استعداده للمساعدة من غير تردد. وهكذا غدا كوليس في نظر كريستي طبيباً وكاتباً ومعلماً في وقت واحد. وهذا هو الشخص عينه الذي يحتاج اليه.

اما كريستي فكان تلميذاً قابلا للعلم الى أبعد حدّ. فهو يقبل كل نقد وتوجيه. وشجعه كوليس على قراءة اعمال الادباء المحدثين. وأمضى الساعات الطويلة يحدّثه عن الادب وأساليب الكتابة. وأدهشه

المستوى الذي أحرزه كريستي من غير ان يدخل المدرسة قط، خصوصاً اطلاعه الهائل على الادب الانكليزي٠

الا ان العمل على كتابه بات مزعجاً٠ وهو أضاع كثيراً من افكاره ومشاعره لانه لم يستطع املاءها سريعاً٠

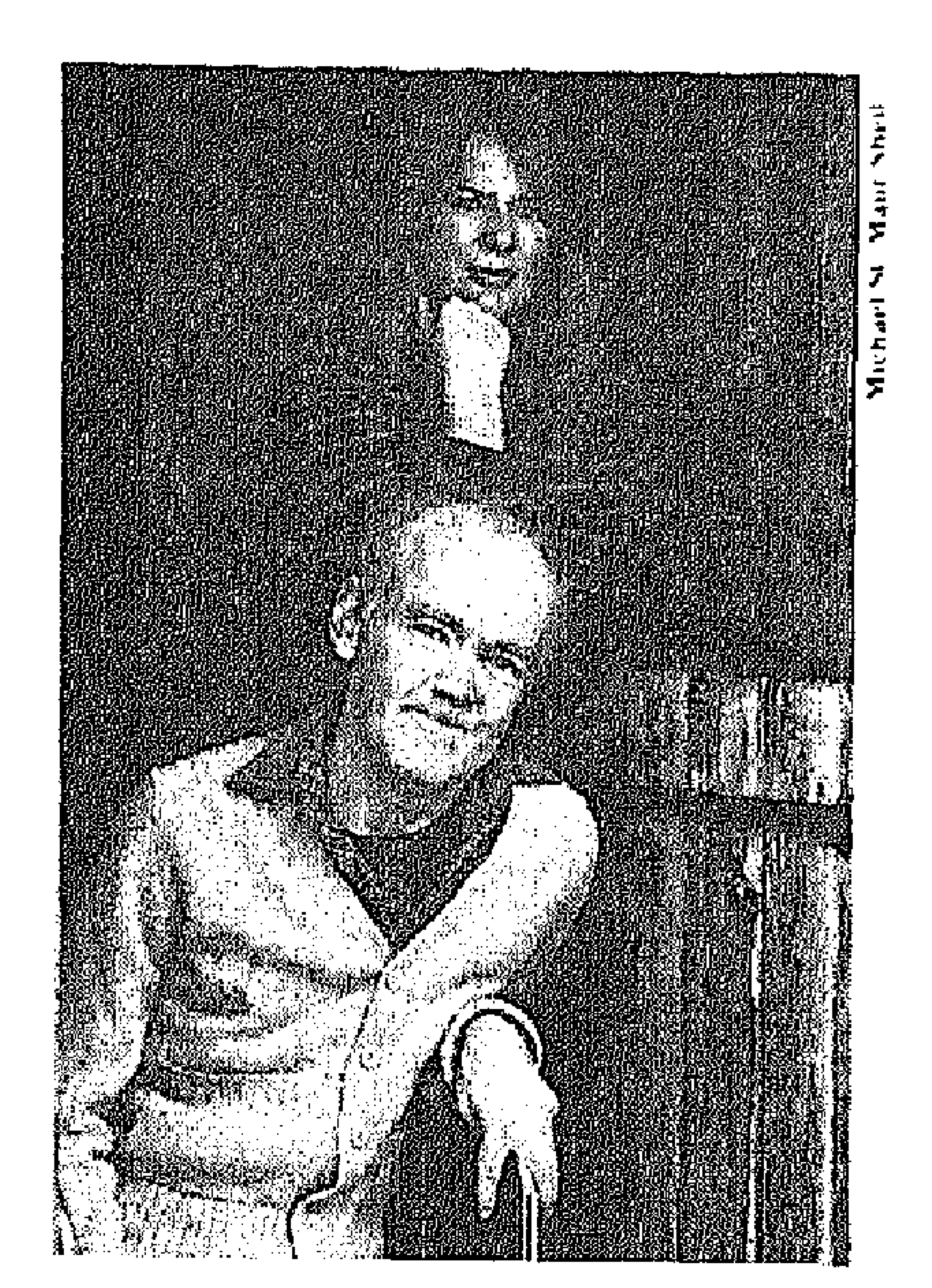
واخيراً لم يعد كريستي يتحمل الوضع٠ وكفّ عن الاملاء على اخوته وعاد يضع القلم بين أصابع قدمه اليسرى ويكتب بنفسه٠ واحس ان الحياة عادت اليه من جديد٠

الكلمة والروح — بعد سنوات من الجهد والمراجعات المتكررة، أُرسلت مخطوطة كريستي الى احدى دور النشر٠ وقُبلت دونما تردّد، وظهرت عام ١٩٥٤ بعنوان "قدَمي اليسرى،" وكان عمر كريستي ٢٢ سنة آنذاك٠

وبفضل ريع هذا الكتاب وكتابات كريستي الاخرى، إضافة الى الراتب الشهري الذي كان يتقاضاه من اتحاد الفنانين المعاقين، حصل على دخل متواضع٠ وقُدّمت اليه آلة كاتبة كهربائية اخذ يملي افكاره عليها باستخدام الاصبعين الكبرى والصغرى في قدمه اليسرى٠ وهكذا تمكن من اللحاق بأفكاره وأحاسيسه قبل ان تفرّ من ذاكرته٠

كما تسنى له ان يعرف العالم كما أحب دائماً ان يعرفه، اي ليس عن طريق الكتب بل عن طريق الخبرة٠

وكانت تلك الفترة رحلة إنتاج هائلة في حياته، توجتها روايته الرائعة التي صدرت عام ١٩٧٠ بعنوان: "في قلب الايام٠" ولئن يكن



كريستي وماري في الصيف الماضي

كتابه الاول "قدمي اليسرى" سيرة حياته، فهذه الرواية هي عصَب تلك الحياة ومحتواها٠ انها سكب للروح في قالب من الكلام الشعري الذي يروي قصة حياة عائلة ايرلندية فقيرة، بما تخللها من قبح وجمال وعنف وحب، كما تجلت لعيني ذلك الفتى المعاق وبصيرته النفاذة:

"في سكينة امسية صيفية جلس يتنصت الى غناء امه حول البيت الهادىء الذي هجره اطفاله كما تفعل العصافير عندما تجد باب القفص مفتوحاً٠ اما هو فبقي هناك في قفصه الكبير، يستمع الى امه تشدو كطائر غريد٠ وكان يُضيع ذاته في تموجات صوتها العذب وبساطة عيشها٠

"مرة رأى أباه يلامس شعر امه بخَفَر، فقفز الفرح في قلبه وملأته نشوة لا توصف٠ وما لبث ذلك الامل ان خبا وهو يسمع صوت والده الاجش يطلب احضار العشاء٠ وهكذا عاد من جديد الى حديقة افكاره، يطارد الذكريات الهاربة بين جدرانها٠"

في وقت قصير غدا هذا الكتاب من اكثر الكتب مبيعاً في العالم. وبات يشار الى كريستي براون والى عبقريته.

ولئن شاركه والداه في الفرح والاعتزاز عقب صدور "قدمي اليسرى"، الا انهما لم يعمرا ليشاركاه في الفرح الذي أغدقه عليه "في قلب الايام". وقد كسرت وفاتهما قلبه. الا ان حزنه لطّفه شعوره بالوفاء لهما.

وبعد وفاتهما انتقل كريستي من البيت العائلي في شارع ستاناواي الى منزل مجاور لبيت اخته آن، وهي التي اعتنت به بعد وفاة والدته. وعلى رغم انه أمضى ساعات طويلة بهيجة مع اخته آن وعائلتها، الا انه احس فراغاً كبيراً في حياته.

معجزة اسمها ماري – ذات مساء أحيا شون براون حفلة في لندن على شرف أخيه كريستي بعد إنجازه مقابلة تلفزيونية مع ديفيد فروست. وفي ركن من القاعة شاهد كريستي فتاة شقراء جذّابة تتكلم مع شلة من الاصدقاء. وأدركت انه ينظر اليها فابتسمت له، لكنه أشاح وجهه بحياء وهو جالس في كرسيه. وما لبثت ان اقتربت منه وجلست تكلمه. وكان اسمها ماري كار، وهي تعمل ممرضة في عيادة لطب الاسنان.

وأعجبت ماري ببديهة كريستي الخارقة، وأحست انها تعرفه منذ زمن. ووجدت فيه رجلا وسيماً ذا شعر بني معقوص وشاربين مشذّبين ولحية تضفي البهاء على وجهه. وأعجبتها عيناه الزرقاوان بما انطوتا عليه من عطف وفيض ذكاء.

وتراسل الاثنان لدى عودة كريستي الى دبلن. وسرعان ما وجدا ان ذلك ليس كافياً، واخذا يتزاوران. وفي ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٢ عُقد قرانهما. ووقع كريستي وثيقة زواجه بقدمه اليسرى.

وشهدت حياتهما معاً انتاجاً وافراً من جانب كريستي، ان من ناحية الرسم وان من ناحية الشعر الذي نشر منه ثلاث مجموعات. كما كتب روايتين بعنوان: "غمامة على الصيف" (١٩٧٤) و "برية تنمو الزنابق" (١٩٧٦). وهناك رواية ثالثة أنجزها عام ١٩٨١ بعنوان: "مهنة مثمرة" ونُشرت عام ١٩٨٢.

وما انفك اتكال كريستي على الآخرين يغيظه ويحمل اليه الكآبة. الا ان الصعوبات لم تنل من عزيمته. وظل يواجه العالم ببأس ويتحدّى عراقيل لا حصر لها. وفي كل مرة كانت روحه الحية تنتصر. وفي صراعه البطولي طوال حياته، تمكن من تحقيق حلم راوده طويلا، وهو كما قال في إحدى المقابلات "ان يذكرك الآخرون لا لضعفاتك الانسانية او خصوصياتك، بل لشيء أنجزته وتركته وراءك، فوصل الى الآخرين ودخل اعماق حياتهم."

توفي كريستي براون في ٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٨١ وله من العمر ٤٩ سنة، بعدما امضى تسع سنوات من الحياة الزوجية مع ماري. ومرة قال: "بالحب يخفّ العبء ويغدو حمله ممكناً."

■ ستيفن رودلي



ماساة واقعية

طفل في جوف الارض

عملية الانقاذ التي تمت ذلك اليوم كانت تتجاوز العقل والحظّ، وحتّى البطولة

بُعَيْدَ الحادية عشرة والنصف من صباح يوم اثنين دافىء في أواسط شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠، نظرت شانتال بورتر من نافذة مطبخها في بلدة دلري اوكس من أعمال ولاية كاليفورنيا الامريكية لتتفقد طفليها اللذين كانا يلعبان في حديقة المنزل الخلفية. ووقع نظرها فوراً على ابنتها كوينسيان، وهي في الرابعة، لكنها لم تر ابنها كريستوفر البالغ خمسة عشر شهراً.

وهرعت الأمّ خارجاً. ولم تكن كوينسيان تعرف أين ذهب أخوها. وفتشت شانتال في الأرض المشجرة الصغيرة حول المنزل، لكنها لم تعثر على أثر لابنها. وللحال اتجهت عيناها الى انبوب ينتأ من فتحة بئر

ضيقة كان زوجها جفري حفرها بواسطة مثقب. ولم يكن اتساع الفتحة في الارض الرملية يتجاوز الـ ٤٥ سنتميتراً، أي طول كفّ رجل بأصابعها المفتوحة. ومن الاكيد أنّ كريستوفر، الذي يبلغ وزنه ١١ كيلوغراماً ونصف كيلوغرام، لم يتمكن من عبور ذلك المكان الضيق. إلا أنّ تلك الفكرة لم تثنِ شانتال عن وضع اذنها على الحفرة. وما أن فعلت حتى سمعت بكاء الطفل تحت الأرض. وجفّ ريقها وأسرعت الى المنزل وخابرت فرقة الطوارئ وهي تصيح: "النجدة! لقد سقط طفلي في بئر."

بعد دقائق شاهد اعضاء فريق الانقاذ شانتال بورتر جاثية على ركبتيها وهي تحتضن ابنتها كوينسيان وتصلي بصوت مرتفع، علّ أحداً يسمعها.

ثمّ وصلت سيارة إطفاء مجهزة. وفيما أنزل رجالها قوارير الهواء الى الحديقة، ارتمى روب ماكاي، وهو مهندس إطفاء في السابعة والعشرين، على بطنه عند فتحة البئر. وصاح: "كريستوفر! أين انت؟" فجاءه الجواب أنيناً من جوف الأرض. وسلط ماكاي نوراً عبر الكوة، وهاله ان يرى رأس الطفل على عمق ستة امتار. ويبدو أنّ كريستوفر أدخل قدميه أولا في الماسورة، ثمّ حُشر عند خصره. وبقي في ذلك الوضع وذراعاه فوق رأسه، لا يتحرّك فيه سوى أصابعه. وأمكن ماكاي أن يسمع تنفّسه الشاق. ولم يكن بين أنفه والجدار اكثر من ١٣ مليمتراً. وراح ماكاي يفكر في الآتي: "ماذا لو استسلم للنوم؟ ماذا لو سقط قليل من الرمل في الماسورة؟"

وقص رجال الاطفاء قطعة من خرطوم الري دلوها فوق رأس الصبي ووصلوها بقارورة هواء. وهكذا بات تنفّسه طبيعياً.

الأب والامّ — استدعت شانتال بورتر زوجها كي يشرف بنفسه على عملية إنقاذ طفلهما. وكان جفري متعهد بناء، وهو رجل وسيم ذو صوت هادئ بثّ الاطمئنان في نفس ماكاي. وأوضح بورتر أن هناك مثقباً طوله ١٥ سنتيمتراً في أسفل الماسروة. واذا رُفعت الماسورة، فإنّ كريستوفر يرتفع معها راكباً المثقب. وأمسك أربعة رجال أقوياء برأس الماسورة محاولين رفعها، لكنها لم تتحرّك.

وصرخ ماكاي: "أوقفوا هذا! إنكم تحشرون ذراعي الطفل."

وهذا جعل بورتر يبوح بقرار لم يقو على اتخاذه من قبل، وهو شَق حفرة أوسع يمكن الوصول منها الى ابنه. لكنّ الحفر في الرمل الجاف وبواسطة آلات ثقيلة تنشأ عنه مشكلات عسيرة. وينبغي أولا اقامة حفرة واسعة جداً على السطح لئلا يردمها الرمل. والاخطر من هذا أن آلة الحفر الثقيلة من شأنها أن تحدث

ارتجافاً في الارض وتردم فوهة البئر على كريستوفر ، فتدفنه حياً ·

وطلب رجال الاطفاء آلة حفر خفيفة فيما كان بورتر يصنع حبلا من النايلون في رأسه عقيفة، علّه يرفع كريستوفر بها كما تُرفَع السمكة من الماء· وبعد نحو ساعة تخلى عن فكرته·

في تلك الاثناء وصل اناس يجرّون آلة حفر يبلغ طول ذراعها اربعة امتار ونصف متر· لكنّ عمق كريستوفر قُدّر بستة أمتار ونصف متر· لذلك طلب رجال الاطفاء آلة اخرى، فلبى مايك ميلو (٣٩ سنة) طلبهم على الفور، وحضر هو شخصياً، ومايك خبير في أعمال الحفر·

وبادر الاطفائيين بقوله: "إننا نحتاج الى أفضل عامل على آلة حفر في هذه الديار· لذلك أنصحكم باستدعاء هارولد كلارك الذي يعمل مع شركتنا في بلدة فورت اورد·"

أما روب ماكاي فما انفكّ منبطحاً عند فتحة البئر يدعو الطفل: "كريستوفر! كيف حالك أيها الفتى؟" وكلما خفّ الصوت أو اختفى، كان ماكاي يرفع صوته حتى تأتيه صرخة او يرى أصابع الطفل تهتز· وحاول زملاء ماكاي أن يأخذوا مكانه، لكنه رفض، كما رفض أن يحلّ جفري بورتر نفسه مكانه· وسمع ماكاي بعض ذرات الرمل تسقط في الماسورة، وخُيّل إليه وهو يراها عبر النور المسلط الى أسفل أنها مبللة قليلا· وهذا جعله يخشى امتلاء البئر بالماء·

لا بديل — في نحو الساعة الثالثة تقدم مايك ميلو الى بورتر وربت كتفه وهو يقول بهدوء: "الظلام والبرد يقتربان، وعلينا أن نباشر الحفر"· وأجابه بورتر: "الحق معك! باشروا الحفر"· وذهب الى زوجته وأخذا يتضرعان الى الله معاً·

ووصلت آلة الحفر، وهي تزن ثمانية أطنان، ومعها هارولد كلارك الذي يبلغ الخامسة والاربعين· وكان درس مواصفات الحديقة وطبيعة الرمل والشجر والجذور فيها· ووجد أنّ مهمته عسيرة إن لم تكن مستحيلة، وأن عليه أن يثقب فتحة طولها ١٥ متراً· إلا أنّ مساحة الحديقة لا تسمح بذلك· ولم يكن أمامه الا أن يحفر حتى عمق ستة امتار من غير احداث فتحة واسعة، وهو أمر لم يفعله سابقاً·

وقال ميلو: "لا بديل أمامنا"· وجلس كلارك على مقعد الآلة وباشر الحفر· وشقت ذراع الحفارة الرمل·

وفجأة صاح ماكاي: "أوقفوا الحفر· الطفل لا يتحرّك"·

وأقف كلارك المحرك فيما شخصت الأعين كلها الى ماكاي المتمدّد كالنسر فوق الفتحة· وقال ماكاي: "كريستوفر! حرّك أصابعك"· وبعد دقيقة رفع ماكاي يده علامة الموافقة وهو يقول: "حيّاك الله يا كريستوفر! حسناً أيها الرجال، باشروا الحفر·"

وعمل كلارك طوال ٤٥ دقيقة من غير توقف. وكان يسيّر ذراع الحفر ووعاء رفع التراب على نحو بارع رشيق لم يحس معه ماكاي بوطأة الحفر. وتوقف كلارك قليلا بعدما بلغ الامتار الستة، ثم استأنف حفر نصف المتر الاخير لبلوغ مستوى كريستوفر. وأحضرت قطعتا معدن لدعم الحفرة.

وقال ميلو: "عظيم جداً! لقد حان دوري الآن".

وأردف كلارك: "إني نازل معك".

وانضمّ إليهما رجل ثالث هو الاطفائي راي لافونتين (٢٩ سنة). وكان الوقاء المعدني قُطع في أسفله، وبات في إمكان الرجال حفر معبر عرضه ٦٠ سنتيمتراً. وأخذوا يحفرون بمساعدة آلات غير مسنّنة.

سوء تقدير — كان الرّجال قدّروا أن معبراً بطول ثلاثة امتار و٧٥ سنتميتراً من شأنه الوصول الى كريستوفر. وبعد تغليف المعبر بالزجاج الليفي الواقي، زحف ميلو عبره وهو يأمل أن يبلغ الطفل عند مستوى خصره. وكان يزحف ويغلف المعبر في الوقت نفسه.

وهبط الظلام وأنيرت الساحة. ونظر ماكاي من موضعه ليرى الحديقة امتلأت بالوافدين من أصدقاء آل بورتر الذين انطلقوا في صلاة جماعية من أجل حياة كريستوفر.

وفي الحفرة كان ميلو غلف ثلاثة أمتار من المعبر وبقي أمامه ثلاثة أرباع المتر، وساعده في ذلك لافونتين. وشعر ميلو بالارهاق، فطلب من لافونتين أن يغلف المسافة الباقية. وانجز زميله العمل من غير ان يصل الى كريستوفر. وربما كان في الامر سوء تقدير.

عندئذ طلب ميلو من الرجال الذين فوق أن ينقروا على ماسورة البئر، علّ ذلك يعطيه فكرة عن المسافة الفاصلة. وعند النقرة الاولى سقط بعض من الرمل على الطفل، فصاح ماكاي: "أوقفوا النّقر!" أما ميلو فأدرك أن المسافة قصيرة جداً. وحفر لافونتين ١٥ سنتيمتراً، لكنه لم يبلغ الماسورة.

وقال ميلو: "انتظر! سأوسع الثقب".

ومد رأسه وكتفيه عبر الغلاف وحفر التراب في رأس المعبر حتى بات عرض الفتحة متراً وربع متر. وشقّ الفتحة بجسمه حتى غدت المسافة بين خصره ورأسه خارج الغلاف، مما يعني ان انهيار التراب فوقه يؤدي الى اختناقه. وكانت عضلات يديه ترتجف من الارهاق بعدما حفر اكثر من ساعتين.

وبات رأس ميلو على مسافة ثلاثة أمتار وثلاثة ارباع المتر من غير ان يرى كريستوفر. وقال متذمراً: "لقد أسأنا التقدير".

ولكن كيف حدث ذلك. لقد اجرى ميلو حساباته بدقة بالغة لا يمكن معها الاخفاق. وفجأة ادرك حقيقة الامر، وهو أنّ البئر تنحرف قليلا عن

النفق. إذاً، يجب ان يكون الصبي أمامه مباشرة.

وحفر ميلو قليلا بأصابعه، وتحسّس جسماً حياً بيده. وفي الوقت نفسه رأى ماكاي الطمي يسقط على كريستوفر. وللحال جأر: "انهما هناك! وفي استطاعتي رؤيتهما."

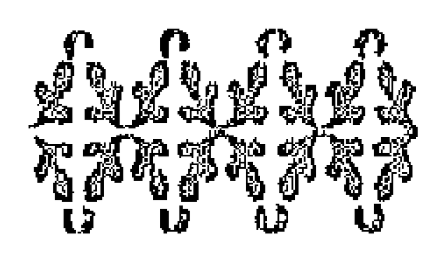
وصاحت شانتال بورتر: "عظيم! الحمدلك يا ألله."

وراح ميلو يبعد التراب عن رأس الطفل. وقال له بصوت أجشّ: "كريستوفر". وأدار الصبي رأسه ورفت عيناه للنور المنبعث من النفق. وحمله ميلو من صدره وخرج به.

وكانت الساعة السادسة مساء عندما عاين طبيبُ العائلة الطفل. ووجد أن الاذى الذي لحق به لا يتجاوز بعض الخدوش وضربة خفيفة على الرأس وانحراف عصب في إحدى ذراعيه.

وكانت العملية خبرة لا تُنسى بالنسبة الى ماكاي وميلو وكلارك. وقطع كلارك عهداً على نفسه بعدم تكرار تلك الطريقة. واعترف لاحقاً بأنّ أخطاراً عدّة كانت لهم بالمرصاد. وأضاف: "لا شكّ في أنّ عين الله تعالى كانت علينا."

■ بيتر مايكلمور



لا تنسوا علامات الاستفهام!

اذا شئت أن تكون محدثاً لامعاً، فاحرص على علامات الوقف التي تضعها بين مقاطع حديثك. لا تنس النقطتين الواحدة فوق الاخرى، لانهما تقدمان شرحاً لما قلته قبلهما. وانتبه للفاصلة، فهي تقسم حديثك مقاطع وتجعله واضحاً. وأكثر من النقاط، فهي تريح المستمع وتعينه على التأمل في ما تقول. ولا تهمل علامة الاستفهام، فهي تدعو المستمع الى اخذ دوره في الحديث.

ب.ل.

س ــ ٨١٨

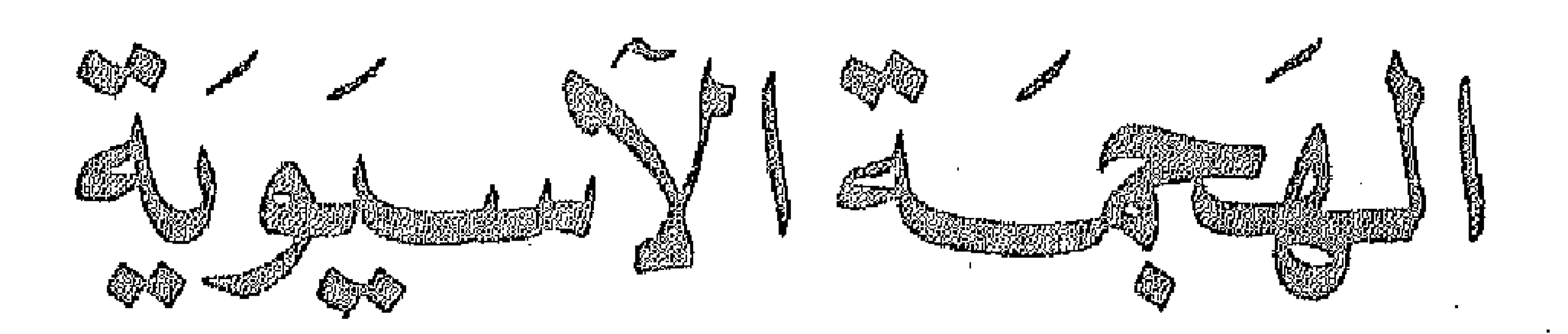
عذر صيني

ان كل كاتب يرسل اعماله الى المجلات المختصة يخشى أن ترفض مقالاته. وفي الصين ابتكرت احدى المجلات الاقتصادية العذر الآتي لرفض المقالات:

"لقد قرأنا مخطوطتك بمنتهى السرور. ولو نشرناها لما أمكننا نشر أي مقال آخر ازاءها أو بعدها لانه سيكون ادنى منها مستوى. وبما أننا نعتقد أنه لن يظهر مثيل لها في السنوات الالف المقبلة، فاننا نعيدها اليك، معتذرين ألف مرة لعدم نشرها".

م. ب

سنغافوره وكوريا الجنوبية
وتايوان وهونغ كونغ كانت لسنوات خلت
من أفقر البلدان، فغدت اليوم قوى
صناعية كبرى في سوق التصدير العالمية



التجار القلقون من التحدي الياباني في مجال التصدير يجدر بهم ان يستعدوا لمواجهة الموجة الآسيوية الجديدة: اربع "يابانات" صغيرة ذات قوة تنافسية متنامية. وقد حصدت سنغافوره ٢٥ في المئة من الطلبات العالمية على ابراج الحفر للتنقيب عن النفط، فجاءت بعد الولايات المتحدة مباشرة في هذا المجال. وكوريا الجنوبية التي هي اكبر منتج في العالم لأجهزة التلفزيون غير الملونة، بدأت اليوم تنتج اجهزة ملونة ومسجلات فيديو محلية التصميم. اما تايوان وهونغ كونغ اللتان اشتهرتا طويلا بصناعة الالبسة وتركيب الاجهزة الالكترونية البسيطة، فانهما دخلتا مجال الاتصالات المتطورة والادمغة الالكترونية. ان تأثير هذه القوى الاربع في التجارة العالمية بدأ فعلا ينافس مركز اليابان.

هذه البلدان النشطة التي يطلق عليها الاقتصاديون اسم "التنانين الصغيرة"، غدت اكثر الاعضاء نجاحاً في نخبة الدول الصناعية النامية ـ وبينها البرازيل والمكسيك ـ التي يسمّيها الخبراء الاقتصاديون "الدول المصنعة حديثاً." وهي حققت نمواً اقتصادياً حقيقياً بلغ معدله ٩،٤ في المئة سنوياً خلال السبعينات في مقابل ٤،٦ في المئة في اليابان و ٣ في المئة في الولايات المتحدة. وان اندفاع هذه العصبة الآسيوية الرباعية

نحو التصدير يوحي بأنها ستوسع اقتصادها بمقدار سبعة الى تسعة في المئة سنوياً خلال الثمانينات لتغدو بلداناً صناعية مكتملة النمو.

والتنانين الآسيوية الصغيرة استحوذت على دور دولي يفوق حجمها مجتمعة ويوازي تسع اقتصاد اليابان. وخلال خمس سنوات (حتى العام ۱۹۸۰) تضاعفت صادراتها فبلغت نحو ۷۲ مليار دولار. ان مجموع سكان هذه البلدان يبلغ ۶۳ مليون نسمة، اي ١،٤ في المئة من مجموع سكان الكرة الارضية، لكن هذه التنانين تحظى بنحو ٤ في المئة من مجموع صادرات العالم.

وفي سعيها الى منافذ جديدة اخذت هذه البلدان تشق طريقها في الحرم الياباني. وقد بدأت مصانع السفن في كوريا الجنوبية مثل "هيونداي"، تنافس المصانع اليابانية بتقديم عروض ذات اسعار ادنى لعقود بناء السفن. واقتبس تقنيو هونغ كونغ اللعبة اليابانية القديمة في التقليد المبدع، وهم يعمدون بسرعة الى تحسين آخر تصاميم الساعات الالكترونية اليابانية ثم ينتجونها ويصدرونها بأسعار متدنية.

كذلك اخذ صناعيو آسيا الجدد يبيعون بربح وافر نتاج ادمغتهم وتقنيتهم الى جيرانهم الذين لم يطوروا بعد مهاراتهم العصرية لتماشي ثرواتهم المعدنية والنفطية. ويمتد نشاط هؤلاء الى الدول العربية المنتجة للنفط حيث الشركات الكورية هي أنشط الشركات الانشائية، وهي تأتي بكل شيء من الوطن بما في ذلك الفولاذ والمهندسون والعمال الكادحون. وتوفر هونغ كونغ للصين ثلث ما لديها من النقد الاجنبي ومقداراً كبيراً من الخبرة لتحديث اقتصادها المتعثر. وسنغافورة هي القطب المالي المستقر في المنطقة، وقد اجتذبت ودائع بقيمة ٨٤،٣ مليار دولار حوّلت الى حساب الدولار الآسيوي، وهو هناك نظير الدولار الاوروبي.

أقزام وجبابرة – هذه البلدان التي كانت فقيرة تحولت قوى صناعية ضخمة خلال عقدين من الزمان. وتحقق ذلك بفضل البرامج الحكومية أو بتشجيع منها. فقد حافظت الادارة البريطانية في هونغ كونغ على أدنى مستوى ممكن من الضرائب وفتحت شتى السبل أمام التجارة محدثة بذلك ما قد يكون أضخم وحدة أقتصادية حرة في العالم. أما البلدان الثلاثة الاخرى فحكمها رجال اشداء عرفوا السبيل الى تأمين أستمرارية بلدانهم. والانظمة التي أقامها هؤلاء كانت عملية وحظيت بدعم من أختصاصيين تقنيين في الاقتصاد. وهم شجعوا الصناعات الرئيسية عن طريق خفض الضرائب وحفز التصدير. ولم تكن هذه الحكومات تتدخل الا متى أحتاجت المشاريع الضخمة الى رأس المال الخاص. حينئذ كانت تمد اليها يد العون لتأمين أنطلاقها. وكما

فعلت اليابان من قبل ركزت التنانين الصغيرة جهودها في البداية على عدد قليل من المنتجات، ثم أخذت تتوسع منطلقة من المواد الاستهلاكية الاساسية الى الآلات الضخمة.

هذه التنانين الاربعة تجمعها القيم الكونفوشية التي تحث على اتقان العمل. ويقول كيم كيونغ وون الامين العام لرئاسة جمهورية كوريا الجنوبية: "ذلك هو الانضباط الادبي وايثار المستقبل ومنفعة الاجيال الآتية على المنفعة الفورية." هذا المنحى يشجع على توظيف الاموال في المصانع والمعدات وما الى ذلك بمقدار ٢٤ الى ٣٩ في المئة من مجمل الدخل القومي، وهو ضعف المعدل في الولايات المتحدة. والى ذلك فان الاخلاص الكونفوشي للثقافة يوحد نفوس الناس الذين ليسوا مثقفين فحسب، بل يتمتعون بطموح عظيم.

ان فوائد هذا النمو الصناعي دفعت اقتصاد هذه البلدان الى الامام. فالتنانين الاربعة تكافح لتأمين توزيع عادل لدخل يعني مستوى معيشياً سريع النمو لعمال المصانع وثراء لاكثر رجال الاعمال جرأة. وعلى سبيل المثال، يبلغ متوسط الدخل السنوي لابناء سنغافورة ٤٠٠٠ دولار، وهو ضعف ما كان قبل ١٠ سنين بعد اخذ التضخم المالي في الاعتبار.

واكتسبت التنانين الصغيرة زخماً اضافياً من كونها اكثر انفتاحاً من اليابان في وجه اصحاب رؤوس الاموال الاجانب الذين يحملون معهم المعرفة العملية ومفاتيح الاسواق.

وتزدهر هذه البلدان، فوق كل شيء، كساحات منافسة صناعية لرجال الاعمال النشطين. فالشركات التي ينشئها هؤلاء هي اكثر مرونة من الشركات اليابانية الجبارة التي تحكمها سياسة جماعية. وهناك مهندس في سنغافورة اسمه بريان تشانغ وعمره ٣٨ سنة، اصبح صاحب شركة كبرى لابراج الحفر في مدى عشر سنين فقط منطلقاً برأسمال مقداره ١٠ آلاف دولار. وقد بلغت ارقام مبيعات شركته عام ١٩٨١ (١١٠ ملايين دولار. وعندما انخفضت موقتاً اعمال التنقيب عن النفط في جنوب شرق آسيا عام ١٩٧٥)، حقق تشانغ ارباحاً من بناء ارصفة المرافىء وتنظيف قاع المرافىء في فنزويلا والخليج العربي. ويقول في ذلك: "اننا نتكيف مع السوق."

والتنانين الصغيرة الاربعة تحسن مصانعها ومهاراتها كجزء من مخطط عام لزيادة التصدير. يو تزونغ - شيان مدير معهد الاقتصاد في اكاديمية سينيكا في تايوان يتحدث عن هذا الموضوع: "اذا اخذنا في الاعتبار تفوقنا النسبي، لرأينا ان على اليابان والولايات المتحدة التخلي عن بعض الصناعات لنتولاها نحن. وسيكون ذلك على غرار ما فعلت اليابان من قبل حين استولت على بعض القطاعات الامريكية والاوروبية في صناعة آلات التصوير".

خلف الجميع - تتوقع التنانين الصغيرة أن ترغم على الخروج من المجالات التي تعتمد الايدي العاملة

الرخيصة. فالدول التي تتوافر فيها اليد العاملة ذات الاجور الزهيدة، بما في ذلك الصين الشعبية، أخذت توسع صادراتها من الالبسة والالعاب وسواها من المواد الاستهلاكية البسيطة. يقول يو: "اذا لم نرفع مستوى تقنيتنا، فسوف نفقد قدرتنا على المنافسة أمام البلدان النامية ذات الاجور الادنى."

تايوان وبلدان اخرى تندفع في ما يسميه مخططو اقتصادها "صناعات التكنولوجيا المكثفة" بما في ذلك صناعة الالكترونيات المتطورة والآلات الدقيقة. وقد استقطبت "حديقة العلوم" التي اقيمت للشركات قرب تايبه عاصمة تايوان، ٤٠ مشروعاً بينها واحد قدّمته مختبرات "وانغ" لصنع اجزاء الادمغة الالكترونية المصغّرة. اما الشركات الالكترونية المحلية التي يديرها اصحابها فتجذب احدى كبرى ثروات الجزيرة، اي المهندسين الذين تبدأ اجورهم بـ ٣٥٠ دولاراً شهرياً.

بقي امام التنانين الصغيرة ان تجاري اليابان في ترويج ماركاتها التجارية في الغرب. شركة "ميكرو الكترونيك" في هونغ كونغ حققت مبيعات بـ ٣٠ مليون دولار عام ١٩٨١ من صنع العاب الكترونية لشركة "ماتل" الامريكية وساعات لشركة "ك. مارت" الامريكية ايضاً وقطع غيار لشركات بينها "سوني" اليابانية و "آي. تي. تي" العالمية لاجهزة الهاتف والمواصلات اللاسلكية.

وتبذل سنغافورة الجهد الاكبر لتسلق سلم التقنية، فترفع الاجور لتحد نزعة المصانع الى استغلال اليد العاملة الرخيصة. وقد باركت الحكومة التي تتحكم بسلم الاجور زيادات لم يسبق لها مثيل بمعدل ٢٠ في المئة سنوياً خلال السنوات الثلاث الاخيرة. ويقول سوبيا دانابالان وزير الخارجية: "كان منظر المصانع المحاصرة في الولايات المتحدة واوروبا درساً عميق الاثر فينا. فاما ان نتحرك صعداً واما ان نطرد نهائياً من مواقعنا الحالية." ويبدو ان خطة سنغافورة لرفع الاجور لم تضعف همة الشركات الاجنبية التي ما زالت توفر ٨٦ في المئة من التوظيف المالي لسنغافورة في المصانع والمعدات. بل ان معظمها تزيد تسهيلاتها ومنتجاتها على نحو ملحوظ.

من الواضح ان شركات أمريكية عدة تفيد من كبح القوة المتصاعدة للتنانين الاربعة، اذ ان جانباً كبيراً من براعتها في التصدير مستمد من المصانع المحلية المتعددة الجنسيات والمتعهدين الذين ينفذون عقوداً طويلة الاجل مع الشركات الامريكية. وفي الوقت نفسه تحاول الدويلات الاربع الصغيرة ان تتحد في تجمعات كبيرة لمنافسة اليابان والولايات المتحدة واوروبا. ولكن اليوم، بعدما اصبحت الطاقة ابهظ ثمناً والمنافسة اكثر حذراً، فان هذه العصبة الآسيوية من الدول الصناعية الحديثة ستجد الطريق امامها عسيرة وعرة.

■ لويس كرار

الاصنام:
الزلزال الأخير؟

مدينة الاصنام في الجزائر تعرضت لزلزالين مدمرين خلال ١٦ سنة، وهي علمت العالم درساً لا ينسى

ذات يوم من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ وقف احد عمال الانقاذ لاهثاً امام كومة عالية من الاسمنت وقضبان الفولاذ التي غطّت مدينة الاصنام في الجزائر. وقال: "في المرة السابقة كان العمل اسهل، اذ كانت الابنية مشيّدة بالحجار ولم يكن علينا سوى دحرجتها لكشف الضحايا تحتها."

مدينة الاصنام دمرّها زلزال عنيف في سبتمبر (ايلول) ١٩٥٤ وكان اسمها آنذاك اورليفانفيل. وقد اقيم مجمع سكني اطلق عليه اسم "النصر" لايواء ضحايا ذلك الزلزال. ولكن في العاشر من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ تحوّل هذا المكان مقبرة جماعية حين ضرب المدينة زلزال عنيف آخر بلغت قوته ٧،٣ درجات على مقياس ريختر (١)

لم يكد غبار المدينة المدمرة يستقر حتى هبّت عاصفة من الانتقاد للطريقة التي شيدت بها تلك المدينة. وأدعى أحد المهندسين أن الابنية لم تكن مدعمة على نحو صحيح.

نحن نعرف ان القشرة الارضية محطمة الى نحو اثنتي عشرة قطعة في شكل الواح متجاورة تتحرك ببطء وتتصادم او تحتك بعضها ببعض. وعندما يوقف الاحتكاك حركة لوحين متلاصقين تتجمع ضغوط هائلة في الطبقات الصخرية السفلى وتكون النتيجة حدوث زلزال. وعندما تنشق الصخور تتحرّر الالواح وتندفع الى الامام.

احدى المناطق الزلزالية هي حوض البحر الابيض المتوسط حيث يتصادم

---

(١) مقياس ريختر هو نظام قياس لوغارثمي. فزلزال من الدرجة ٧ يكون نحو ٣٠ مرة أشد من الدرجة ٦ و ٩٠٠ مرة أشد من الدرجة ٥. والهزة الخفيفة التي نحس بها من دون آلات رصد تعتبر من الدرجة ٣. اما الهزات المدمرة فتكون عادة من الدرجة ٦ وما فوق على مقياس ريختر.

اللوحان الافريقي والاوراسيوي (الاوروبي ـ الآسيوي)٠ ويقول راوول مادارياغا عالم فيزياء الارض التشيلي ان افريقيا تدور ببطء نحو اوروبا وتنزاح كأنها باب يغلق على البحر الابيض المتوسط٠ وتبلغ حركة الانغلاق هذه سرعتها القصوى عند الطرف الشرقي للبحر، ولهذا السبب تتعرض تركيا ويوغوسلافيا للزلازل على وتيرة تكاد تكون منتظمة٠ اما الجزائر التي تقع على مقربة من مفصلة هذا الباب فتتحرك نحو اوروبا قرابة ٥،(سنتيمتر كل سنة٠

ان اهتزاز الارض وحده لا يقتل الناس، بل انهيار الابنية والجسور والسدود وتطاير شظاياها٠ وتضرب الزلازل الابنية بطريقتين: بعض انواع التربة، خصوصاً التربة الرملية، تركد او تميع كالسوائل عندما يهزها الزلزال٠ وفي هذه الحال تغور الابنية في الارض او تنحرف٠ وقد تلتوي الاسس وتظهر الشقوق في الجدران عند القاعدة ثم ترتفع وينهار البناء كله٠ ويعتقد مادارياغا ان هذا ما حدث للمجمع السكني في مدينة الاصنام٠

الطريقة الثانية المدمرة هي ارتجاج الابنية مع الحركات الارضية العنيفة لدى حدوث الزلزال٠ وتشاد الابنية على نحو يقاوم الجاذبية التي تشدها دائماً الى اسفل٠ لكن الحركات الجانبية خلال الزلزال قد تفرض عليها قوى تفوق قوة الجاذبية العمودية٠

عندما تنحرف الابنية جانبياً تفقد قطع اللبن (٢)، واعمدة الاسمنت غير المسلح قدرتها على الاحتمال، فتلتوي وتنهار٠ والبيوت المشيّدة باللبن هي اخطر الابنية في الزلازل٠ لكن الابنية الحديثة ايضاً لا تخلو من الخطر٠ فأعمدة الاسمنت العادية تتقصف تحت وطأة القوى الضاغطة، الا اذا كانت مدعّمة بالقضبان الفولاذية التي تقويها وتحتضن القطع المتكسرة في الاعمدة فتبقيها قادرة على احتمال العبء الواقع عليها٠ اما مواد البناء الكمالية غير المثبتة جيداً كالواجهات والزخارف فأنها تصبح قذائف قاتلة٠ وللابنية قابلية ترداد (ترجيع) على ذبذبات معينة، ويمكنها بالتالي ان تضخّم ذبذبة الاهتزازات الزلزالية الخفيفة وترفعها الى مستويات مدمرة٠

وقوانين البناء هي سلاح المجتمع لمقاومة الواجهات المتساقطة٠ والقانون الاكثر شيوعاً والذي يتم تعديله وتحديثه مرة كل ثلاث سنوات في المؤتمر الدولي للمسؤولين عن البناء ومقره في الولايات المتحدة، يوجب ان تكون الابنية في ارتفاعها وتصميمها وانشائها قادرة على احتمال مقدار محدد من الضغوط الافقية٠ وفي اي حال من العسير ان نتكهن بمصير اي بناء في مثل هذه الضغوط٠ ففي حين ينهار بعض الابنية الحديثة، فأن الابنية القديمة التي لم تطبق في انشائها احكام القانون تصمد غالباً في وجه الزلازل٠

والقوانين لا تعتمد النظريات العلمية المجردة فحسب، بل كذلك التجربة والاختبار٠ ويقول روبرت بيج من دائرة المسح الجيولوجي في

(٢) طين تصنع منه حجار للبناء٠

الزلازل في الشرق الاوسط

خلال هذا القرن قتل ١٦٠ الف شخص على الاقل بفعل الزلازل في الشرق الاوسط، ومنذ ١٩٥٣ دمّرت ٨٠٠ قرية وشرد ٥٠٠ الف شخص. اكثر البلدان تضرراً كانت ايران وتركيا. فقد ضرب ايران ٣٥ زلزالا عنيفاً منذ العام ١٩٠٠ تسبّبت في وفاة نحو ١٠٠ الف نسمة، كما ضرب تركيا ٣٠ زلزالا عنيفاً قتلت قرابة ٦٠ الفاً. كذلك حدثت زلازل مدمرة في مصر والشرق العربي. وفي المغرب، اكثر بلدان شمال افريقيا تعرضاً للزلازل، دمر زلزال كبير مدينة أغادير عام ١٩٦٠ مخلفاً نحو ١٢ الف قتيل.

واقترح العلماء اتخاذ تدابير احترازية كوضع خرائط تحدّد المناطق المعرضة للزلازل وتطبيق انظمة بناء مقاومة لزلازل تحدّ من الدمار، وان تكن تؤخر مشاريع البناء وتزيد كلفتها بما يراوح بين ٢ و ١٠ في المئة. غير ان كثيراً من بلدان الشرق الاوسط لم تخفق فقط في اتخاذ مثل هذه التدابير، بل كذلك في تهيئة السبل لجمع المعلومات التي تجعل مثل هذه التدابير ممكنة. وحدها الجزائر وتركيا واسرائيل تعتمد انظمة بناء مقاومة للزلازل معترفاً بها دولياً. وقد وضعت ايران انظمة للبناء عام ١٩٦٦، ولكن ليست لديها اي خرائط تحديد رسمية. اما المغرب فلديه بعض الانظمة الموقتة. وفي بلدان اخرى يطبق بعض شركات البناء الانظمة المعمول بها في الولايات المتحدة وفرنسا والمانيا الغربية والتي ليس بينها ما صمم لبلدان الشرق الاوسط.

خلاصة القول ان حكومات قليلة جداً في الشرق الاوسط تعتبر الزلازل مشكلة اساسية. لذلك فقد تقع كارثة تفوق حد التصور اذا استمر تنفيذ مشاريع التنمية الكبرى مثل السدود والمفاعلات النووية من دون اتخاذ التدابير الاحترازية للوقاية من الزلازل. ولا يسع المرء الا ان يأمل ان تعي هذه الحكومات، قبل فوات الاوان، التحذير الذي خطته الزلازل على جدران مدينة الاصنام.

جوديت بيريرا
في "مجلة الشرق الاوسط" (لندن)

الولايات المتحدة: "هنالك كثير من الابنية التي شيّدت وفقاً للمواصفات التي حددها القانون، لكنها لم تختبر بعد في زلزال عنيف. ويجب أن نحكم على صلاحية القوانين على أساس ما تثبته الابنية في مثل هذه التجربة."

واستناداً الى وضع مدينة الاصنام بعد زلزال ١٩٨٠ حكم على مهندسي البناء في الجزائر بأنهم كانوا خائبين. اذ ان ما يزيد على نصف الابنية تضررت الى حد جعل من الضروري هدمها الى اساساتها.

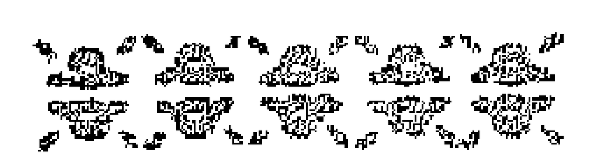
ويبدو ان الخطأ هناك ناشىء عن اسباب نظرية واقتصادية وتقنية معاً. ففي العام ١٩٥٤ لم تكن نظرية الالواح الارضية المتحركة معروفة، وكان كثير من العلماء يعتقدون ان الزلازل تنتج من برودة قشرة الارض وتقلصها. والموظفون الفرنسيون الذين عهد اليهم في اعادة بناء مدينة الاصنام اعتقدوا ان خطر

حدوث زلزال عنيف في اورليانفيل ليس اكبر مما هو في موقع آخر يبعد بضعة كيلومترات اقترح ان تشاد عليه المدينة الجديدة. ووافق على ذلك جيرار بلاشير المفوّض المسؤول عن اعادة بناء المدينة، وكان قراره منطقياً بالنظر الى المعلومات المتوافرة حينذاك. وفي ما بعد، حين اصبح بلاشير مديراً للمركز العلمي والتقني للبناء في باريس، ساهم في وضع مشاريع وأنظمة للوقاية من الزلازل في الجزائر وفرنسا. هذه الانظمة ادخلت صلب القانون الجزائري عام ١٩٦٩، لكن التعليمات بتطبيقها بدقة لم تصدر الا عام ١٩٧٩. وخلال تلك السنوات شيدت ابنية كثيرة بينها ذلك المجمع السكني العاثر.

وحتى في العام ١٩٧٩ ظلّت الانظمة المفروضة صالحة لزلازل اقل عنفاً من هزة ١٩٨٠. ويقول مهندس في مدينة الاصنام: "نصحت المسؤولين الفرنسيين بتشيدد ابنية تصمد امام زلزال من العنف نفسه، لكن ذلك كان سيكلف كثيراً."

وانبعثت مدينة الاصنام ثانية في ظل قوانين اكثر تشدداً بالنسبة الى العمارات الكبرى. واذا خدمها الحظ، فلن تدمر مرة اخرى.

■ دنيس اوفرباي



... الا هذا!

كان المنتج المسرحي ديفيد بيلاسكو، كلما قدّم مسرحية، يحاول أن يقنع كل ممثل بأنه نجم مسرحي ذو اهمية، مهما كان دوره ضئيلا، وبأن في امكانه أن يبلغ الذرى. وقبل رفع الستارة في ليلة افتتاح احدى المسرحيات، توجه بيلاسكو الى ممثل ذي دور عابر وسأله: "ما هو المبلغ الذي اتفقنا عليه؟" فأجاب الممثل: "خمسون دولاراً في الاسبوع". فما كان من بيلاسكو الا ان ربت على كتف الممثل قائلا: "حسناً، العب دورك هذه الليلة كما لو كنت تتقاضى الف دولار".

م.ا.

الحافز الحقيقي

بعد حضوره مؤتمراً حول تعزيز الانتاج، استدعى المدير أحد الموظفين الى مكتبه وبادره قائلا: "ان مسؤولياتك هنا ستتضاعف ابتداء من اليوم".

- وهل يعني هذا أن راتبي سيزيد؟

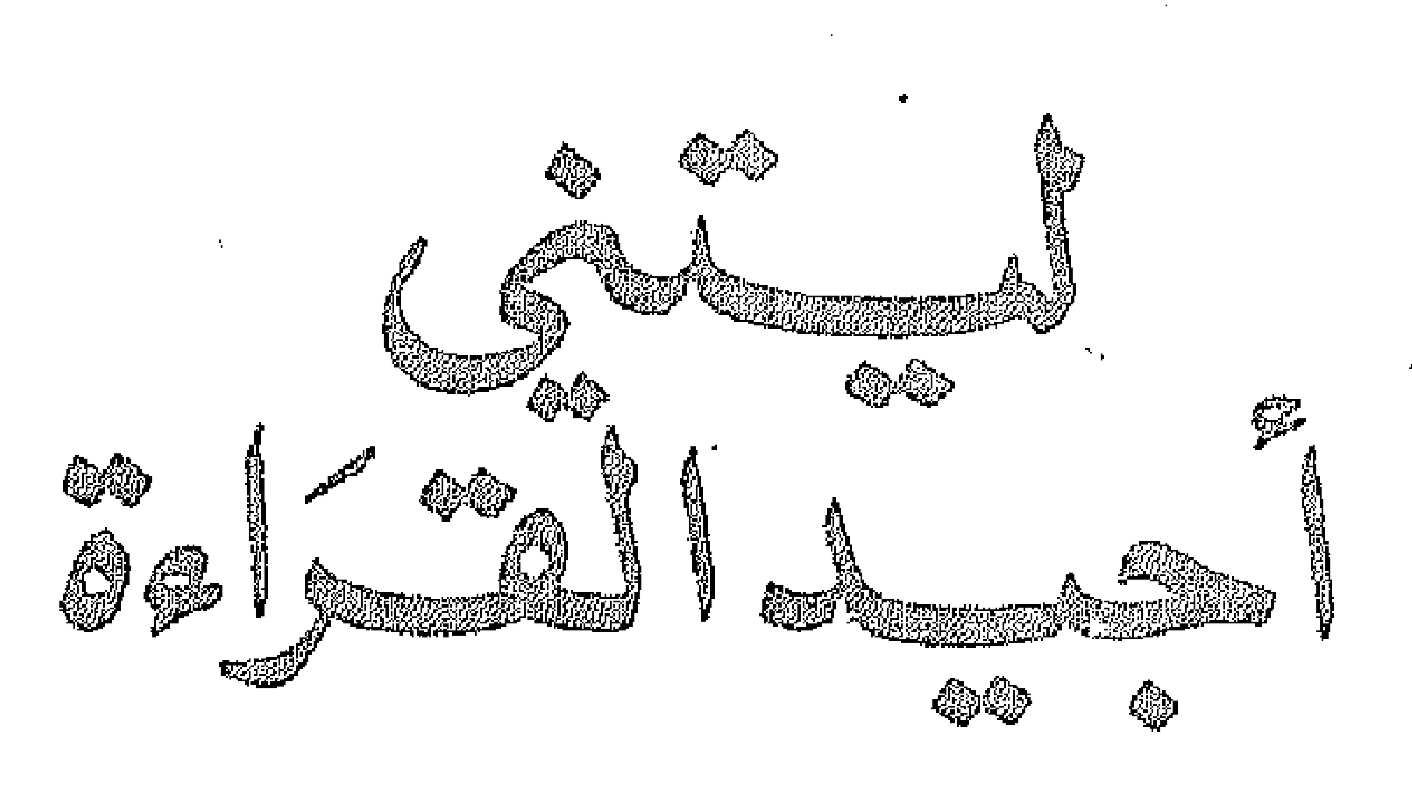
"كلا! فالمال ليس عنصراً حافزاً على الانتاج".

- وإذا أنجزت لك ما تريد، فهل يزيد راتبي؟

"أقول لك كلا. ولكي تفهم نظرية الدوافع الايجابية على حقيقتها، خذ هذا الكتاب الى البيت واقرأه. وعد إلي غداً لنتكلم حوله".

- وهل يزيد راتبي اذا قرأت الكتاب؟

س.ف.





**مضت عليها سنوات
وهي تعاني الوحدة والشقاء
وعذابات عقلية
اعجزتها عن التعلم.
ثم في السن الثالثة والثلاثين
توصلت الى اكتشاف
غير مسار حياتها**

نشأت ماري تشاب غريفار في شيكاغو. وكانت الثانية بين اطفال عائلتها الثمانية، بالغة النشاط لا تهدأ لها حركة. ويتذكر والدها النوبات التي كانت تصيبها فتبادر الى الصراخ او يغمى عليها. وكانت العائلة تعزو سلوك ماري الى طبعها الحامي، في حين انها هي اذ تعود بذاكرتها الى تلك الفترة تعتقد ان السبب هو الخيبة والاحباط.



Condensed from Family Circle (September 22, 81) New York N. Y.
Photo: Jim Grigar — (C) Family Circle

عندما التحق اخوها الاكبر بالمدرسة الابتدائية، كان يقرأ عليها دروسه باعتزاز. وكانت هي تحفظ عن ظهر قلب الكلمات المصاحبة للصور. وعندما التحقت ماري بالمدرسة، كانت خبيرة بالقراءة الى حد ان معلمتها في الصف الاول ظنتها نابغة.

الا ان متاعب ماري بدأت في السنة التالية عندما انتقل صفها الى قراءة كتب لم تألفها. ووجدت نفسها عاجزة عن التمييز بين كثير من حروف الابجدية. وحاول والداها مساعدتها بلصق الحروف على جدران غرفتها، لكنها ظلت عاجزة عن تمييز الحروف وان تكن تتذكر اسماء جميع الحيوانات التي يرمز اليها كل حرف.

وعندما انتقلت الى الصف الابتدائي الثالث، ابدلت معلمتها الحنونة بأخرى عرفت بالقسوة وحب الانضباط. وكثيراً ما سمعت ماري توبيخاً من نوع "انت لا تركزين ولا تحاولين. انت كسولة." ثم جاءت العبارة التي بقيت تتردد في رأس الصغيرة: "انت معتوهة."

ولم يطل الامر بالطفلة الحساسة حتى هوت الى قاع من الخيبة والاكتئاب. وفي الصف الرابع كانت شقية في المدرسة وقد تملكها الاضطراب والحنق والتعاسة. "كانوا يجلسونني في مؤخر الغرفة كي لا اقلق راحة الآخرين. وكنت اعود الى البيت كل مساء وأبكي." وكان الصف الخامس اتعس من سابقه. "لم يسعني تذكر الدروس لاني كنت اعجز عن مطالعتها. وكانت المعلمة تحتجزني بعد الدوام كل يوم ولمدة خمسة اسابيع."

وكان العقاب في الصف السادس كتابة اي كلمة يخطىء التلميذ في تهجئتها ٥٠ مرة في المساء. واعتادت ماري ان تخطىء كل يوم في تهجئة ما بين ٢٥ و ٥٠ كلمة. وهكذا كتب عليها كل مساء ان تقضي ساعات طوالا في محاولة كتابة كل هذه الكلمات من دون ادنى فكرة عما كانت تتهجاه. هكذا خلطت بين "رهب" و "ذهب" وبين "نام" و"لام" وسوى ذلك. وعندما كانت المعلمة تجبرها على الوقوف والقراءة بصوت عال، كان الارتباك يبلغ بها درجة تبليل ثيابها الداخلية.

في الوقت نفسه كانت مشاكل ماري الاجتماعية لا تقل عن مشاكلها المدرسية. فالاطفال الآخرون كانوا يضايقونها ويروون عنها نكاتاً قاسية. وكان ردها الوحيد الانفجار بالبكاء.

وبدأت تفرط في الاكل. وكلما ازدادت سمنتها ازداد احساسها بالتعاسة، كأنما كانت تنسج خيوطها وسط دائرة جهنمية مفرغة. وهي لم تفهم السبب الذي حال دون قدرتها على القراءة مثل سائر الاولاد.

كان ابواها القلقان يستحثانها على بذل مزيد من المحاولات. لكنهما عاملاها دائماً بحنان بخلاف معلماتها.

وتتذكر ماري معلمة كانت تأخذها الى القاعة كل يوم. "كانت تجذبني من ذراعي وتنشب اظفارها في لحمي وتهزني قائلة: انت لا شيء. انت بنت نائحة. كيف تتوقعين ان تتعلمي اذا لم تبذلي اي محاولة؟"

مهرجة الصف — جاء انقاذ ماري مع فرقة المرشدات الكشفية. ففي

إطارها شعرت بقدرتها على الانجاز. وكانت الفرقة تخطط لتقديم تمثيلية. وسألتها القائدة اذا كانت ترغب في تمثيل احد الادوار، فما كان منها الا ان اعترفت وسط دموعها بانها لا تستطيع القراءة. وشد ما كانت فرحتها عندما لم تصدم القائدة بما سمعته بل قالت بهدوء: "سأقرأ المسرحية وفي امكانك حفظها." وهكذا فعلت. وأدت ماري دورها باتقان. بيد ان المدرسة ظلت كابوساً بالنسبة اليها. وكثيراً ما اضاعت لوازمها وأمتعتها لانها لم تكن تستطيع تشكيل صورة ذهنية عن الاماكن التي وضعتها فيها. ولم تكن تؤدي واجباتها المدرسية لعجزها عن تدوين فروضها او تذكرها. وهي تقول: "بدأت اعتقد اني مجنونة." وهنا نفضت معلماتها ايديهن من محاولة تعليمها.

وكان دفاع ماري في هذا الصدد انها اصبحت مهرجة الصف، تحول كل شيء اضحوكة قبل ان توجه اصابع السخرية اليها هي. لكنها في داخلها ظلت تشعر انها فتاة حزينة، وحيدة، جريحة المشاعر. وتظهرها صورها في السن الرابعة عشرة وكأنها في الثلاثين، مكتنزة وفي غاية الاضطراب.

لكن أبويها بقيا على تشجيعهما لها. اوصياها بالا تهتم لعلاماتها في المدرسة، على ان تبذل اقصى جهدها. وكانت امها لا توفر فرصة الا وتكيل لها المديح. وتقول ماري: "كان والدي رائعين. وهما اشعراني بالانتماء."

في المدرسة الثانوية وجدت ماري سبلا لتعويض عجزها عن القراءة. فاختارت مواضيع مثل الخياطة والطهو، وتفوقت في الخطابة بأن حفظت ما كان زملاؤها يقرأون لها بصوت عال.

وكان اول عمل لها في محل للملابس الجاهزة. وهي برعت في البيع، الا ان تعبئة الاستمارات كانت جحيماً بالنسبة اليها. ثم انتقلت الى دار حضانة نهارية حيث كان نجاحها باهراً في رعاية الاطفال في السن الرابعة. لكنها كانت عاجزة عن اعداد التقارير.

ثم تطوعت للعمل في ميتم، وكانت تعلم مهارات تنسيق العضلات لاطفال يعانون خللا في ملكة التعلم. وانتابتها يوماً نوبة يأس فصاحت في وجه المعلمة: "احرى بي ان اقبع على الارض فأزحف مع هؤلاء الاطفال لانني لا اعرف القراءة."

قالت المعلمة: "هذا غير معقول، فأنت من الذكاء بحيث يستحيل ان تعجزي عن القراءة." واخذت ماري الى طبيب عيون، فأفاد في تشخيصه بوجود مشاكل في التركيز وسبر الابعاد. وكان هذا اول خيوط المعضلة. وتتذكر ماري بسعادة: "اخيراً جاء اختصاصي يقول لي انها لم تكن غلطتي وان هناك خللا ما."

ثم التقت ماري جيم غريغار فأصبح جزءاً من حياتها. فكان يجلس معها لساعات ويسهر على تمارين العين التي وصفها لها الطبيب. وهي تقول: "ما ان اكتشفت جزءاً من مشكلتي حتى شعرت اني على ما يرام الى درجة ان اقع في الحب."

وتزوجا عام ١٩٦٦. وبعد سنة انجبا

ابنهما ديفيد، وكرّت سبحة الاطفال الذين كانت ثمة حاجة ماسة اليهم. ذلك بان رعاية البيت والاطفال هي الامر الوحيد الذي تعلم ماري ان في وسعها تأديته. وكانت تعد قوائم البقالة بنسخ الكلمات الملحقة بالصور المنشورة في اعلانات الصحف.

وبلغ ديفيد سن الدراسة، فبدأ يعاني مشاكل ترددت اصداؤها في ذاكرة امه. "كنت اراجع معلمته. لكن كل ما سمعته عنه انه كسول ولا يريد ان يركز. كل ذلك كان يذكرني بأيام دراستي التعسة ويدفعني الى البكاء."

وكان قلب ماري يصرخ طالباً النجدة، ليس من اجل ديفيد فحسب، بل من اجلها هي ايضاً. فها انها سيدة ناضجة تزاول حياة حافلة من دون ان تستطيع قراءة صحيفة او لافتة في شارع او ان تتذكر اي قناة تلفزيونية تعرض برنامجها المفضل.

وجاءها العون عندما دعت صديقتين الى الغداء. وكانت احداهما طبيبة نفسانية، فقالت لماري: "اظن انك تعانين خللا بسيطاً في الدماغ." فأجابت ماري كعادتها في التندر عندما لا يكون لديها خيار آخر: "الف شكر. هذا عين ما كان ينقصني."

واقترحت الضيفة على ماري ان تخضع لاختباري التخلف في القراءة والحساب. وشرحت لها ان الخلل الاول تنتج منه صعوبة في حين يسفر الثاني عن صعوبة في تعلم الرياضيات. ثم اضافت: "ربما انت عاجزة عن تكوين صور داخل دماغك او عن الاحتفاظ بها."

أهون من الجنون — حين آوت ماري الى فراشها تلك الليلة، حاولت ان ترسم صورة للرقم ٤٤٠. وفي البداية ادركت ان كل ما يمكنها تصوره هو الرقم ٤ في وضع مقلوب. وحاولت تصور يدها، فلم يمكنها سوى رؤية الابهام والاصبع الوسطى. وهي تقول: "فجأة ادركت ان هذا هو سبب عجزي عن التهجئة وخلطي الباء مع التاء مثلا. لم يكن في وسعي تصور الكلمات او الحروف كي احتفظ بها في دماغي."

بعد اشهر التقت ماري سيدة كانت لابنتها مشكلة مماثلة. فدعتها السيدة الى الاشتراك في ندوة عن عوائق التعلم. وهناك تكشفت بقية اجزاء اللغز.

كانت ماري تجلس الى منصة مع اربعة اشخاص بالغين يعانون خللا في القدرة على التعلم. وشرعت تقارن بين حكاياتهم وحكايتها هي: "كانت المسائل متشابهة جداً. ففي الصف الخامس كنا جميعاً حطاماً عاطفياً."

وسرعان ما انغمس هؤلاء الخمسة في عمل منظم بعدما ادركوا واقع المعاناة التي اجتازوها. تقول ماري: "لم نكن نريد ان يتعرض طفل آخر لتجربتنا. ربما لم نكن قادرين على كتابة الحروف، غير ان في وسعنا ان نتكلم بطلاقة."

وشكل هؤلاء مكتب توعية خطابية لاطلاع المواطنين والمعلمين ووسائل الاعلام على عوائق التعلم. واذا كان العدد المقدر للاطفال الذين يعانون هذا النوع من التخلف هو ثلاثة ملايين، فان عدد البالغين غير معروف. وبلغ من نجاح المكتب ان دعيت ماري الى اجتماعات دولية

والى البيت الابيض مقر الرئاسة الامريكية وهي تعمل حالياً مع هيئة حكومية معنية بالمعاقين عن التعلم. وهي تضحك اذ تقول: "يتهمني بعضهم بأني استمتع بكوني معاقة. وهذا حق تماماً، فذلك اهون عندي من الجنون."

وماري على اتصال دائم بالبالغين الذين يعانون مشكلتها. ومنهم رجل في الاربعين اضطر الى اعتزال وظيفة بسبب العمل المكتبي الذي تتطلبه. وكان ان خابرها بعد برنامج اذاعي لها ليقول انه كان عازماً على الانتحار لأنه شعر انه وحيد ويعاني مشكلة حار في فهمها. وتقول ماري: " من الاهمية بمكان ان تشعر انك لست وحيداً. فثمة طرق عدة لمعالجة مشكلة الاعاقة عن التعلم. ولكن عليك ان تؤمن اولا ان هناك مشكلة ما، ثم تعترف بانك واقع فيها، وتمضي بعد ذلك لمواجهتها."

ماري غريفار اليوم في الاربعين، وهي امرأة طموحة وذكية تلقي المحاضرات وتنظم عمل المتطوعين وتساعد زوجها في اعمال التصوير وصفّ الحروف، كما تدير شؤون بيت يضم خمسة اولاد ينتفضون حيوية.

لكنها ما زالت تحتفظ بذاكرة بصرية لا تعدو ذاكرة طفل في السادسة، وقدرتها على القراءة لا تتجاوز مرحلة الصف الابتدائي الخامس، فيما لا تتخطى قدرتها على التهجئة مرحلة الصف الثالث الا ان الطرق التي تتبعها في تدبير بيتها تشكل امثلة ممتازة لتعويض اعاقتها. فلأن ذاكرتها البصرية ضعيفة جداً، فهي تثبت فرشاة شعرها بحبل الى مرآة الحمام.

وعلى رغم مشاكلها فهي لم تعد تنزع الى البكاء ولا تحس انها لا تنتمي الى مجتمعها. ان رسالتها تتمثل في شرح ما تنطوي عليه حياة المعاقين عن التعلم. وهي تقول: "ان الآخرين يصعدون سلم العلم وهم ينتعلون احذية صحيحة. اما المعاقون عن التعلم فيحاولون ارتقاء السلم ذاتها بأقدام حافية. والآلام والخيبات التي يستلزمها الوصول الى القمة امر فظيع."

وهي تمد يدها لتساعد الآخرين في صعودهم الصعب الطويل. وها هي تكتب بكلمات حافلة بكل ما يمكن تصوره من اخطاء في الهجاء: "المعاق عن التعلم لا يستسلم. فهناك اليوم رجال ونساء لا يحسنون تهجئة الكلمات ولا ممارسة الرياضيات ولا قراءة الصحف. لكنهم ليسوا معتوهين. نحن نريد من العالم ان يعرف ان لنا نصيبنا من الذكاء والجدارة."

■ بوني رمسبرغ

الجبانة والاقدام

عندما يواجهُ فتى مقدام ذلك الجبار الذي يُدعى العالم ويمسكه بلحيته، فسيدهشه أن يرى اللحية انتزعت عن وجه العالم وبقيت في يده! أجل، انها هناك للتهويل على المغامرين الجبناء.

اوليفر وندل هولمز

صديق المفضل

احاديث حميمة،
وان للحظات،
ترسخ المحبة الخالصة
بين الآباء
والبنين

كنت لا ازال غارقاً في عتمة الليل حين سمعت صرير الباب وهو يفتح. وكشفت خيوط النور المتسربة ساقين ناحلتين في سروال نوم. وانسلت يد صغيرة تحت اللحاف وامسكت يدي.

"ابي ابي، هل انت مستيقظ؟"

وغمغمت وشبح النعاس يغلق جفني: "لست ادري". لكني شعرت كيف يفلت وشاح الليل الاسود ويتلاشى، ومعه يمضي القلق على المستقبل.

"ابي، انت صديقي أليس كذلك؟"

واجيب: "حتماً"، وأنا انثاءب وقد انتابتني رعشة فرح.

"ابي، اتعرف ماذا حلمت ألآن؟"

ـ كلا.

"حلمت اننا كنا على متن طائرة الورق نطير فوق السطوح وبعيداً خلف المحيط. وكان الليل شديد السواد لولا النجوم اللامعة. لكني لم اكن خائفاً لانك كنت معي. هل تخاف احيانا ياابي؟"

ـ بالطبع اخاف.

"اتخاف كثيراً؟"

ـ كثيراً جداً.

"وانا ايضاً. خفت عندما جلسنا في الطائرة. لا، ليس حينذاك ولكن في ما بعد، عندما استيقظت شعرت بخوف كبير".

ـ خوف من اي شيء؟

"من الا تكون في فراشك".

ـ بالطبع كنت في فراشي. اين اكون اذاً؟

"في الطائرة. لانك تابعت الطيران فيماجلست انا على نجمة. فكرت فيك طوال الوقت، ولهذا توجب علي ان آتي لارى اذا كنت لا تزال هنا".

ـ انا هنا فعلا. وما تخيلته كان مجرد حلم.

"ولكن كم ستبقى هنا يا ابي؟"

ـ ليس طويلا، فانا لا يمكنني البقاء في السرير اليوم كله!

"لِمَ لا؟"

ـ انت تعرف، انا...

"كلا، لقد قلت اننا صديقان، والاصدقاء لا يفترقون ابداً بل يجب ان يبقوا معاً. الى الابد!"

ـ افهم ما تعنيه، لكن والدك يجب ان يذهب الى العمل.

"لست مجبراً على ذلك".

ـ وتذهب انت الى دار الحضانة.

"لا اريد ان اذهب الى هناك".

ـ بالطبع تريد. فكر في الاشياء الجميلة التي تفعلها هناك وفي اصدقائك لقد اكتسبت العديد منهم، اليس كذلك؟

"نعم. ولكن لي صديق مفضل واحد في العالم كله".

ـ تعنيني انا؟

"آه! ابي، اتذكر الصيف الماضي في الريف. لقد مكثنا معاً طوال تلك الفترة".

ـ اجل.

"اتمنى ان تبقى الحال هكذا في جميع الاوقات. فانت لم تكن مشغولا. اتذكر السهم الذي اضعناه؟"

ـ لكننا وجدنا بدلا منه سنجابين صغيرين كانا مستلقيين ومتلاصقين.

"كانا صديقين، اليس كذلك؟"

ـ اجل، انا اكيد من انهما كانا صديقين.

"دعني ارقد قربك يا ابي، لفترة قصيرة".

ـ حسناً ايها الشاب، تعال.

"ضمني اليك بقوة يا ابي حتى اشعر بدفء الصداقة بيننا. آه! هذا حسن. ابي، ارجوك ان تقرأ لي قليلا؟"

ـ اذا بقي متسع من الوقت.كم الساعة الآن؟

"الساعات تافهة. على الاصدقاء الا يكترثوا للساعات اطلاقاً والا يذهبوا الى العمل او الاجتماعات او دور الحضانة او طبيب الاسنان".

ـ وماذا على الاصدقاء ان يفعلوا اذاً؟

"يبنون البيوت في اعالي الاشجار ويتسلقون الحبال ويقطفون التوت ويصطادون ويقرأ كل لصديقه. ابي، اتقرأ لي قصة اللصوص الثلاثة؟"

ـ حسناً، لكني لن اقرأ الكتاب كله، اتفهم؟

"هذا رائع! ايمكنك ان تصنع لي المزيد من طائرات الورق عندما تذهب الى المكتب اليوم؟

ـ اظن ذلك.

"الن يغضبوا منك يا ابي؟"

ـ من؟

"الآخرون الذين يعملون في المكتب".

ـ لن يغضبوا، سينظرون الي بطريقة غريبة فقط.

"اسألهم حينذاك اذا كانوا يحبون ان يجربوا احدى الطائرات. يمكنكم ان تطلقوها لترفرف عبر النافذة،

وعندئذ سيتمنون جميعهم ان يصبحوا اصدقاءك".

ـ هذه فكرة حسنة.

"اريد ان أذهب الى دار الحضانة الآن يا ابي، لاني عندما اعود الى لبيت يقترب موعد عودتك انت يضاً. اليس كذلك؟"

ـ بكل تأكيد.لن اتأخر بعدعودتك.

"ابي فكر في جميع اولئك الذين لا صدقاء لهم".

ـ اني افكر فيهم هذه اللحظة يا صديقي. اذهب واحضر كتابك، سأقرأ ك صفحتين قبل ان انهض.

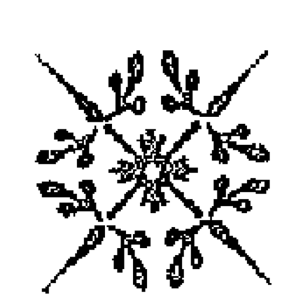
"زززز! انا طائرة انا أسرع طائرة في العالم. زززز!"

ويختفي صديقي المفضل في الغرفة الاخرى ويداه مفتوحتان داخل ثياب النوم كجناحين صغيرين، ليعود بعد لحظة حاملا كتابه الثمين. ونسند رأسينا معاً كسنجابين صغيرين في الصيف.

"... وينطلق اللصوص الثلاثة خلسة..."

وتتوقف كل الساعات في العالم. ويتوقف الزمان.

■ بيورن رونينفن



قال فتى صغير لامه، وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر: "أريد ان أنام الآن، لان لديّ فكرة عظيمة أودّ ان أحلم بها".

ر.هـ.

سر قديم

قال رجل لصديق: "أيمكنك أن تحفظ سراً؟"

ـ طبعاً!

"حسناً، اني أحتاج الى مبلغ من المال".

ـ لا عليك! سوف اتظاهر بأني لم أسمع كلامك البتة.

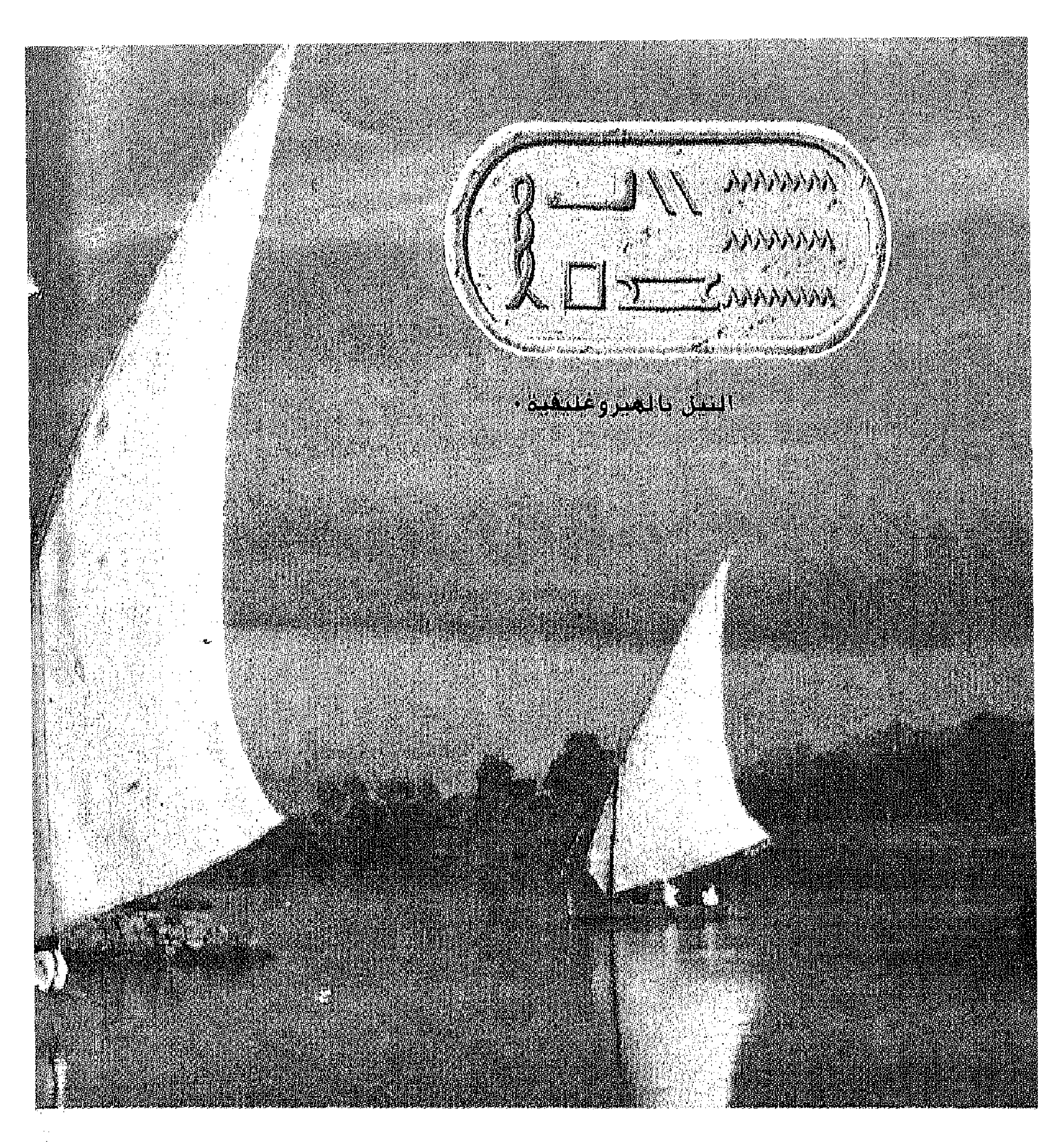
س.ب.

منتصف العمر

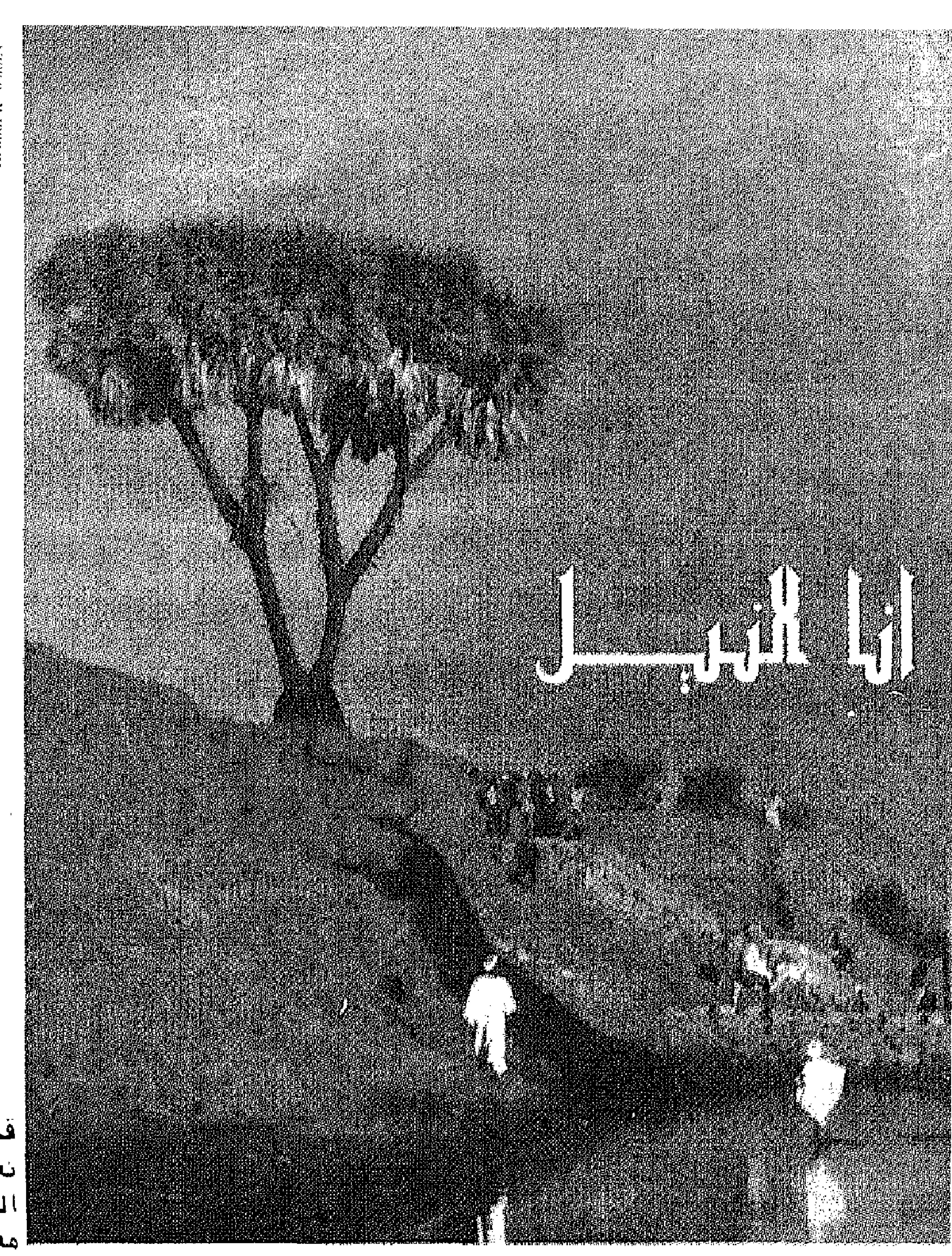
قال أحدهم في فترة منتصف العمر: " انها الوقت الذي يهتز كل شيء في الانسان ـ ذراعاه وركبتاه وعنقه". وقال آخر: "ليس هو أبعد مما تفكر فحسب، بل أقرب مما تتوقع". وأضافت ربة بيت: "في منتصف العمر تدرك أنك لن تعمر لتختبر جميع وصفات الطعام التي جمعتها من الصحف طوال ثلاثين سنة".

أما الرئيس الامريكي رونالد ريغان فيقول ان منتصف العمر هو المرحلة التي، حين تواجهك التجارب، تختار تلك التي توصلك الى البيت قبل التاسعة مساء.

أ.ز.



يخترق الصحراء كشريط من زمرد.
انه الوادي النهري القديم ومهد الحضارة.
وهناك لا تزال قائمة تلك الاعمال الخارقة
التي حققها الانسان، من اهرام الجيزة
الى السد العالي في اسوان



انا النيل

قوارب شراعية تعبر كوم اومبو الى الشمال من معبد أبو سمبل ·

انا قديم كالخليقة، شامخ كالفضاء، مفيد كالعجلة الدوارة، أنا أيضاً هائل، بديع، عريق، ملهم كالشعر · انا النيل، اطول انهار الدنيا وأعظمها ·

اشق مجراي منذ الازل عبر الصحارى الحارقة في شمال افريقيا حيث كنت الشريان الذي امد الشعوب باكسير الحياة · ولم تكن مياهي لتروي عطشهم فحسب، بل اتاحت لهم، بفضل ما تحويه من سمك وفير وطمي منبت للحياة، ان يزدهروا ويتحولوا عن الصراع البدائي للحياة لييمموا وجوههم شطر الدين والعلم والفن · هكذا كان وادي الاخضر قبل سبعة آلاف سنة مهد الحضارة · صحيح أن اودية انهر اخرى حفلت بانبعاثات حضارية على نحو ما حدث في دجلة

والفرات والهندوس وهوانغ ـ هو، لكن حضارتي النيلية ربما كانت المع هذه الحضارات على الاطلاق.

يبلغ طولي ضعفي الميسيسيبي وتتدفق مياهي عبر ٦٦٧٠ كيلومتراً من خط الاستواء حتى البحر الابيض المتوسط، مخترقة تسع دول ذات سيادة. لكن قلبي يقع في مصر حيث كنت الوسيلة والحافز لانبعاث حضارة مجيدة في ارض الفراعنة القديمة. هناك عمل الشعب الذي خصصته بنعمتي على تطوير الرياضيات ليتسنى له مسح الاراضي على ضفافي وحفر القنوات والترع لتتدفق فيها مياهي فلا تضيع. هؤلاء القوم اخترعوا تقويماً عملياً من ٣٦٥ يوماً لكي يتابعوا اشهر فيضاني (★). ولتنسيق هذه الجهود جميعاً، فانهم اخترعوا الحكومة.

وظلت مواسم فيضاني تأتي عاماً بعد عام في توقيت مضبوط كالساعة، فتروي المواقع نفسها وتخصب التربة وتنبت المحاصيل.

وظلت منابعي خافية على المستكشفين حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين استقر الرأي على اني اصدر عن موردين اثنين، او انني في واقع الامر نهران يختلفان في طباعهما اختلافاً شديداً. فأنا النيل الابيض، وهو اطول ذراعي، انبثق من ارتفاع ٢٦٢١ متراً في غابات وسط افريقيا الاستوائية وجبال جنوب بوروندي التي لا تبعد كثيراً عن بحيرة تنجانيقا. وأشق طريقي داخل بحيرة فيكتوريا ثم خارجها، واتدفق عبر الادغال المظلمة في اوغندا لانحدر عند شلالات مورشيسون العظيمة. بعد ذلك اخترق المجاهل الحارة الجافة في السودان. هنا لا تزال التماسيح وافراس الماء تقطن في مياهي. واذ اتوجه دوماً نحو الشمال، فاني اشق طريقي مكافحاً وسط ٧٥٠ كيلومتراً في مستنقعات البردي المخيفة المعروفة بمنطقة السدود واخلص منها مكتملاً، بطيئاً، متزن الايقاع، يحفني الجلال والاكبار. فتخوض مياهي القوارب البخارية والشراعية التي تمخر منطقة الدلتا.

وأنا النيل الازرق، وهو ذراعي الاعتى، ارتفع حوالى الفي متر في جبال اثيوبيا البعيدة. واعبر بحيرة تانا ثم اسقط في شلالات تسيسات المجللة بالضباب ولا البث ان ارغي وازبد عبر ٦٥٠ كيلومتراً من الغابات العذراء التي تحف بمضيق يبلغ عمقه الف متر. وينتهي بي المطاف الى السودان الحار. وعبر اربعة اشهر من السنة اندفع عاصفاً كالمد العاتي ومقدماً بستة اسباع مياهي. اما في الصحراء فأنا ازداد اتساعاً ودفئاً وسكينة. واذ تقوم كثبان الرمال على ضفتي، الا ان مياهي القوية تمنح الحياة لمزارع القطن المنبسطة على مدى البصر.

وفي قلب الخرطوم عاصمة السودان المسطحة المغبرة يندفع نصفي الثائر لكي يقترن بنصفي الاكثر هدوءاً. وعند هذه النقطة أصبح نهر النيل بلا

(★) تم اقرار هذا التقويم قبل اكثر من ٦٢٠٠ سنة في العام ٤٢٤١ قبل الميلاد الذي يعتبره بعضهم السنة الاولى في التاريخ.

زيادة او نقصان، واذ ذاك يتعين علي ان اجتاز ثلاثة الآف كيلومتر اخرى حتى اصل الى البحر الابيض المتوسط.

هناك اخترق مناطق قاحلة من الصحراء الكبرى حيث لا امطار على الاطلاق وحيث يسري مجراي الاسمر فانحدر نحو مصر متعثراً على سلسلة من الشلالات الطويلة الهينة، ثم اصب في بحيرة ناصر التي تمتد ٥٠٠ كيلومتر وهي اكبر بحيرة من صنع الانسان في العالم. وتحت السطح الذي تصطفق عليه الرياح تختفي القرى والحصون في النوبة القديمة بعدما اغرقها سد اسوان العالي قبل عقد. اخيراً، بعد ان اندفع بوحشية عبر محطات توليد الطاقة على السد العالي، اعود فانساب فوق شلالي السادس والاخير الى مدينة أسوان.

هنا تتراجع الجبال الهائلة التي تحجب الافق عند السد العالي لتظهر حقول القمح والقصب واشجار النخيل. وهنا تبدأ خصوبة مصر الفاتنة وتمتد مدينة اسوان معانقة ضفتي ومؤوية ١٤٥ الف نسمة. وتحرس ارصفتها اشجار تين البنغال والجكرندة وتصخب في سمائها اسراب اللقلاق والبجع والكركي.

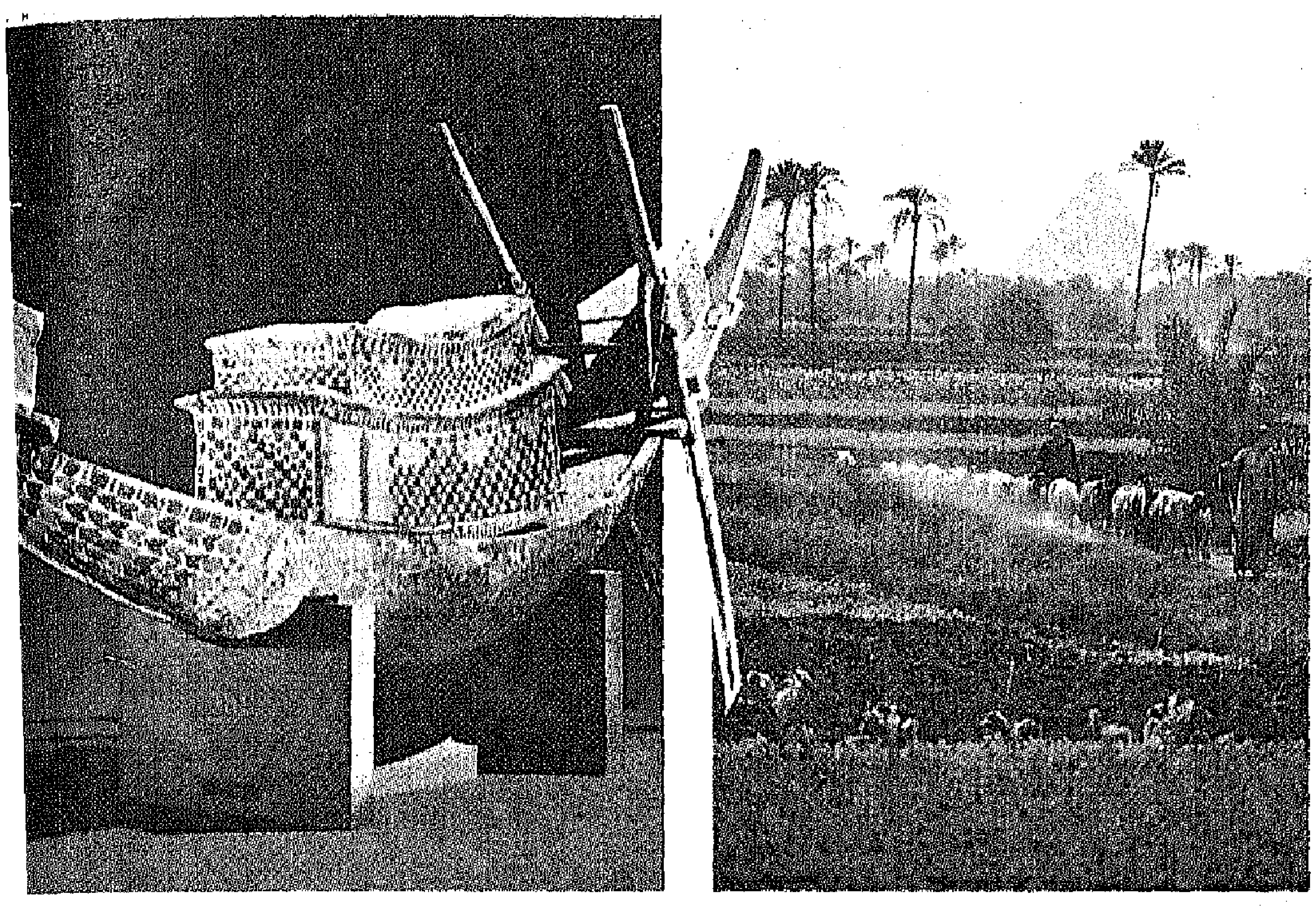
وتعتز اسوان بانها واحدة من الاستراحات الرئاسية المصرية الاربع الواقعة على نهر النيل، وبانها تضم فندق الشلال العريق الذي كانت تشتي فيه العائلات الملكية الاوروبية. واسوان هي ميناء البواخر النيلية الهادئة التي تحمل المسافرين بين اسوان والدلتا. أما أنا فانساب بسرعة ثلاث عقد فلا اتجاوز سرعة



بعد عبوره بحيرة تانا ينحدر النيل الابيض شلالات في تسيسات.

الاقدام السائرة وقلما يزيد عمقي على ثلاثة امتار. واذ يمخر المسافرون مياهي المنبسطة التي يتغير رواؤها كالسحر من البني الى الازرق فالزمرد فالاحمر الشديد، تنكشف امامهم وقائع الحياة النيلية.

على ضفافي الخضراء ينحني الرجال في ملابسهم النيلية ليقطعوا قصب السكر الذي يعلو خمسة امتار، فيما تقبع مئات من طيور البلشون الابيض بلا حراك على شجرة واحدة وتدور الجواميس المعصوبة العيون ببطء حول السواقي وتتواصل خطى صفوف طويلة من الجمال المحملة بالاعلاف. هنا يصطاد الاولاد السمك وتغسل الامهات الاواني والثياب ويسبح الاطفال وتنزلق الثيران المنهكة الى هدأة مياهي المباركة. وبين صفوف متراصة من اشجار النخيل والاوكالبتوس التي تحف بي تتجمع القرى التي اكتست سمرة الارض. بيوت خفيضة مثل العلب مبنية بغير انتظام، ذات افنية مسورة

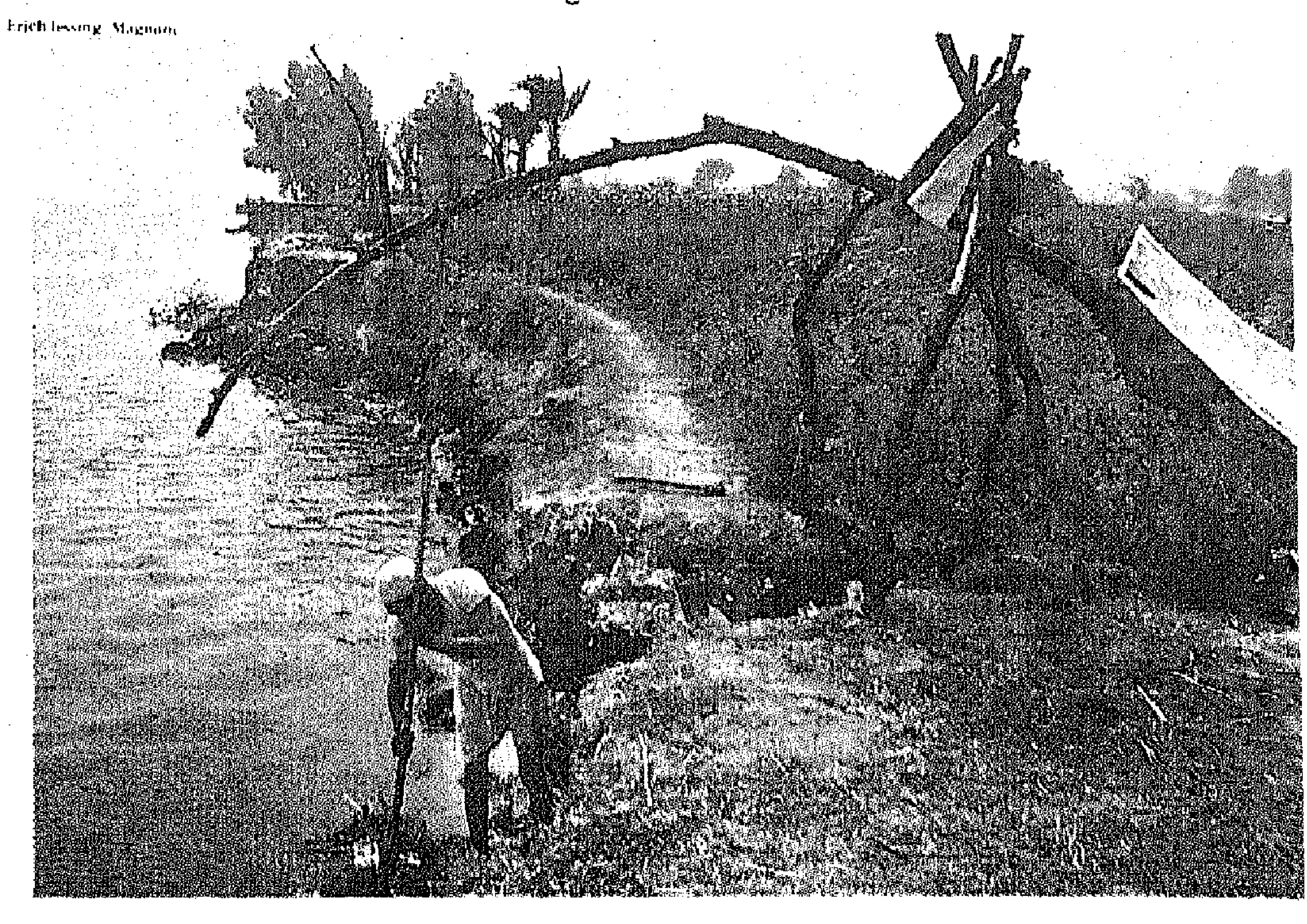




وتعلوها قباب مستديرة للحمائم، كلها مبنية بالطين الذي تجرفه مياهي.

هنا في صعيد مصر يكون اتساعي بلغ ٨٠٠ متر. وانساب في طريقي مجتازاً الاقصر. آه! الاقصر الجميلة الكسول! ضفاف المدينة الخضراء تبرق كاشفة مروجاً مشذبة. وتحفل حدائقها باسراب العصافير المغردة. اهل الاقصر يرتدون الجلابية الفضفاضة ويتميزون بخدود ذات عظام عالية وبشرة عسلية. أما حافة الصحراء هناك فواضحة قاطعة كانما رسمت معالمها بالقلم. فعند آخر ورقة خضراء يظهر اول كثبان الرمال.

Erich lessing Magnum





الصور من اعلى اليمين: ١ ـ هرمان من الجيرة يظهران خلف قطيع ماشية ٠ ٢ ـ مركب وجد في مدفن توت عنخ آمون، يعتقد انه اعد لحمل الملك في رحلة ما بعد الحياة٠ ٣ ـ فلاح يعمل في احدى ضفتي النيل٠ ٤ ـ لوحة جدارية من مدفن ايبوي في طيبة، وهي تمثل مشهد صيد٠

واذ انحدر شمالا الى مصر الوسطى يتسع وادي الخصيب موغلا في الارض مسافة ٢٥ كيلومتراً. هنا تتبدى امام العيون حقول هائلة خضراء من القمح والذرة. واذ كان فلاحي "المخلصون ما زالوا يستخدمون ما استخدمه رعايا الفراعنة من ادوات الزراعة، الا ان كل حبة من الارض الخصيبة تظل مروية ومزروعة بمهارة واقتدار. لقد ظل الفلاحون فوق كل شبر من ضفافي يعملون ويستريحون واحياناً يلعبون. وها هي مصر تضم ٤٤ مليون نسمة يحتل ٩٧ في المئة منهم اقل من اربعة في المئة من مساحة البلاد كلها... تلك المساحة المتاخمة لي.

بعد اكثر من ستة آلاف كيلومتر من الحياة الريفية يأتي العرض الكبير. التقط انفاسي واندفع مباشرة الى القاهرة الصاخبة عاصمة مصر واكبر مدن افريقيا على الاطلاق. القاهرة مدينة عاتية يكتنفها الدخان وتجأر بعشرة ملايين نسمة. وينتفض ميدان التحرير بالحياة كقفير نحل غاضب. نظام السير فوق طرقاتها يعد من اصخب نظم المرور واخطرها في العالم. فزعيق ابواق السيارات لا ينقطع ليلا نهاراً، وركاب الحافلات يمتطون نوافذها ويتعلقون بجوانبها. ومن جراء الازدحام الخانق في المدينة فان بعض اهلها يسكنون بين المقابر، في حين ينام بعضهم فوق السطوح او في أكواخ موقتة بجانب النهر.

هنا يبلغ اتساعي حوالى كيلومترين، وامر تحت ستة جسور ضخمة، وانظر باعجاب الى خط السمت الذي تتلألأ فوقه المآذن المنتصبة والقباب الرشيقة وغابات من هوائيات التلفزيون. وانساب بين الفنادق السياحية السامقة والمراسي الخشبية التي تئن من الشد، وبين عمارات للمكاتب ترتفع ٤٥ طبقة ومقاه عتيقة عائمة. وحتى في هذه البقعة يكتنف ضفافي العشب واشجار النخيل، وأظل بالمقارنة مع معظم الانهر الكبرى بادياً في حلة مدهشة من النظافة.

اخرج من ضجيج الحضر فأفقد سرعتي وقوتي، وينسكب مجراي في شبكة الترع ومنها الى الدلتا الخضراء. في هذا المثلث العامر الذي يبلغ عرضه ٢٤٠ كيلومتراً يعيش نحو نصف سكان مصر. يفلحون التربة الخصيبة ويحصدون محاصيل عدة في السنة ويزرعون الفاكهة والحبوب والخضر، ومن ذلك غريبفروت كبير وغني بالعصارة ورز ممتاز وجزر طيب. هكذا تؤنس الدلتا الخصيبة الودودة خاتمة رحلتي. ويتحول لوني فجأة الى الزرقة واتسع لاشمل فرعين توأمين وتكاد لا تلوح في مياهي موجة واحدة اذ التحم بمياه البحر الابيض المتوسط. هنا تنتهي ملحمتي.

فجر الحضارة

قد تكون تلك بداية التاريخ على طول ضفافي الازلية وفي المدن التي قامت على تلك الضفاف. فقبل اكثر من ٥٠٠٠ سنة عرفت شعوبي اول انواع الورق فصنعته من قصب البردي الذي انبتته ضفافي. كما اخترعت الكتابة الهيروغليفية وابتكرت نظاماً للمقاييس ووضعت مبادىء الحساب والفلك وانشأت شبكة للري.

وبدأ تاريخ مصر رسمياً كدولة موحدة في العام ٣١٠٠ قبل الميلاد عندما وحد الفرعون مينا مصر العليا ومصر السفلى وجعل عاصمته ممفيس على ضفتي الغربية وعلى مسافة ٣٠ كيلومتراً جنوب القاهرة الحديثة. وعاشت ممفيس اوج عزها في عهد المملكة القديمة (٢٦٨٦ – ٢١٨١ ق.م.) فكانت اعظم مدينة في مصر. ولكن لم يبقَ منها اليوم سوى نخلات يعلوها الغبار وبعض ركام وتمثال عملاق ساقط لرعمسيس الثاني يبلغ طوله ١١ متراً.

وفي الجيزة خارج حدود ممفيس ينتصب اعظم جاذب للسياح في العالم، اهرام ثلاثة هي الوحيدة الباقية من عجائب العالم القديم السبع: هرم خوفو الاكبر يرتفع ١٣٧ متراً الى السماء اللازوردية وتبلغ مساحة قاعدته خمسة هكتارات. واذا كانت هذه المقبرة الفرعونية تعد ادق الصروح القديمة من الناحية الهندسية، فقط تطلب بناؤها جهد مئة الف عامل لمدة عقدين من الزمن. وها هي بعد اكثر من ٤٠٠٠ سنة تقف كأعظم بناء حجري في العالم القديم حاوية اكثر من مليوني حجر من الجير والغرانيت يوزن كل منها ٢٫٥ طن. وما زالت طريقة تشييدها سراً مصوناً، وعلى بضع مئات من الامتار يربض ابو الهول وقد علته شبه ابتسامة يكتنفها الغموض.

ومع توالي القرون ظللت المجرى المائي الحيوي الذي يربط اقاليم مصر ويشجع التبادل والتجارة ويحفظ وحدة البلاد. وعلى طول ضفافي تعين على الناس ان يتعاونوا كي يعيشوا ويضبطوا مواسم فيضاني. وهذا في ذاته كان يعني التنظيم. من هنا وضعوا المقاييس المدرجة عبر فترات معينة لتقيس ارتفاع المياه، وشيدوا المعابد على ضفافي.

وفي عهد المملكة الوسطى (٢١٣٣ – ١٧٨٦ ق.م.) نقل الفراعنة عاصمتهم الى طيبة على مسافة ٦٥٠ كيلومتراً الى الجنوب، وهي تعرف اليوم بالاقصر. من ذلك المكان انطلقت جيوشهم لتقيم امبراطورية عظيمة امتد بها العمر ألف سنة.

وفي حين كان الاوروبيون ما زالوا يقطنون في قرى بدائية، نعمت مصر بحضارة رفيعة متألقة لم تحلم بها بقعة في العالم. وتميز المصريون القدماء ببنية قوية وشعر اسود وبشرة نحاسية. اما نساؤهم الحور الجميلات فكن يستخدمن العطور ومساحيق التجميل ويتشحن في اغراء بثياب من الكتان. وكان الرجال يحلقون ذقونهم ويقلدون نساءهم في قص شعورهم وارتداء الشعر المستعار والحلى.

واذا اتسم المصريون القدماء بروح الفن والثقافة الرفيعة، فانهم كانوا يمارسون المصارعة والرقص والصيد والموسيقى ويسيجون املاكهم بقضبان من خشب. وهم صنعوا السفن الشراعية واستخدموا قوارب البردي التي كانت تركب مياهي وشيدوا السفن ذات الاربعين مجذافاً وهي اول سفن مخرت عباب البحر في العالم. هؤلاء القوم المدهشون حولوا الزراعة علماً وطوروا الطب والجراحة واقاموا حكومة مركزية واداروا شؤون جيش صغير مدرب ومجهز بتشكيلة من

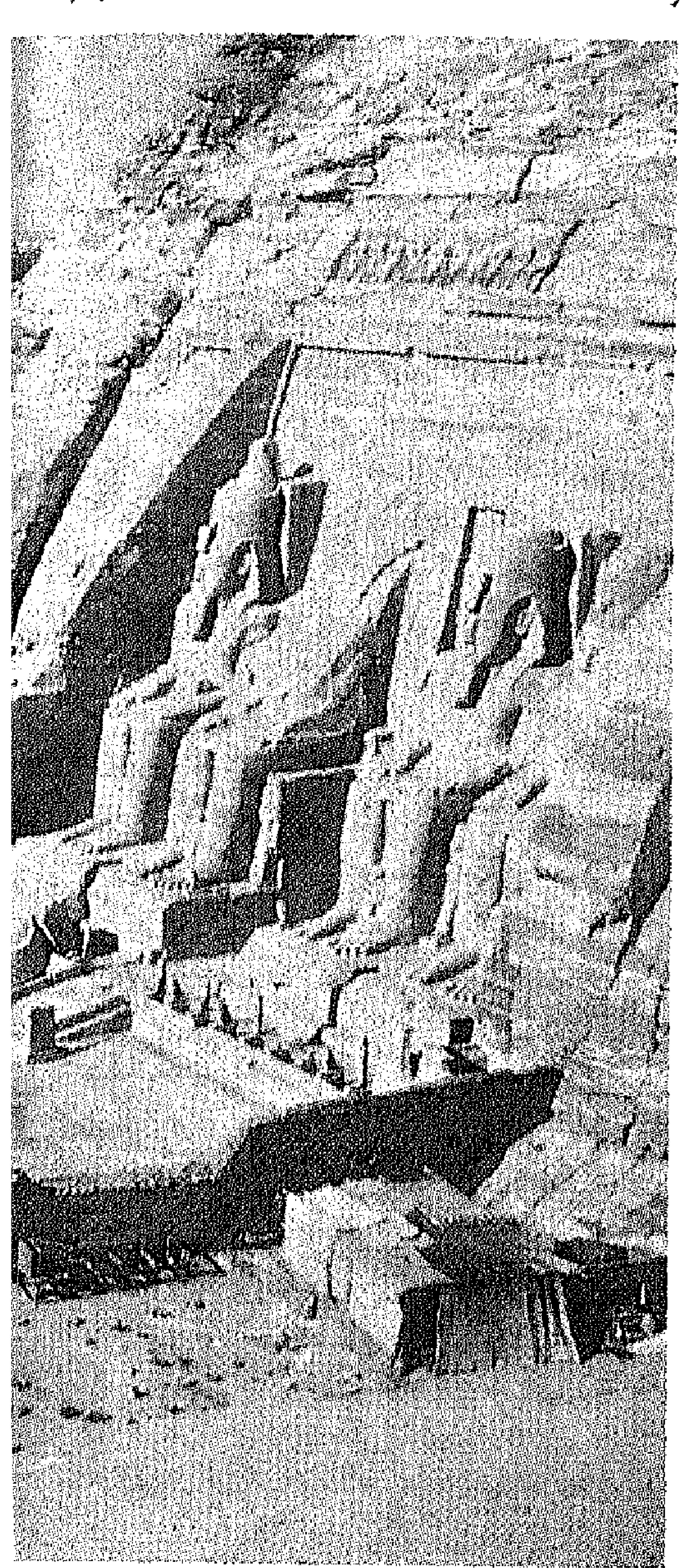
الاسلحة. ووصل الامر بهم في يوم بؤس الى التفكير في نظام بيروقراطي ومسك الدفاتر وجباية الضرائب.

قومي القدماء ابدعوا من الفن ما لا يقارن في شموخه وابتكروا ديانة معقدة وبسيطة في آن (يجمع الفرعون بين الانسانية والالوهة) تضمنت افكاراً عميقة حول الخير والشر والحياة بعد الموت والثواب والعقاب.

ومن العجب ان معظم المظاهر المادية لتلك الحضارة المجيدة ما زالت قائلة حتى اليوم. ففي عدد لا يحصى من المدافن والمعابد الوف الصور المحفورة والمرسومة تروي حياة هؤلاء القوم الغابرين ومعتقداتهم. معظم هذه الاثار هي روائع من عهد المملكة الحديثة (١٥٦٧ - ١٠٨٥ ق.م.) التي تمثل عصر مصر الذهبي حيث حكم فراعنة اسطوريون امثال الملكة حتشبسوت وتحوتمس الثالث، ذلك الجندي والاداري البارع، والراديكالي اخناتون الذي أعلن ان ليس هناك سوى الله واحد لا شريك له، ثم رعمسيس الثاني المحارب الذي لا يقهر والباني الذي لا تنفد له جعبة.

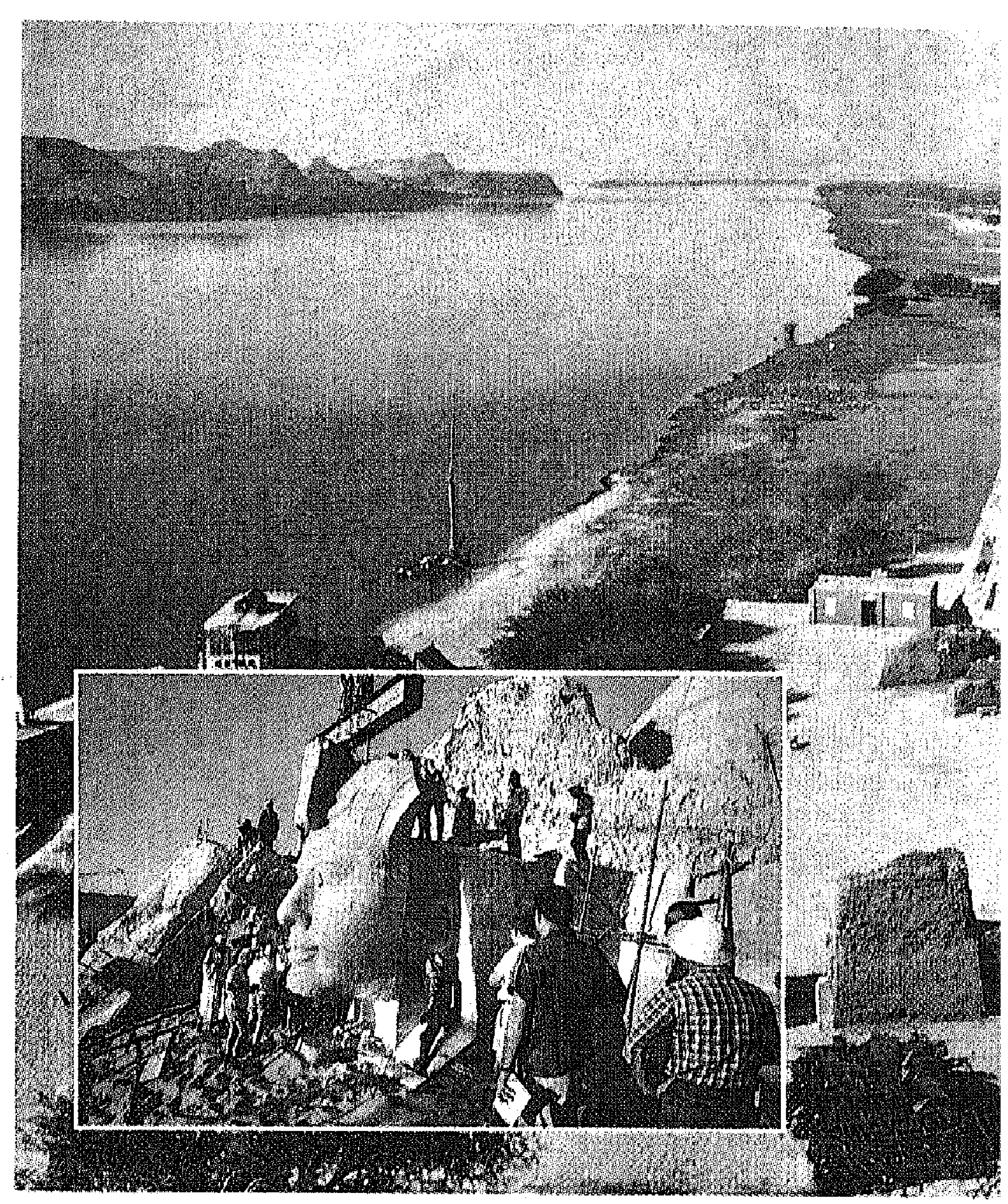
مدينة الاموات

بين جنبات الاقصر اليوم تتألق طيبة الامس. فالمعبدان الاعظمان في العاصمة القديمة، اللذان ربطتهما يوماً جادة على ضفتي امتدت ثلاثة كيلومترات، ما زالا شامخين على ضفتي الشرقية. فمعبد الاقصر العظيم هو كتلة هائلة من الحجر



الرملي وتحده بوابات هائلة واعمدة ضخمة ترتفع ١٦ متراً. وهو من الضخامة بحيث ان الاظفر الاصغر في قدم تمثال الفرعون في المعبد يمكن ان يجلس المرء فوقه.

ومع ذلك فمعبد الاقصر لا يعد شيئاً



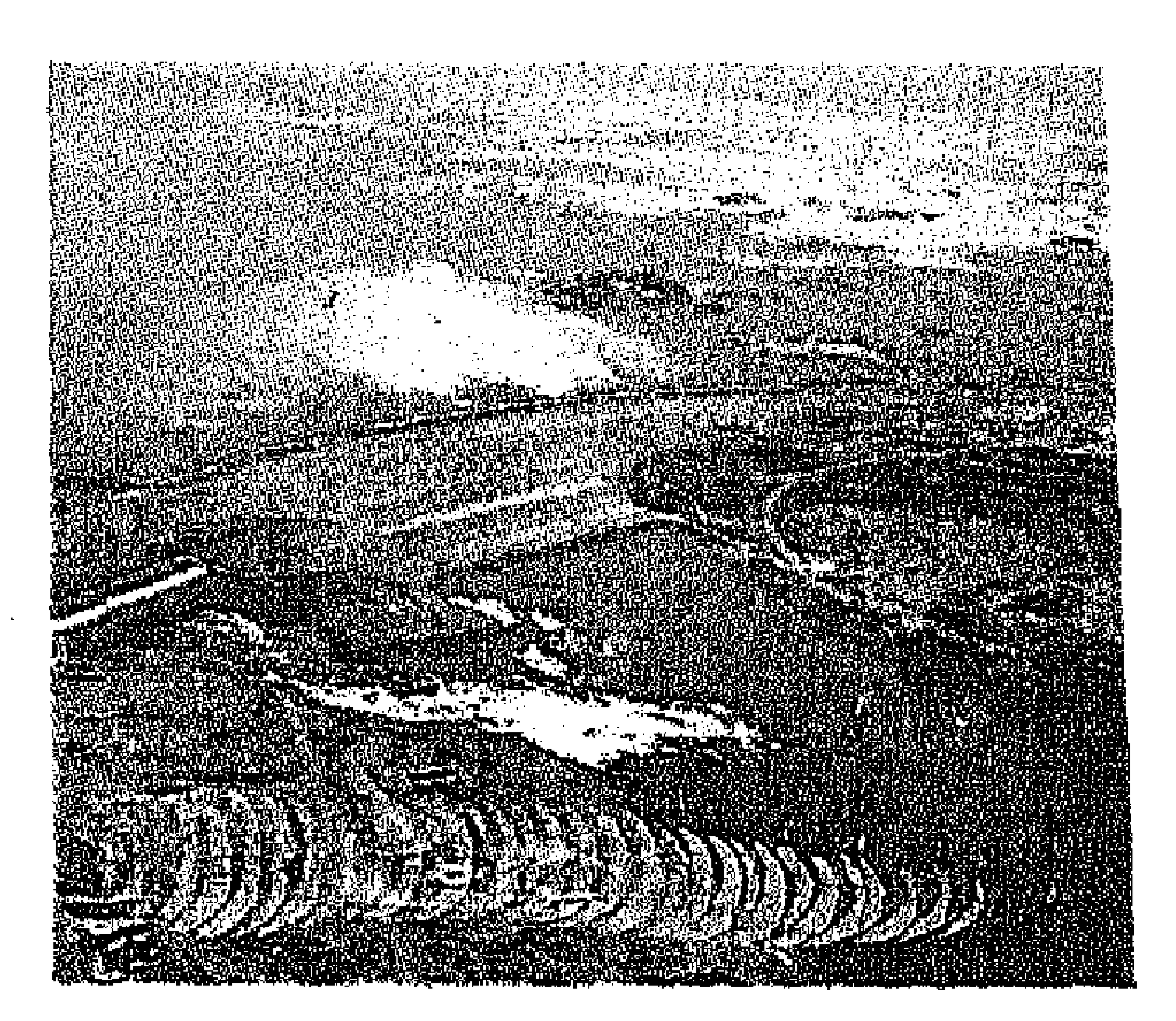
في ابو سمبل، تعبر مياه النيل بين المعبدين اللذين تحرسهما اربعة تماثيل ضخمة لرعمسيس الثاني.

James Burke / Life Magazine (c) 1961 Time, Inc.

في العام ١٩٦٤ فكك رأس رعمسيس الثاني من اجل رفعه الى مستوى اعلى.

1965 Dr. Georg Gerster / Photo Researchers, Inc.

اذا ما قورن بالمعبد الهائل لآمون رع الاله الشمس في الكرنك. ان المدخل الحجري للكرنك هو بارتفاع عشر طبقات وسماكة ١٥ متراً. ويمكن ان يشمل بهوه الداخلي ثلاثة ملاعب لكرة المضرب. وأما قاعته فتشمل غابة من



سد اسوان الضخم الذي احدث ثورة صناعية وزراعية٠

١٣٤ عموداً عملاقاً٠ وتوازي الافاريز المنحوتة ملعب كرة القدم طولا ، كما ان كل سنتيمتر مربع من المعبد يكاد يكون مغطى برسوم محفورة او بكتابات هيروغليفية٠

على ضفتي الغربية كانت تقوم مدينة الاموات التي تكاد تختفي وسط هضبة صخرية٠ اكثر من ٨٠٠ مقبرة محفورة داخل السفح الصخري الصلب، ثم هناك الطريق الملتوية المنحدرة التي ترتقي صعداً الى حيث الساحة القمرية الموحشة ووادي الملوك الاسطوري بمدافنه الفرعونية الاربعة والستين٠ هنا عام ١٩٢٢ حقق عالم الاثار البريطاني هوارد كارتر وممولة اللورد كارنافون اكتشاف القرن: كنز توت عنخ آمون٠ ومع ان المقبرة لا تخص سوى فرعون شاب توفي في التاسعة عشرة من العمر، فانها واحدة من مدافن قليلة نجت من لصوص المقابر٠ وداخل غرفها الصغيرة الاربع وقع كارتر على مجموعة من النفائس الهائلة: ١٧٥٠ قطعة تضم قناع توت الجنائزي الرائع وجيشاً من التماثيل الذهبية الصغيرة والكفن الداخلي المصنوع من الذهب الخالص٠

وهناك صرح آخر من صروحي المدهشة هو ابو سمبل على بعد ٥٠٠ كيلومتر الى الجنوب في عمق صحراء النوبة٠ هنا على مدى ٣٢٠٠ سنة انتصبت المجموعة الرباعية العملاقة من تماثيل رعمسيس الثاني الجالسة التي تعد من اكبر المنحوتات المصرية واكملها، تقف بجلال لتسود ضفتي وتحرس مدخل المعبدين المحفورين داخل الصخر٠ في العام ١٩٦٤ ارتفعت مياهي خلف السد العالي الجديد في اسوان وهددت باغراق هذه الصروح، بيد ان العالم مد يد الانقاذ وبكلفة بلغت ٤٢ مليون دولار فككت معابد ابو سمبل وتماثيلها الحارسة الى ١٠٤٨ قطعة، وبعد خمس سنوات من العمل اعيد تجميع هذه الروائع العظيمة من الحجر الرملي على ارتفاع ٦٤ متراً عن مستواها الاصلي فباتت تواجه بشموخ بحيرة ناصر الفيروزية٠

وعلى مدى الوف السنين ازدهر الوادي الذي اجري فيه وانتعشت حياة شعب مصر٠ ولكن في العام ٥٢٥ ق٠م٠ اطاح الفرس آخر الفراعنة، لكنهم هزموا بدورهم على يد الاسكندر الاكبر وجنوده الاغريق عام ٣٣٢ ق٠م٠ وبقي البطالمة الاغريق ورثة الاسكندر في مصر لمدة ثلاثة قرون٠ ثم جاء يوليوس قيصر وقوات روما فكتب على دلتاي ان تكون لمدة ستة قرون ونصف قرن سلة لخبز الامبراطورية الرومانية ومن بعدها الامبراطورية البيزنطية٠

وبعد فتح مصر على ايدي جيوش المسلمين القادمة من شبه الجزيرة العربية عام ٦٤١م، اصبحت بلداً اسلامياً يتكلم العربية. وفي ٩٦٩ اقيمت مدينة القاهرة على ضفتي لتصبح عاصمة البلاد. وهنا حكمت مصر افواج الغزاة من عرب واتراك، فاقاموا فيها المساجد والقصور وانشأوا الجامع الازهر ليكون اكبر جامعة اسلامية في العالم.

انطلاقة محمومة

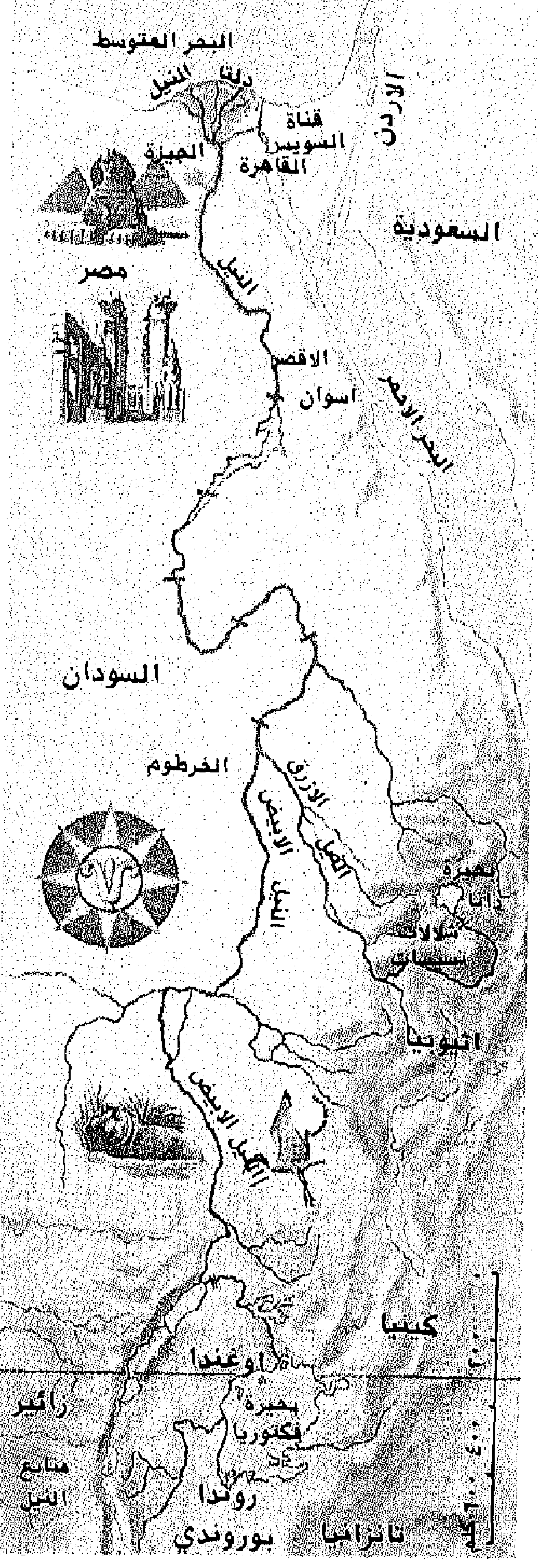
وفي العام ١٧٩٨ وطأ ارض مصر ضابط فرنسي شاب هو نابوليون بونابرت على رأس حملة عسكرية، سرعان ما اجبرت بعد ثلاث سنوات فقط على الانسحاب امام قوات بريطانية وعثمانية مشتركة. وفي ١٨٠٥ اصبحت مصر تحت حكم عسكري داهية ومغامر الباني هو محمد علي الذي دبر للحال مجزرة تخلص فيها من ٥٠٠ من خصومه في حفلة واحدة. ثم انطلق من بعد لكي يدخل بمصر عالم القرن التاسع عشر. كانت وسائل محمد علي سيئة، لكن اهدافه فعالة. وهو شيد اول القناطر على مجراي لتحويل المياه الى الاراضي الجديدة المروية، ثم زرع القطن الذي أصبح اعظم محاصيل مصر على الاطلاق.

وافتتحت قناة السويس عام ١٨٦٩. وبعد كثير من المماحكات حول تمويلها ادخلت الامبراطورية البريطانية مصر ضمن نطاق نفوذها واعلنتها محمية لها عام ١٩١٤. ولم يتسن للبلاد ان تستعيد استقلالها الا عام ١٩٣٦. وفي ١٩٥٢ شارك المقدم جمال عبد الناصر في انقلاب عسكري اطاح الملكية. وبعد عامين اصبح ناصر زعيماً لمصر.

واذا كان عبد الناصر وطنياً راديكالياً فانه قاد مواطنيه على طريق اصلاحات زراعية جذرية وامم كل شيء فوق ارض مصر، ثم شرع يصلح الاقتصاد المعطوب. وكان رمز هذه الانطلاقة المحمومة سد اسوان الهائل الذي كان من شأنه احداث ثورة زراعية وصناعية. بيد ان الولايات المتحدة ما لبثت ان سحبت دعمها للسد العالي، فكانت النتيجة ان دخل السوفييت عملية تمويل بنائه.

وأيا تكن السياسات التي اتبعت، فان بناء السد العالي كان عملا بطولياً من مرتبة حفر قناة السويس او بناء الاهرام. ولقد كلف مبلغاً ضخماً وصل الى خمسة مليارات دولار بين ١٩٦٠-١٩٧٠، واستدعى عملا متواصلا شغل ٣٥ الف مصري و ٢٠٠٠ سوفييتي. وفي العام ١٩٧٠ على بعد ١١ كيلومتراً جنوب اسوان، انتصب السد العالي عبر مياهي مثل صرح كبير رمادي من الاسمنت عرضه ٣٦٠٠ متر وارتفاعه ١١١ متراً، دميم المظهر ولكن عظيم النفع.

ولقد درجت طوال الوف السنين على رفع مياهي ستة امتار او اكثر ابتداء من يوليو (تموز) وانتهاء في اكتوبر (تشرين الاول). فتفيض مياهي على الضفتين لتحيل الوادي بأكمله بحيرة هائلة. وكانت القرى المعزولة تستوي فوق الطين والطرق الرئيسية تجتاز المياه فوق مسالك موحلة وقطعان البقر ترتقي الاراضي المرتفعة

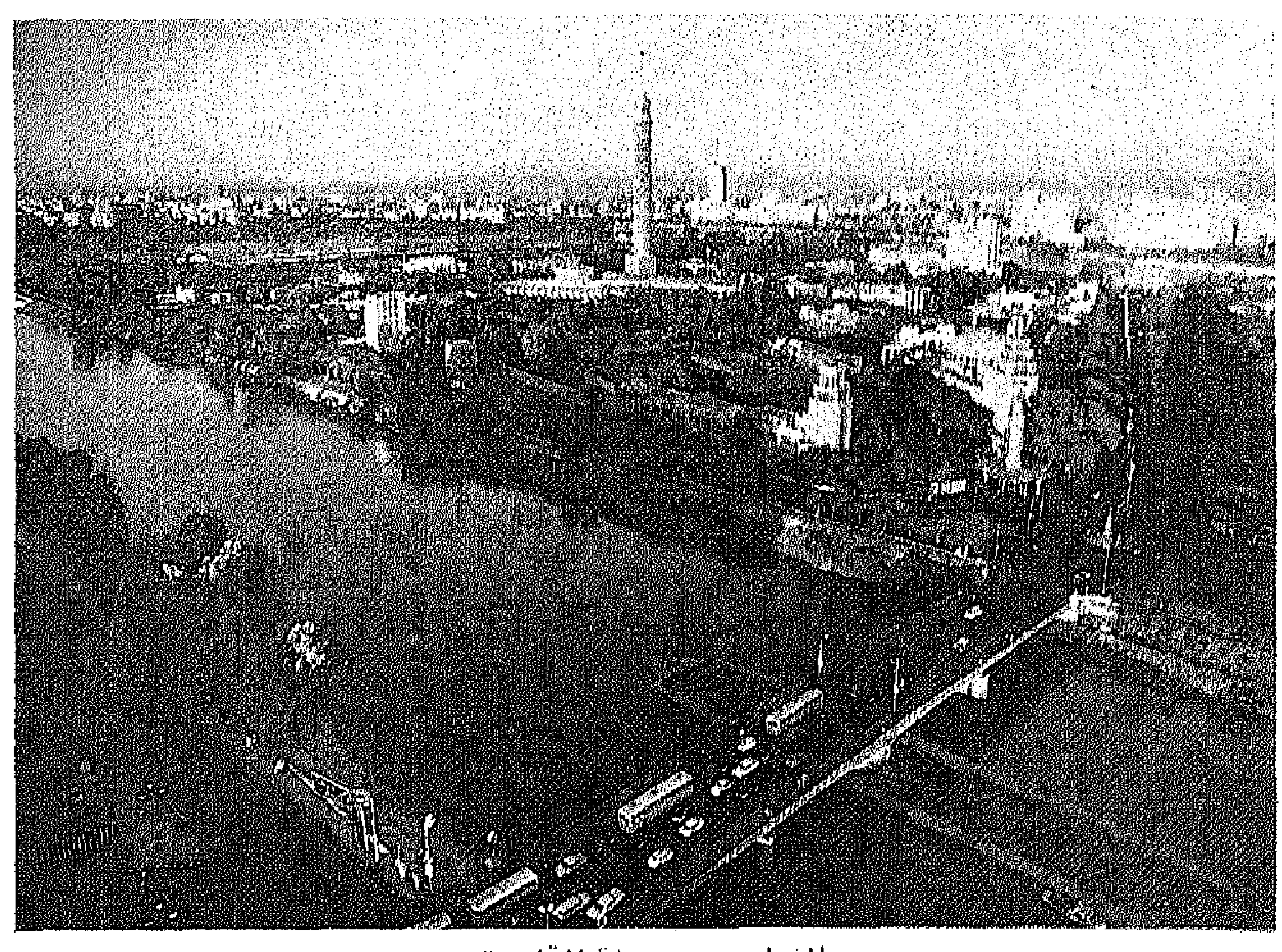


عند حافة الصحراء· واذ تنحسر المياه فانها كانت تخلف الاراضي مبللة وغنية بالغرين الخصيب·

اما اليوم فسد اسوان يتحكم بمياهي· لم يعد النيل الازرق المضطرب يغمر الارض بفيضانات صاعقة ولا المجاعة تحدث نتيجة الجفاف· واذ انخفض منسوب مياهي الى مستوى ادنى واكثر ثباتاً، فان الخطوط الهاتفية باتت تمتد على دعامات قديمة وترتفع اشجار النخيل الجافة المعزولة فوق رواب لا لزوم لها· وها هي ضفافي، مثل جوانب سفينة عتيقة، علاها البلى وبدت كأنها نحتت بازميل عن العلامات التي تشير الى منسوب المياه الذي كان يرتفع في الايام الغابرة·

البروفيسور خليل منسى من جامعة ميشيغان يشرف على دراسة بدأت عام ١٩٨١ وتستغرق سبع سنوات ووضعت لها موازنة من مليوني دولار، وهي تتناول السد العالي المطروح دوماً للنقاش والجدل· والبروفيسور منسى يتعاون في الدراسة مع الاكاديمية المصرية للبحث العلمي والتكنولوجيا·

ومنذ ما بدأ السد مهمته امكن استصلاح ٤٠٠ الف هكتار من الصحراء اضيفت الى رقعة الوادي· ولاني اليوم اوفر المياه على مدار السنة، فان مليون هكتار من الارض باتت تنتج موسمين او ثلاثة في السنة بدلا من واحد· وزاد انتاج الاغذية بنسبة تراوح بين ٢٠ و٥٠ في المئة· كذلك انطلق الرواد مسافة ٥٠ كيلومتراً داخل الصحراء لترويضها بمد انابيب المياه وانشاء سبع مدن جديدة· كذلك تمت كهربة جميع قرى مصر الاربعة الاف،



النيل يعبر مدينة القاهرة ·

فيما يولد سدي العالي ثمانية مليارات كيلووات/ساعة فيوفر ٧٠ في المئة من حاجة البلاد الى الكهرباء · وها هم الفلاحون يقولون ان محاصيلهم اصبحت اغزر وافضل وانهم يكسبون اكثر بجهد اقل ·

بحر التغيرات

على ان دعاة الحفاظ على البيئة يروجون ان السد العالي اثار مرض البلهارسيا الطفيلي الخطير وقضى على مصائد سمك السردين · وهم يدعون ايضاً انه حرم وادي لنيل ٨٠ الى ١١٠ ملايين طن من الغرين سنوياً وتسبب في انتشار ظاهرة تشبع التربة بالمياه كما زاد ملوحة الاراضي الزراعية ·

الا ان البروفيسور منسى يفند هذا كله · ويظهر المسح الذي أجراه ان انتشار البلهارسيا يتقلص في الواقع وان خسارة الدلتا ١٨ الف طن من السردين عوضها ٣٠ الف طن من اسماك بحيرة ناصر، كما ان الغرين، الذي لم يكن بالخصوبة المتوقعة حلت محله الاسمدة المستخلصة من فوسفات الصحراء وطاقة السد العالي · ويضيف البروفيسور منسى ان اي ضرر اصاب التربة انما يرجع الى خطأ التخطيط المركزي في القاهرة وتمكن معالجته بوسائل التصريف السليم · وقد بدأت وزارة الري فعلا تنفيذ مشروع واسع لهذا الغرض ·

الا ان العمل الاساسي لموظفي الوزارة الخمسين الفاً هو تطهير شبكة الري الخاصة بي والمعقدة على نحو لا

يصدق. فهم يكادون يتحكمون بمياهي اذ تتدفق الى قناة كبيرة موازية ومن ثم الى ترعة اصغر، ثم تتوزع في ترع اصغر واصغر حتى تصل الى مجار مائية هزيلة. وهنا يتولى الفلاح الامر في قطعة أرضه الصغيرة فيحول مسار المياه بلطف لتروي كل نبتة مشكلا باصبعه الترعة الاخيرة.

وها هي الاحوال بعد هذه القرون الطويلة الصعبة تصل الى خاتمة طيبة. فالاقتصاد المصري ينتعش والدخل الفردي يبلغ مستوى معقولا (كان ٤٨٠ دولاراً عام ١٩٧٩). بيد ان وادي النيل الاخضر الذي اجري فيه لا يزال بعيداً عن النظام. فالانفجار السكاني زاد عدد اهالي الى اكثر من ضعفي ما كانوا في الحرب العالمية الثانية، وسوف يصل عددهم الى مستوى كابوسي يبلغ ٧٠ مليوناً خلال عقدين من الزمن (نصف السكان الآن يقل عمرهم عن العشرين حيث يبلغ متوسط العمر المتوقع ٥٤ سنة). وفي وادي المزدحم يعيش احيناً اكثر من الف نسمة في الكيلومتر المربع. وقد ادى ذلك الى ان هذا البلد الذي كان يصدر الاغذية قبل ٢٥ سنة اصبح يستورد ثلثي حاجته منها.

ان السنين العشر او الخمس عشرة الآتية ستشهد زيادة ٥٠ في المئة في الـ٢،٥ مليون هكتار المزروعة في مصر، وذلك لمسايرة الزيادة في عدد السكان.

مع ذلك فالامر مازال ينطوي على التفاؤل. فترعة السلام الجديدة التي تنقل مياهي الى سيناء يتوقع ان تؤدي الى استصلاح ٦٠٠ الف هكتار. كذلك فقد يتعزز الاقتصاد بفضل ازدياد عائدات السياحة وقناة السويس والتحويلات التي يرسلها المصريون العاملون في الخارج وارتفاع الصادرات النفطية التي بلغت قيمتها ٣،٥ مليارات دولار عام ١٩٨١، وهو العام نفسه الذي شهد ١٥ اكتشافاً نفطياً مهماً ضاعفت احتياطات النفط في البلاد.

لقد كان شعبي يحلم بمصر الرخاء ومصر التقدم حيث قطعة من الارض وبيت لكل مصري. وانا النيل في قلب هذه الطموحات كلها. ولكن اذا كان للشعب المصري ان يستخدم قدراتي بحكمة فعليه ان يهتم بي اكثر مما يفعل. لا بد من ان يحسن تصريف مياهي فيكافح التلوث الذي بدأ يفسد دلتاي بسبب النفايات والمواد الكيميائية. فاذا عاهدني على تنفيذ هذه الامور، فسوف افعل من اجله الكثير.

ان مواردي تكاد لا تنفد. فأنا عطاء دائم متجدد، انا قوة في حال من البعث لا تنقطع. وانا حتى عندما اتدفق في مياه البحر الابيض المتوسط، فانما لابدأ رحلتي نفسها على مسافة ٦٦٧٠ كيلومتراً في اعالي افريقيا. انا حاضن الحضارة المتجدد، اكرر عطاياي في وفاء فأرسل شريان الماء المتدفق الذي لا ينقطع واخدم الانسان مثلما ظللت افعل منذ فجر الخليقة.

على قاعدة تمثال سايس القديمة على دلتاي، عبارة محفورة في الحجر وفي الذاكرة: "انا كل شيء، انا الماضي، انا الحاضر، انا المستقبل." ولعلها كلماتي انا ايضاً.

■ **كريستوفر لوكاس**



كان الفحيح آتياً من القبــو. وهو لم يتوقف طوال شهرين

بَيت الثعَابين

في شتاء ١٩٦٧ انتقلنا انا وزوجتي من المدينة الى قرية باركر في ولاية كولورادو، على مبعدة ٤٠ كيلومتراً جنوب شرق دنفر. وكنا ننوي تربية الخيول. وفي غضون ذلك عملت مراقباً في شركة للبريد الخاص. واستأجرنا منزلا متواضعاً قربه حظيرة ويشرف على ٦٥ هكتاراً من الارض.

كانت المفاجآت التي حبتنا بها الطبيعة بهيجة في باديء الامر: قطيع من الوعول يرعى فوق التلال وبومة تطير وسط ليل ساكن مثلج وهديل يمام في الخامسة صباحاً. هكذا شعرت كأني في جنة عدن.

وفي منتصف مارس (آذار) طالعنا طقس رائع دافيء يكاد لا يصدق. فقررنا اقتناص الفرصة بالخروج فوق صهوات الخيل. وعندما عدنا الى المنزل سمعت فحيحاً عالياً شبيهاً بصوت الغاز او البخار المتسرب، وكـان الفحيـح آتيـاً مـن الطبـقـة الارضية. فتحت باب القبو وانحدرت

على السلم، بيد اني لم اجد بخاراً متسرباً. فجأة رأيت مصدر الصوت. فوق الارض، قرب سخّان المياه، التفّ ثعبان مجلجل وهو مستعد للانقضاض. وتسلقت السلم بسرعة وصفقت الباب ورائي مبادراً زوجتي: "ثمة ثعبان هناك!" ثم ركضت الى الحظيرة لاحضر منجلا. وعدت افتح باب القبو وقد تملكني الرعب. ووصلت الى اسفل السلم وانا امنّي النفس بان الامر ليس سوى كابوس. لكن الثعبان اللعين كان لا يزال هناك. ورفعت المنجل وتقدمت بخطى بطيئة. كانت عينا الثعبان ترقبانني، ومن خلف رأسه ثمة شيء يومض، انه ذيله. وكان صدى الفحيح يتردد فوق جدران الاسمنت مثل صفق اجنحة الجراد في ليلة صيف.

رفعت المنجل في وجه الثعبان كملاكم يتحفز لخصمه. لكن الثعبان لم يعرني اهتماماً. وسددت اليه ضربة بالمنجل، واذ سحبت الآلة الحادة رأيت السم الزعاف يقطر من نصلها.

في تلك اللحظة من الارتباك تذكرت القتال بالعصي في تدريبات سلاح البحرية. فسددت ضربة اخرى ثم رفعت المنجل من جديد وهويت به على الثعبان، مصدراً في الوقت نفسه صيحة عالية كفيلة بارضاء غرور اي مدرب. الا ان المنجل علق في مكان ما وسط الثعبان. وهنا ارخى الثعبان التفافه. وعدت اكرر الصيحة والضربة استجابة لمشاعر الخوف هذه المرة.

ولا اعرف كم مرة ضربت الثعبان، الذي اعرفه هو اني عندما فرغت من الصياح كان الثعبان اصبح جثة هامدة.

وغمرتني نشوة الانتصار، ليس على الثعبان بل على المشاعر التي تملكتني قبل ذلك بلحظات. واظن اني ترنحت قليلا وانا في طريقي الى الحظيرة كي اخفي المنجل بعيداً.

وقبل ان اصل الى مقصدي التقيت دين، صاحب المنزل والارض. وعندما رويت له ما فعلت طلب ان يرى الثعبان.

وسمعنا الفحيح نفسه حال وصولنا الى البيت. وهنا قلت "لست افهم. انا متأكد من انه نفق." وهبطنا السلم الى القبو. كان الثعبان ممدداً هناك، لكن الصوت ما زال مسموعاً.

لست اعرف ايّنا رأى الثعبان الآخر اولا. كان على مسافة متر منا، عند الركن بين الجدار وعارضة خشبية.

اهتاج دين وخطف المنجل من يدي، لكن نصله كان اكبر من المساحة المستهدفة. لهذا استخدم المقبض كي يستحث الثعبان على الخروج من مكمنه، فأطل وهو يلتوي ويتثنى حتى حمله دين على الخروج الى ارض القبو، فسدد الى رأسه ضربة متقنة رمته بلا حراك. وران الهدوء في القبو. ووضعنا الثعبانين في كيس وصعدنا الى البيت لنحتفل بالمناسبة.

حال حصر — وفي ساعة متقدمة من تلك الليلة عدت الى القبو وسلطت نور مصباح على الجدران. فرأيت ثعباناً آخر يتحرك فوق رأسي. لم اصدق عيني وحبست انفاسي وعدت الى المنزل حيث وجدت زوجتي في حال شبه هستيرية. وهي ارادت ان تذهب الى احد الفنادق، لكنني لم أرَ اننا في خطر مباشر.

وفي اليوم التالي رحت اروي قصتي بحماسة لزملائي في العمل. لكن متعتي لم تدم تلك الليلة، اذ عدت الى منزلي لاجد ثعباناً قابعاً هناك. فكيف السبيل الى التخلص منه؟ وقررت قتله ببندقيتي. وخاطرت باحتمال ارتداد الطلقة عليّ. الا ان الثعبان سقط من عل فأسلمني الى رعب يقرب من الموت نفسه. لكنه هو الذي نفق في اي حال.

واذ افترضنا ان هناك مزيداً من الثعابين في القبو، فاننا قررنا فرض حال حصار على أنفسنا. لم يسعنا مغادرة المكان وترك الجياد، ولم نكن في خطر حقيقي ما دامت الثعابين لا تخرج من مكامنها الى بيتنا. ولست اكذب اذا قلت اننا لم نكن نحتاج الى دخول القبو الا عند الضرورة. ثم ان لحال الحصار هذه مزاياها ايضاً: ففي وسعي ايام العطل المملة اصطياد... الثعابين. وكنت دائماً اجد منها واحداً على الاقل.

واتصلت انا وجاري بالمسؤولين عن الزراعة في المنطقة وبحديقة الحيوان واختصاصيي المبيدات ووكالات الصيد، علنا نقع على وسيلة للتخلص من تلك الثعابين. وطرحت علينا حلول عدة. نصحونا بان نشتري نمساً ونطلقه في المكان. وقال احد الخبراء ان لديه طريقة تنطوي على استخدام سم السيانيد، لكنها تقضي بهجر المنزل لمدة سنتين. ولم اكن اعتقد ان دين سيؤيد استخدام هذه الطريقة.

وتوالت الاسابيع واستمرت المعركة. واخيراً اكتشفنا ان الثعابين دخلت القبو من ثقب صغير في البناء. ويبدو انها جاءت في الخريف السابق. وربما اجتذبها القبو لدفئه، او تسببت حرارة الطقس في خروجها من خدرها الشتوي أبكر من المعتاد.

وذات يوم دخلت حجرة الانابيب والتوصيلات الكهربائية، فرأيت ثعباناً كبيراً قتلته بطلقة واحدة. ووجدتني امام خطر داهم: هذا الثعبان الممدد امامي يبلغ ثمانية امتار طولا ويقع في منطقة لا ينفذ اليها الضوء وربما لا يزال يشغلها اخوان له. ثم ان الربيع على الابواب، والطقس الدافىء معناه تحلل الجيفة. ولم تكن لدي فكرة عن رائحة ثعبان متحلل، ولم ارغب كذلك في الدخول اليه واخراجه.

رقم قياسي – زارني دين في يوم عطلة، وتحول الحديث كالعادة الى موضوع الثعابين. وحدثته عن الثعبان النافق في حجرة التوصيلات، وسألته عن طريقة لاخراجه. فقال جاري: "انا الذي سأخرجه. فانتم تحملتم ما فيه الكفاية ولا يتعين عليكم ايضاً ان تشموا رائحة ثعبان متحلل."

ذهبنا الى الحظيرة واخذنا مصباحاً كاشفاً وعدداً من الاسلاك الكهربائية. كانت الفكرة تقضي بتوفير اكبر مقدار من النور حين ينحشر دين في حجرة التوصيلات. وهو اصرّ على حمل بندقيتي القصيرة الماسورة، فيما أمسك انا بندقيتي العادية كنوع من الدعم المعنوي. ومع ذلك فلم اكن لأتوقع من ثعابيني ان تحاول نصب الشراك.

وحين أذكر ذلك الحادث أعجب كيف فاتني ان ادرك مدى الشجاعة التي شهدتها في تلك اللحظات. كان

دين في طريقه الى حجرة ضيقة تكاد لا تسمح له بالوقوف. وكان مخرجه الوحيد منها فتحة تتسع حوالى نصف متر مربع. ثم أنه سيدخل منطقة قد تعج بعشرات الافاعي السامة.

حمل دين المصباح بيد والبندقية بالاخرى، وشرع يزحف داخل الفتحة. وفجأة انطفأ النور. في تلك اللحظة كان في وسع المرء ان يسمع صيحاته على بعد كيلومترات.

كلمات كثيرة كان يتفوه بها الى حد بات من الصعب أن اعرف ماذا يريد. لكن الواضح أن أول ما اراده اصلاح الضوء. كان يصرخ بي كي أجد موضع العطل في التوصيلة. وفي عجلة مجنونة تحسست السلك بيدي فلم اعثر على أي عطل. وبعد لحظات، فيما توالت صيحات دين، عاد النور وسمعته يقول بحياء: "لقد وطأت السلك."

ثم نظر الى أعلى وقال: "ثمة واحد هناك." وتحركت الى الخلف اذ رفع البندقية واطلق النار. كان الثعبان صغيراً لا يزيد طوله على ٣٠ سنتيمتراً. وكنا حققنا رقماً قياسياً لطول الثعابين، فخاب أملنا في الطرائد القصيرة.

وواصل دين زحفه في زوايا المكان، فحقق انجازات كثيرة. اخرج الثعبان الكبير وقتل سبعة اخرى، فبلغ مجموع ما اصطدناه ثمانية.

بعد اسابيع، في شهر مايو (ايار)، قتلت ثعباني التاسع عشر. واذ جذبت الزناد شعرت بالحزن. فغريزة الثعابين قادتها الى منزلي بحثاً عن مأوى لها في خدرها الشتوي، ولم تكن مدفوعة بعامل الحقد او التربص لالحاق الاذى بي او بعائلتي. لكن الثعبان كان خطراً، وبدا كأني اخفقت في تحييد هذا الخطر من غير قتل مصدره.

كان هذا آخر الثعابين التي رأيناها. وفي الشتاء انتقلنا الى منزل آخر. وقال لي دين ان الهنود الحمر يعتقدون انهم اذا علقوا ثعباناً نافقاً كي يجف، فهو يجلب المطر. وفي اواخر مايو (ايار) علقنا بعضاً منها على السور. وظلت السماء تمطر كل يوم من حزيران (يونيو).

■ وليم ساتون

بحر برسم البيع

ذهب احد سكان الجبال الى البحر للمرة الاولى في حياته ومن فرط اعجابه بالمناظر التي رآها، وقف يتكلم بدهشة معبراً عن حبور لا يصدق. ولاحظه اثنان من المستحمين، فقررا ان يبتزا منه بعض المال استغلالا لسذاجته. وسأله احدهما: "ماذا تفعل؟"

ـ اني أخلع حذائي.

"لكن هذا غير جائز. فاذا جاء كل شخص الى هنا ووضع قدميه في الماء، تلوث البحر".

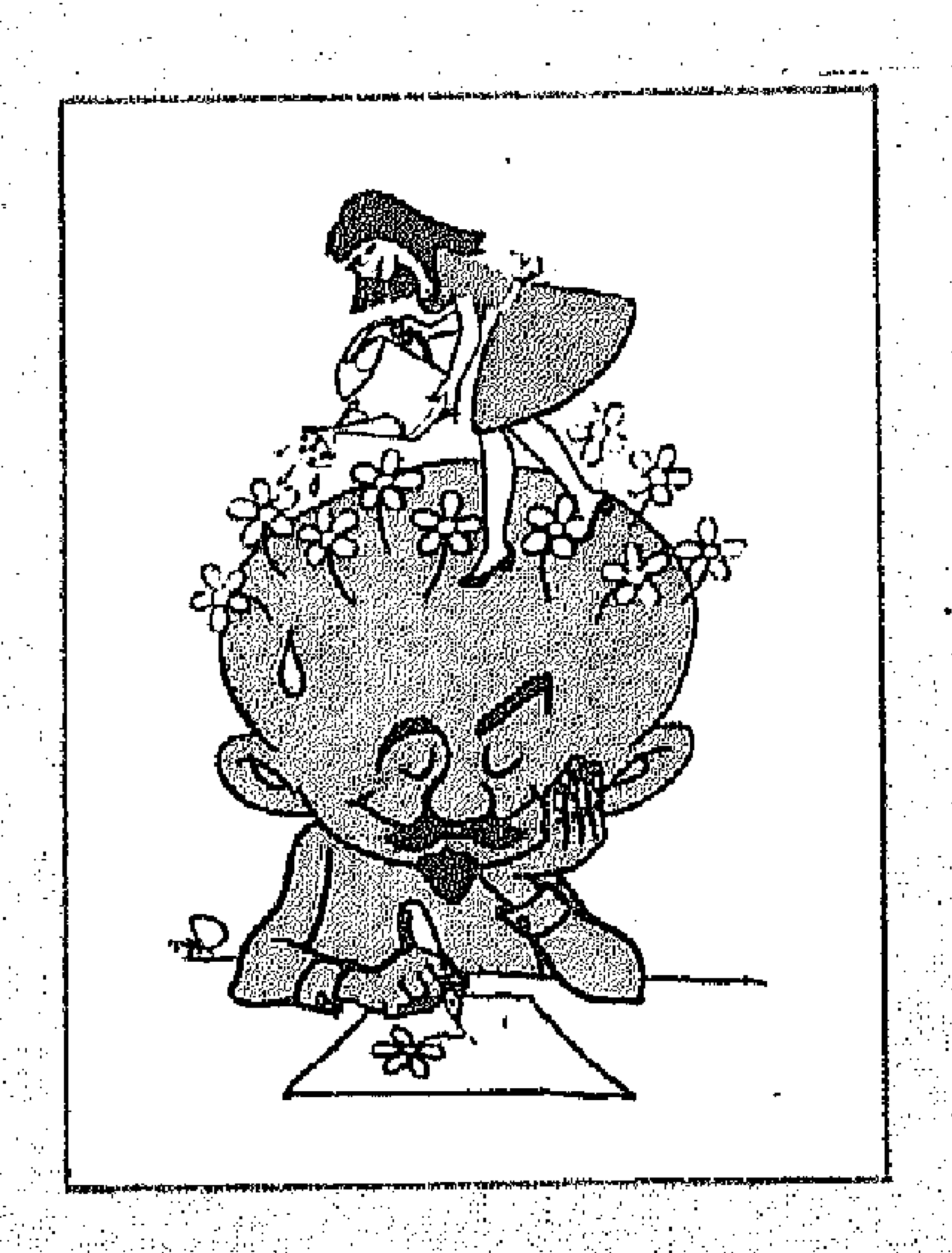
ـ هذا صحيح! انكما على حق.

"ولكن اذا شئت، أمكننا بيعك دلواً من ماء البحر بثمن زهيد."

ـ إني أشتريه!

واشترى الريفي دلو الماء ووضع قدميه فيه بعد لأي شديد. ثم نظر الى البحر ليرى مياه الشاطىء انحسرت بفعل حركة الجزر، فقال: "لا بد من انهما باعا مقداراً ضخماً من الماء هذا اليوم!"

م.ك.



حديقة أفكار

■ أحسد الحيوانات على أمرين: جهلها الخطر الآتي، وجهلها ما يُقال عنها.

فولتير

■ الفكرة الجديدة كائن سهل المكسر، يقتله تثاؤب أو عبوس من الشخص الملائم.

تشارلي براون

■ الفرح المشترك فرحان، والحزن المشترك نصف حزن.

مثل أسوجي

■ اذا لم تتعثر بين وقت وآخر، فهذا دليل على اكتفائك بالامور الصغيرة.

وودي آلن

■ في الحرب، ليست هناك جوائز ترضية.

الجنرال عمر برادلي

■ الشخص الذكي هو من يوجِد عدداً من الظروف يفوق ما يجده.

فرنسيس بيكون

■ السعادة نبتة تنمو في حديقتنا، لكنها مغطاة بأعشاب كثيرة.

د.ك.

■ الحديث كالطعام الشهي: يجب أن يُقطع قبل التخمة.

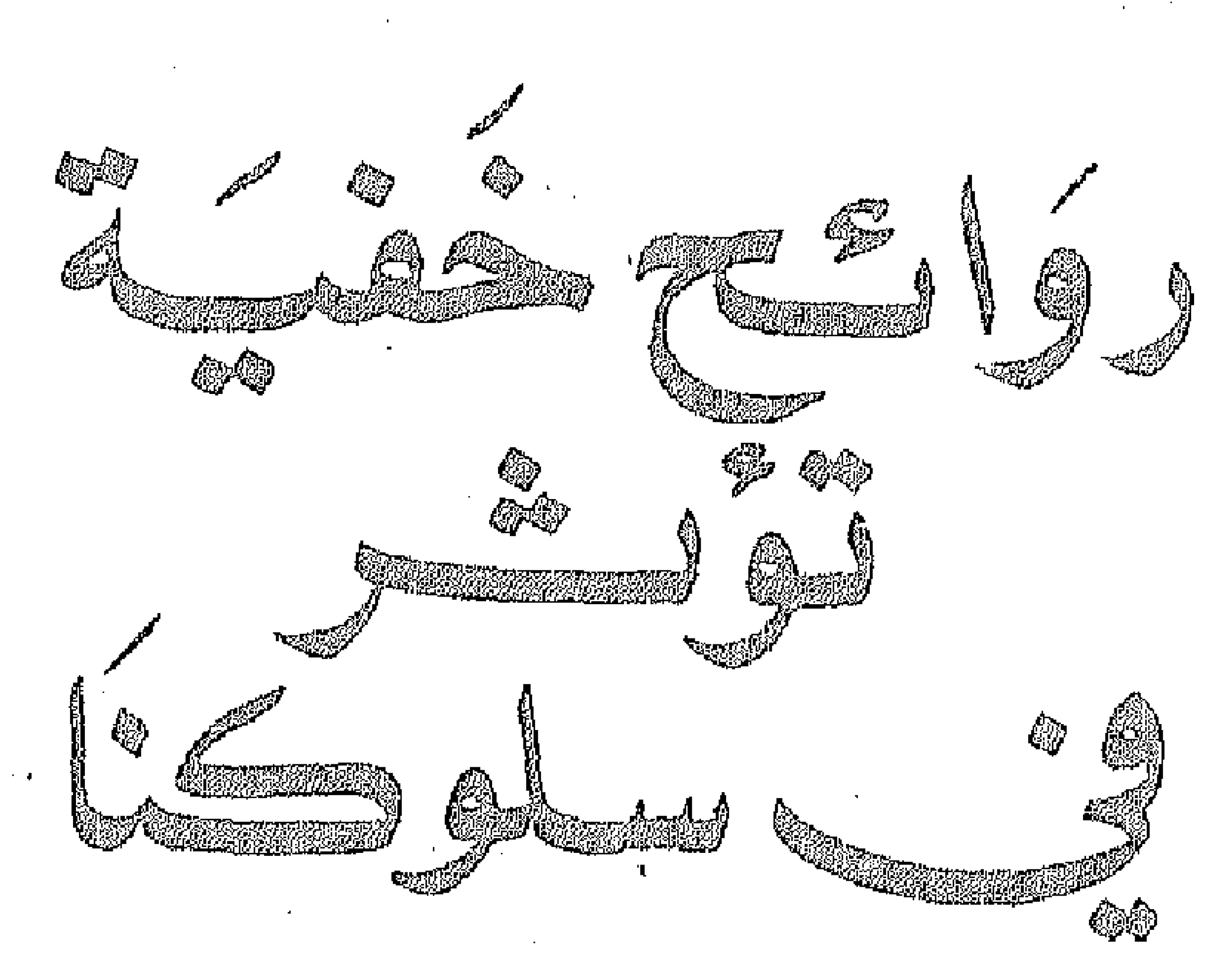
ج.ا.

■ السياسي من غير حزب كحلزونة من غير صَدفة.

ا.ج.

■ لو عرف الناس متى يتلاقون وأين في المرة المقبلة لكانوا أكثر رقة لدى وداع أصدقائهم.

رويدا



يعبق الجو حولنا بألوف الروائح الخفية التي تثير فينا العواطف وتحد طريقة سلوكنا

الجو حولنا مشحون باشارات سرية هي روائح خفية تنقل مختلف انواع "الرسائل". وقد اخذ العلماء يكتشفون في تلك الروائح لغة صامتة هي أقدم اللغات في الوجود.

دعيت هذه الروائح "فيرومونات" اشتقاقاً من الكلمتين اليونانيتين "فرين" وتعني "ينقل" و"هورمان" وتعني "يستثير". وهي موجودة في كل كائن حي. وتحدث في حيوانات الفصيلة الواحدة تغييرات مشابهة للتي تسببها الهرمونات. هذه الاتصالات الكيميائية المباشرة استخدمتها المخلوقات البدائية التي لم تنعم بأعين وآذان.

معظم المخلوقات الحية ما زالت تستخدم حاسة الشم للاتصال في ما بينها. تأمّل كيف تستقبلك قطتك المنزلية بحك خدها على ساقك. ان لديها غدداً للرائحة قرب منبت شعر شاربيها، وهي بسلوكها هذا انما تسمُك برائحة مميزة تنذر القطط الاخرى بالابتعاد عنك وكأنها تقول: "هذا البشري لي". وعلى غرار ذلك يترك كلبك آثار رائحة حول حدود منطقته. وقد لوحظ ان الذئاب تتوقف عن مطاردة ظبي تلاحقه اذ يعبر حدود منطقة وسمتها مجموعة اخرى من الذئاب برائحتها الخاصة.

ضمن المجموعة الواحدة تشكل الفيرومونات ايضاً علائم الانتماء والتفرد والسيطرة. فالكلب القائد في المجموعة يطلق رائحة تحرك في الكلاب الاخرى سلوك الرضوخ. وفي كثير من الفصائل الحيوانية، مثل الفئران، تحدد فيرومونات الانثى المسيطرة اوقات دورة التزواج لدى بقية الاناث، بل انها احياناً تقمع قدرتها التناسلية.

وتؤثر الفيرومونات حقاً في التناسل. ففي فصل الربيع تطلق انثى العث دفعات ضئيلة من الروائح

الرمزية معلنة اهبتها للتزاوج. وهذه الرموز تجعل قلوب ذكور العث تخفق ولعاً على بعد ٨٠٠ متر. وقد نجح العلماء في عزل هذه المادة الكيميائية واستخدموها لصدف الذكور عن ملاحقة الاناث او لاستدراجها الى الشراك. وبذلك بدأ العلماء مرحلة جديدة في الصراع الأزلي للانسان مع الحشرات.

والانسان ليس أول من استخدم معرفته بفيرومونات الفصائل الاخرى كوسيلة لخداعها والتغلب عليها. فهناك فصيلة من النمل الذي يستعبد انواعاً اخرى. وهو يهتدي الى اوكار ضحاياه بآثار فيروموناتها على الارض، ثم يشن عليها حرباً كيميائية صاعقة داخل اوكارها. وحين تهب هذه للدفاع عن نفسها، تطلق النمال المهاجمة رائحة كيميائية مماثلة لتلك التي تحرك مشاعر الخوف لدى ضحاياها، فيدب الذعر في هذه وتتراجع. عندئذ تنقض النمال المهاجمة على يرقات الاوكار المغلوبة وتنقلها الى اوكارها هي لتربيها كعبيد تخدمها.

بقي على البحث العلمي ان ينتج فيروموناً يحرك مشاعر الرعب والفرار في الحشرات الضارة كالبعوض الذي يهتدي الى ضحاياه بواسطة الرائحة.

هل تؤثر اشارات الروائح في الانسان؟

بالمقارنة مع المخلوقات الاخرى يبدو اننا غير مجهزين كفاية لنحيا اعتماداً على حاسة الشم. فالكلب من الفصيلة الالمانية التي تستخدم في حراسة قطعان الاغنام يحتوي انفه على ٢٢٠ مليون خلية لتقصي الرائحة، وهذا يزيد ٤٤ ضعفاً على ما لدى الانسان منها. وقد تكون حاسة الشم الاقوى في عالم الحيوان هي لدى سمك السلمون الذي يعبر الوف الكيلومترات في المحيط والانهر المتشعبة مهتدياً برائحة ضئيلة تأتيه من جدول صغير حيث نقف من بيضته قبل سنوات.

ومع ان الانسان يعتمد اساساً على عينيه وأذنيه، فأن انفه حساس أيضاً. من هنا عمدت شركات الغاز المستخدم في المنازل الى اضافة مادة ذات رائحة منفرة الى الغاز المعبأ - الذي لا رائحة له اصلا - وذلك لانذار ربات البيوت الى تسرب الغاز من القارورة او الانابيب. ومعظم الناس يمكنهم شم جزيء واحد من هذه الرائحة اذا كان ممزوجاً بـ ٥٠ مليون جزيء من الهواء. وكما ان العينين تمكناننا من تحديد الابعاد، فأن المنخرين يمكناننا من تحديد مصدر الرائحة بتمييز مقدار كثافتها في كل منهما.

ان القدرة على الاحساس بالرائحة تختلف كثيراً بين شخص وآخر. كثيرون يمكنهم تمييز ٤٠٠٠ رائحة مختلفة، لكن في وسع بعضهم تمييز اكثر من ١٠ الآف رائحة. وهناك دلائل على ان انوف النساء تستشم هذا العالم على نحو مخالف لانوف الرجال.

فشم الروائح منوط بالتفاعل بين الكيميائيات داخل الجسد وخارجه، الفيرومونات والهرمونات.

روائح سحرية — بقي على العلماء ان يحلوا لغز عمل حاسة الشم. احدى النظريات تقول ان خلايا الشم لدينا تستجيب لشكل الجزيئات التي تأتيها، وأن المواد التي تختلف كيميائياً، ولكن يتشابه فيها شكل الجزيئات، ربما تكون روائحها متماثلة. وقد يكون هناك عدد قليل لا يتجاوز العشرات من اشكال الجزيئات الخاصة بالرائحة، تماماً كما يوجد عدد قليل من الالوان الاساسية. غير أن الروائح الاساسية يمكن ان تتمازج وينتج منها عدد غير محدد من الروائح كما يحدث في تمازج الوان الطيف.

وهناك نظرية بديلة تقول ان انوفنا تتحسس الاهتزازات تماماً كما تفعل عيوننا وآذاننا. وأظهرت التجارب ان حاسة الشم يمكن ان تتغير بوضع المرء ضمن حقل كهرومغناطيسي. وهذا قد يوحي بأن تردد الذبذبات، وليس شكل الجزيئات الوافدة، هو مفتاح السر الذي يجعلنا نشم رائحة الوردة ونعرف أنها وردة. لكن العلماء ما زالوا يدرسون هاتين النظريتين وسواهما.

ان خلايا الشم في انوفنا متصلة مباشرة بأحد اكثر اجزاء الدماغ حساسية، وهو منطقة كانت تدعى "الدماغ الانفي" واصبحت تدعى الآن الجهاز اللمبي. هذا الجزء يتحكم بالحركات اللاارادية والحوافز البدائية بما فيها الرغبة الجنسية والجوع والظمأ. وربما كان هذا يفسر كيف ان ذكريات الرائحة تبقى حية في مخيلاتنا ولماذا نظل قادرين على تذكر الروائح التي شممناها في صغرنا. ويبدو ان الروائح تنطبع في الدماغ على نحو أعمق كثيراً من الانطباعات البصرية والسمعية والفكرية. وكثير من الروائح التي تؤثر فينا لا تدخل اطلاقاً عقولنا الواعية. وقد اثبت العلماء ان المواليد الجدد يصبحون بعد ايام قليلة قادرين على التعرف الى رائحة امهاتهم.

هل البشر أيضاً يبثون اشارات فيرومونية ويستجيبون لها على غرار المخلوقات الاخرى؟ لقد وجد العلماء ان كثيراً من الروائح التي لا نحس بها تحدث تغييرات في اجسادنا. وراقب الباحثون اشخاصاً اجلسوهم في غرف اطلقت فيها مقادير ضئيلة من الروائح. وقد اعلن هؤلاء انهم لم يشموا اي رائحة، ولكن خلال لحظات سجلت آلات الرصد الدقيقة تغيرات في ضغط دمهم وتنفسهم وسرعة نبضات قلوبهم.

هل هناك حقاً فيرومونات بشرية؟

العلماء غير واثقين من ذلك. ولكن لا جدل في ان الجسم البشري يطلق بعض الكيميائيات التي تعمل كالفيرومونات في الفصائل الاخرى. فعندما يتفصد الجسم عرقاً يبث رائحة معقدة التركيب تدعى

آندروستيرون. بعض الحيوانات ينفث المادة نفسها، وهي بالنسبة اليه اشارة تحفز للعدوان لدى الذكور واستعداد للتزاوج لدى الاناث.

ما هو تأثير هذه الرائحة في البشر؟

ان التجارب كشفت بعض النتائج المدهشة والمقلقة في آن.

أقل من نصف الرجال الذين اعطوا عينة من الآندروستيرون لشمها امكنهم تمييز اي رائحة على الاطلاق. في حين ان الفتيات الشابات بلا استثناء تقريباً تعرفن الى الرائحة. معظمهن وصفنها بأنها طيبة و"مسكية" كالروائح الاصطناعية المقلدة لها والتي تدخل منذ أمد بعيد في صناعة العطور. والمسك الطبيعي يستخرج من غدة صغيرة في جسم غزال المسك في الهند، وهو ما زال منذ قرون يعتبر مثيراً للرغبة الجنسية.

عام ١٩٧٨ نشر الباحثون في جامعة برمنغهام البريطانية نتائج دراساتهم عن تأثير الفيرومون في الرجال والنساء. فبينوا انه لا يثير الرغبة الجنسية، لكنه يعمل كفيرومون. قليلون ممن تعرضوا للآندروستيرون لاحظوا ذلك، لكنهم شعروا بتغير في مواقفهم الانسانية اذ اصبحوا اكثر سعادة ولطفاً. وفي بعض التجارب عرضت على المتطوعين صور اشخاص، وطلب منهم ان يعربوا عن آرائهم في جاذبية هؤلاء. بعد ذلك عرضوا للآندروستيرون وقدمت اليهم الصور ذاتها فأفادوا أن اصحاب الصور غدوا اكثر جاذبية. هذه النتيجة تطرح احتمالا بأن هذه المادة الكيميائية تنبه الروابط الاجتماعية في جماعات الناس كما في قطعان الذئاب، لكنها لا تثير الرغبة الجنسية لدى الانسان كما تفعل لدى الحيوانات.

مثل هذه الرائحة يمكن ان ترش في الاجتماعات السياسية او تمزج بالحبر الذي تطبع به المنشورات الدعائية في الحملات الانتخابية لجعل المرشح يبدو اوفر جاذبية. ان الروائح الخفية تبعث البهجة في النفوس، لكن هناك ناحية مخيفة في الوقت نفسه. فالمواد القادرة على التأثير الخفي في الاجزاء غير المفكرة في الدماغ قد تطرح احتمال استخدام المواد الكيميائية الحياتية للسيطرة على الآخرين وتوجيههم.

طب الروائح – هذه السنة سينتج من الروائح ما قيمته مليارا دولار. لكن جزءاً يسيراً من هذا المبلغ سيذهب الى انتاج العطور والطيوب. اذ سينفق معظمه في اسباغ الرائحة العطرة على اوراق الرسائل وبطاقات التهنئة وفي ادخال وهم الاناقة والنضارة على المواد المطرية ومساحيق التنظيف والرائحة المتوقعة على الطلاء والادوية وسواها من المنتجات. وهناك سائل يرش في السيارات المستعملة ليسبغ عليها رائحة السيارات الجديدة.

هل هذه المؤثرات الشمية فيرومونات؟

معظم العلماء يقولون لا. فهذه الروائح لا تستثير دوافع بيولوجية شبيهة بما تحدثه في الحشرات. وربما كان البشر يتأثرون بالروائح، لكنهم احرار في تجاهلها.

ومع ذلك فان الروائح تؤثر فينا. ويبدو ان الابحاث التي اجرتها العالمة النفسانية جوديث رودين من جامعة يال في ولاية كونيتيكت تدعم المزاعم التي يطلع بها بعض متبعي نظام الحمية حين يقولون: "اذا شممت رائحة قالب حلوى بالشوكولاته، زاد وزني نصف كيلوغرام." فقد اكتشفت رودين ان رائحة الاطعمة الشهية قد ترفع مستوى الانسولين في دم بعض الناس. وهذا الهرمون يعجل تحويل السكر في الدم دهناً. كما ان تلك التعابير المجازية مثل "رائحة الخوف" تتضمن بعض الحقيقة. فقد توصل العلماء الى عزل "فيرومون الخوف" في الفئران وسواها من الفصائل التي تستخدمها كأشارة انذار لابناء جلدتها تحذرها من خطر يتهددها. كما ان هناك شكاً في اننا نحن البشر يمكننا ان نستشعر، من دون وعي وبأدلة الرائحة وحدها، عواطف الآخرين.

ان علماء بيولوجيين، امثال روبرت هنكن، من المركز الطبي لجامعة جورجتاون في واشنطن، يفكرون اليوم في استعمالات جديدة للعطور. ويقول هنكن ان علماء الاتحاد السوفييتي يستخدمون روائح خاصة لخفض مستوى القلق والارهاق لدى العمال. ويعتقد هنكن ان الرائحة المناسبة قد تزيد الكفاية العملية في المصانع والمكاتب وتخفف الروح العدوانية في السجون. وأن اشباع الكتب المدرسية بالرائحة المناسبة قد يزيد رغبة التلميذ في التعلم ويحسن قدرته على المذاكرة.

في القديم كان الاطباء يشخصون الامراض بالروائح التي يشمونها في مرضاهم. ويقال ان مرض التيفوئيد يبعث رائحة تشبه رائحة الخبز الساخن، وحمى الحصبة رائحة الريش المنتوف، والجنون رائحة الفئران او الغزلان، والطاعون رائحة العسل، والحمى الصفراء رائحة دكان الجزار.

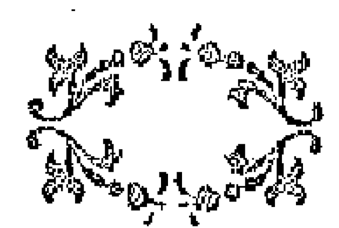
بعض الاطباء المعاصرين جددوا اهتمامهم بعلم التشخيص عن طريق الرائحة، وهم يجرون تجارب "خدش وشم" مستخدمين قصاصات ورق مشبعة بكبسولات دقيقة تحتوي روائح لامراض محددة. ففي الحالات الطارئة، مثل هذه المهارات التشخيصية قد تنقذ ارواحاً.

تصور نفسك طبيباً تعالج مريضاً احضر اليك وهو في غيبوبة. اذا كان عبق فمه يحمل الرائحة الحلوة المميزة لمادة الآسيتون، فأن سبب الغيبوبة المحتمل هو ارتفاع نسبة السكر في الدم. واذا كان المريض يحمل رائحة

الآمونيا، فأن علته قد تكون في الكليتين. بعض الروائح الاخرى قد يكون دليل أنسداد في الامعاء او تسمم بالسيانيد. وفي حين تستغرق الفحوص المخبرية وقتاً طويلا قد يتعذر معه انقاذ المريض، فأن أنف الطبيب المدرب قد يخرج بالتشخيص الدقيق خلال ثوان معدودة.

ان في وسعنا ايقاظ حاسة الشم القديمة الكامنة فينا واعادة تشغيلها، فالانسان يبث ويتلقى باستمرار ملايين الاشارات الكيميائية التي لا يعرف سرها سوى الانف ولا يحللها سوى الدماغ البدائي. وسواء أكان بعض الروائح، أم لم يكن، فيرومونات تندمج في هرموناتنا وتطلق فينا دوافع لا نقوى على مقاومتها، فأن الروائح التي تتخلل حياتنا تؤثر فيها بلا ريب وتلون سلوكنا. واذا اوليناها انتباهنا، فقد تمدنا بمعلومات مذهلة عن ذواتنا وعن الآخرين.

■ لويل بونتي



الاستاذ "الحديث"

كتب استاذ تاريخ في تقريره السنوي امام ادارة الجامعة: "من أهم انجازاتي للعام الحالي أني أمضيت وقتاً طويلا في تحديث محاضراتي حول التاريخ القديم".

د.ك.

خوف مزدوج

كان نجم التلفزيون الامريكي ستيف الن يستضيف طبيباً في احد برامجه. فسأله الطبيب: "ثمة خوفان غريزيان لدى المرء، هما الخوف من الصوت المرتفع والخوف من السقوط عن مرتفع فأي الخوفين لديك؟"

فأجابه الن: "اخشى أن ارفع صوتي وأنا أسقط من عل".

ل.ف.

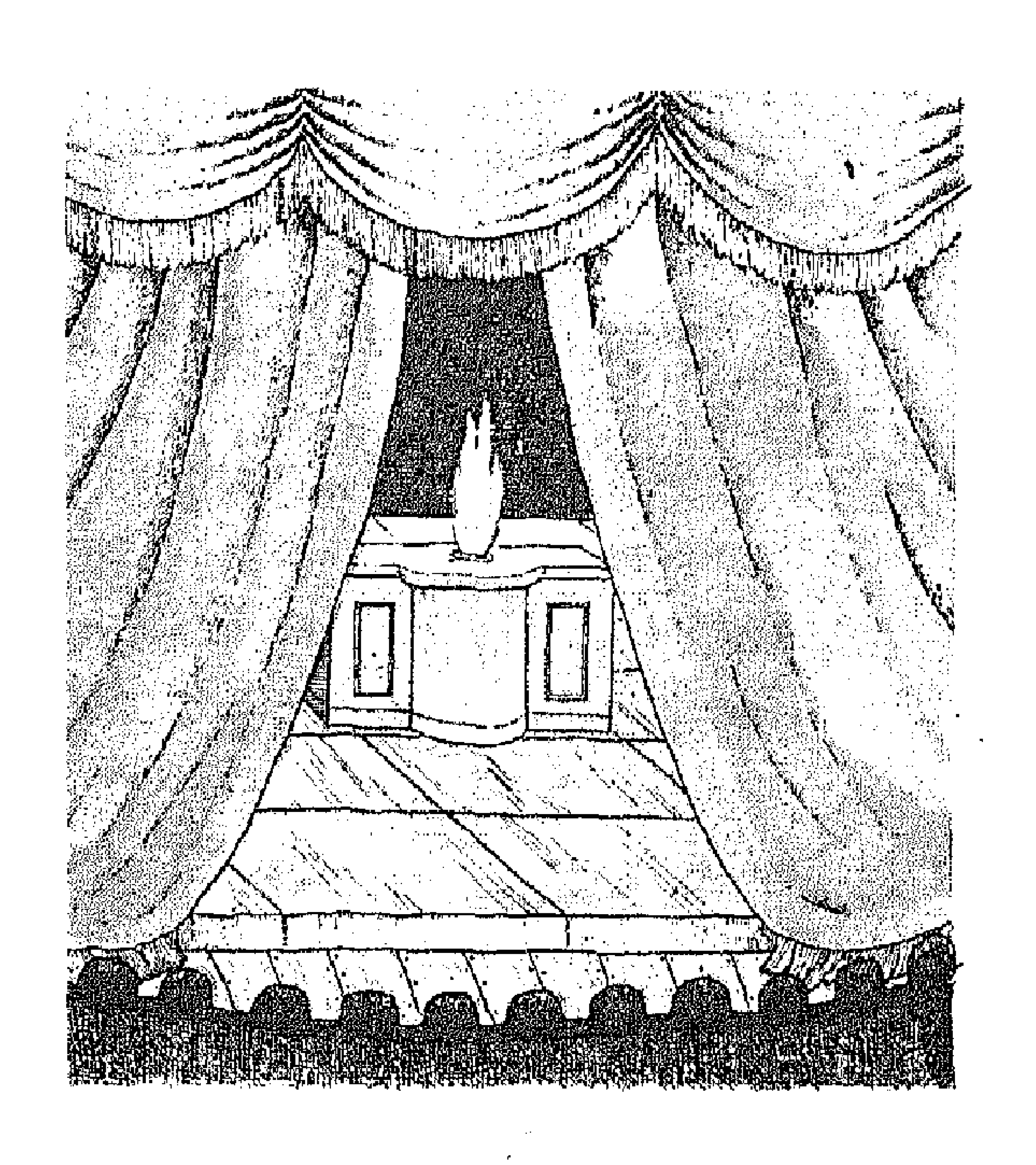
عقار يطيل الحياة!

بينما كان بائع عقاقير متجول يعرض عقاراً عجيباً يطيل الحياة، تجمهر حوله الناس في ساحة احدى القرى، فوقف في وسطهم قائلا: "اني أشرب مقدار ملعقة كبيرة من هذا الدواء يومياً. واليوم عمري ٣٠٠ سنة." وفيما راح عدد كبير منهم يشتري قوارير الدواء من فتى يعاون البائع، شق احدهم طريقه وسأل الفتى بصوت جهوري: "أصحيح أن سيدك عمره ٣٠٠ سنة؟"

ومن غير أن يرف له جفن، قال الصغير: "الحق أنه لا يمكنني تأكيد ذلك، اذ لم يمض علي في خدمته سوى ٩٠ سنة."

ج.م.ب.


لانطلاقة متميّزة
وأداء فريد
CHAMPI
N-7Y
شامبيون
هيَ الرّائِدة
إنسيابيّة رائعة عند
الإنطلاق وفعاليّة
قصوى أثناء الأداء
هذا مَا توَفره
بوجيات شامبيون
دائمًا للمحرك.
إستعمل شامبيون اليوم
وألمس الفرق.
CHAMPION
الأولى بالمبيعات في العالم



أُطفئت أنوار المسرح ورُفعت الستارة على عرض أَدخل فيه الممثلون على ادوارهم عناصر ارتجالية لا تُنْسى

الاوبرا الساخرة

في شهر اكتوبر (تشرين الأول) من كلّ عام، تشهد بلدة ويكسفورد في الزاوية اليمنى من ايرلندا ثلاثة أيام مفعمة بالبهجة والمرح حين تقيم احتفال الاوبرا الخاص بها. والبلدة بإمكاناتها المتواضعة لا تدعي منافسة نجوم هذا الفنّ وما لديهم من ذخيرة. لكنها تبحث عن فنانين في مطلع عهدهم وتختار لهم قطعاً جديدة لم ينهكها الاستعمال.

وفي الامسية الأخيرة من مهرجان ١٩٧٩ الذي لا يُنْسى، قدّمت اوبرا سبونتيني "لا فيستال" وهي تدور حول عذراء رومانية تتنازل عن مسؤولية الحب المقدسة التي أخذتها على عاتقها.

يدور المشهد الأوّل على منصّة ترتفع نحو ثلاثين سنتيمتراً في مؤخّرها وتنحدر تدريجاً حتى أضواء الخشبة الامامية. وهي تبدو كالمرمر لأنها تمثل معبداً من داخله. وقد حقّق المصمم هذا الأثر عبر طلي المنصة بمادة صقيلة. ومنعاً لانزلاق الممثلين، طرأ له أن يصب على الارضية شراباً مرطباً معروفاً من شأنه أن يجعلها دَبِقَة.

ولعدم توافر هذا الشراب، استُعيض عنه بشراب أقلّ شعبية

وأقل" فاعلية أيضاً. لكن" المسؤولة عن تنظيف المسرح، كما قيل، وجدت الأرضية مغطاة ببقايا سائل دَبِق، فدفعتها أمانتها المهنية الى مسح السائل وتلميع الخشبة من جديد.

وفي المساء بدأ المشهد الحاسم عند رفع الستارة. وكان البطل مستغرقاً في أحلامه عند ركن قصي من المسرح. وما أن خطا خطوته الاولى حتى سقط على ظهره. ودارت بين الجمهور همهمة العطف والشفقة. ثم" نهض البطل على قدميه بمشقة ظاهرة محاولا أن يعود الى ركنه. ولم يكف" عن الغناء لأن" الموسيقى لم تتوقف. وكان، وهو يحاول العودة الى الوراء، ينقلب مع كل خطوة. وبهذا بدا كمن يمشي في مكانه، وهو مشهد مألوف في المسرحيات الساخرة خصوصاً في أعمال مارسيل مارسو.

وقرّر البطل أن يبقى حيث هو ويتابع الغناء، تقديراً منه أن" زملاءه سيدركون الورطة ويجعلون حركاتهم تنسجم مع حركاته. وكان قراره حكيماً. ذلك ان" رفيقه الحميم، لدى رؤيته في مقدّم المسرح، صمم على اللحاق به. والحق" أنه لم يكن لديه خيار. ولكن ما أن ظهر على المسرح حتى انزلق وراح يلوح بيديه الى أن استقر" بالقرب من خدينه البطل.

صخرة أمان – الى هنا لم تبدُ الامور غير صحيحة. ثم جاء الدور الذي يقتضي أن يحيي البطل صديقه بمعانقة أخوية. لكن" احدهما راح يتبع الآخر حتى كاد الاثنان ان يهويا الى مقاعد الفرقة الموسيقية، الا انهما استطاعا تفادي الكارثة قبل وقوعها. وأخذا يتسلقان الخشبة كمن يرتقي جبَلا عالياً، ويبحثان عن ملاذ يقيهما السقوط في الهوة. ولحسن الحظ" كان في وسط المسرح مذبح صغير تنيره الشموع، وقد ثُبِّت بإحكام الى الارض. وطرأ للمتسلقَيْن كليهما أن" التشبُّث بذلك المكان من شأنه أن يقيهما السقوط طوال المشاهد المقبلة.

وبُعيد وصول البطل وصديقه الى غايتهما المنشودة، ظهر أفراد الجوق وهم يؤدّون باليه "المتزلجون" على نحو لا ينسجم كثيراً مع الموسيقى.

واندفعت البطلة التي تمثل دور ناسكة، تحدوها غريزة بقاء قوية، الى جانب المسرح غير المنظور حيث خلعت قفازيها. وخوفاً من ألا يكون ذلك كافياً، خلعت جوربيها كذلك.

وانطلقت القهقهة من النظارة الذين ملأوا مقاعد المسرح، وعددها أربعمئة وأربعون. وبتنا نخشى أن تسبب لنا نوبة الضحك الجماعية أذى جسدياً.

والطريف أن الغناء لم يتوقف لحظة واحدة. وما لبث افراد الجوق أن توصلوا الى النتيجة عينها التي اكتشفها البطل وصديقه، وهي أن اللجوء الى المذبح هو الطريقة الوحيدة لتجنّب السقوط. لكن" المشكلة أن هناك مذبحاً واحداً، وهو

RD.AB. 10/82

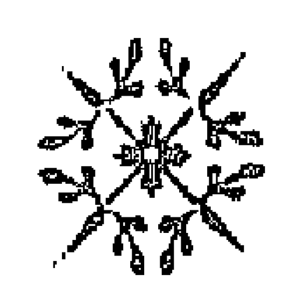
صغير. إلا أن ذلك لم يثنِ أفراد الجوق عن التوجّه واحداً واحداً الى هناك، سَعْياً الى مكان يثبتون فيه اقدامهم أو ايديهم أو أصابعهم. ولما لم يبقَ مكان حول المذبح نفسه، راح احدهم يمسك بالآخر الى أن استقرّوا جميعاً فوق الخشبة على نحوٍ ثعباني متلو.

أما النظارة فانتابتهم هستيريا جماعية جعلت عدداً منهم يسقط أرضاً وقد سال دمعه مدراراً لفرط حبوره.

وانتهى المشهد الأول وسط عاصفة هتاف وتصفيق لم أشهد مثيلا لها ـ ولا آمل أن أشهد ـ في أيّ دار اوبرا. وفي فترة الاستراحة عولجت خشبة المسرح بالسائل المطلوب، وهذا حرمنا الجذل الذي اختبرناه.

والحق انه من قبيل الجشع أن يطلب المرء مقداراً أكبر من السعادة.

■ برنار ليفن



إهداء في محله

أهدى مؤلف أحد كتبه الى زوجته بالعبارات الآتية: "بمعنى من المعاني، هذا الكتاب مهدى مني الي. فهو الى زوجتي التي أهدت نفسها الي".

ك.ا.

زواج سعيد

سُئلت امرأة: "كيف تمكنتِ وزوجك من العيش عشرين سنة معاً ضمن حياة زوجية سعيدة؟"

فأجابت: "السر أننا وقعنا في حُبّ رَجُل واحد".

م.ب.

□ ثمة تجارب في العالم لا تحمل معها سوى السعادة. فهل شاهدنا اعلاناً تلفزيونياً واحداً ذا نهاية أليمة؟

ر.ا.

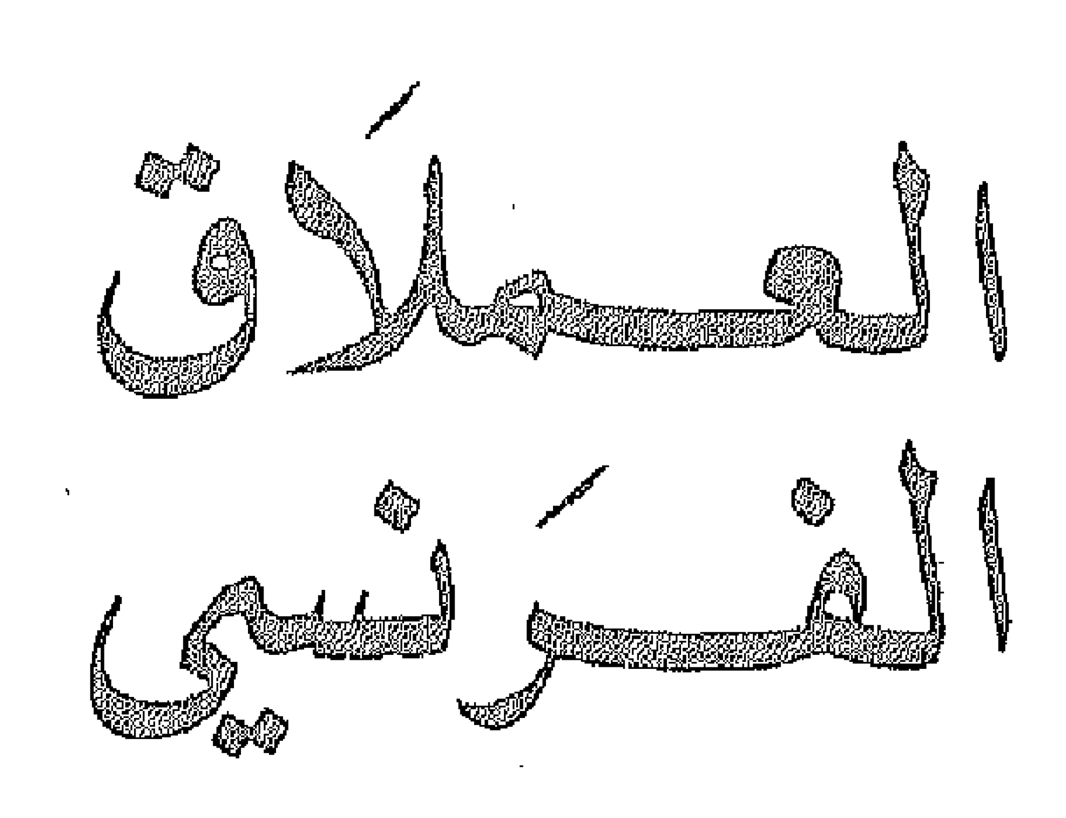
□ هناك عبرة تربوية تحملها الينا اعلانات التلفزيون فهي تجعلنا ندرك كم يظننا المعلنون اغبياء.

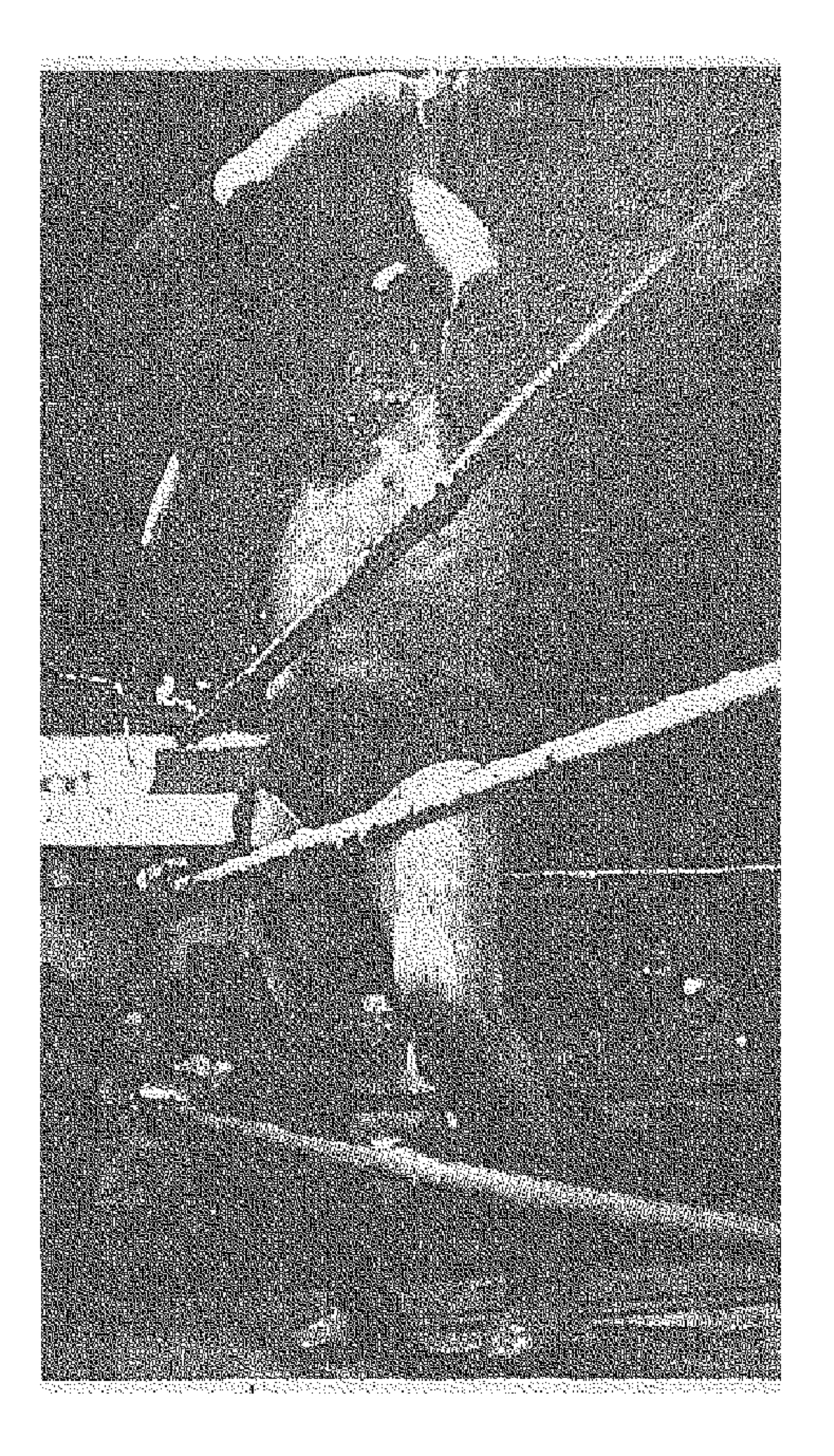
ف.ج.

□ التلفزيون يسبب لك الصداع، ثم يبيعك دواء للشفاء منه.

غ.ر.

طوله ٢٢٥ سنتيمتراً
ووزنه ٢٢٥ كيلوغراماً
ومحيط معصمه ٣٠ سنتيمتراً.
انه ملك المصارعين
المحترفين





اندريه يلاعب "الجزار" في مونريال.

في يوم من الايام ولد طفل في مزرعة فرنسية. وقال والده حين رآه: "يا لهاتين اليدين! ربما يكبر هذا الطفل ليناهز ابي ضخامة."

وقالت الام مبتسمة: "لكنك قلت لي ان اباك كان عملاقاً يزيد طوله على مترين ويبلغ وزنه ٢٥٠ كيلوغراماً."

اجاب الاب: "اجل، انني ابن عملاق. فلمَ لا اكون اباً لعملاق ايضاً؟"

كبر الولد وازداد طولا وعرضاً. وعندما دخل عامه الثاني عشر بلغ ارتفاع قامته ١٩٠ سنتيمتراً ووزنه ٩٠ كيلوغراماً. وذات يوم كان يجمع القش مع ابيه فمرت بهما سيارة روزلز رويس تدرج على مهل عبر الحقل. قال الولد: "سأقتني سيارة كهذه عندما اكبر."

فرد الوالد: "كفّ عن الاحلام. فمثل هذه الامنية كبير جداً حتى على جسمك الضخم."

واستمر جسم الولد ينمو، كذلك احلامه. وعندما بلغ الرابعة عشرة غادر البيت ساعياً الى رزقه.

ومضت خمس سنوات. وذات عصر سمعت الام قرعاً على الباب. واذ فتحته رأت امامها رجلا ضخم الجثة يبتسم لها ابتسامة "هائلة" فوقفت امامه مشدوهة.

سألها العملاق الغريب: "هل رب

Condensed from Sports Illustrated (December 21, '81), (c) 1981 by Time Inc., New York, N.Y. Photo: Stephen Green-Armitage, Sports Illustrated

البيت هنا؟" فأجاب الزوج بقلق من الداخل: "نعم، هل من خدمة؟"

ورد العملاق: "اريد ان اسألك اذا كانت تلك السيارة تعجبك." وتزحزح مشيراً بيده الضخمة الى سيارة رولز رويس كبيرة لامعة.

قال الزوج متوجساً: "انها جميلة ولكن ما شأننا بها؟" ثم رفع بصره وحدّق برهة الى عيني العملاق الضاحكتين والتفت الى زوجته صائحاً: "انه ابننا! هذا اندريه، حفيد ابي."

طوال السنوات الخمس التي امضاها اندريه بعيداً عن والديه انصرف الى العمل بجد لدى شركة لنقل المفروشات في باريس. وعندما بلغ السابعة عشرة اخذ يتردد على حلبة للمصارعين المحترفين الذين درّبوه على اساليبهم وأثاروه بقصص اسفارهم ومغامراتهم. وعندما جرح احدهم واحتاجوا الى بديل طلبوا من اندريه ان يحل مكانه، فحقق نجاحاً باهراً.

واختار اندريه روسيموف لنفسه اسماً مستعاراً هو جان فيريه. وبصفته مصارعاً محترفاً فانه اخذ يزداد ضخامة وثراء وحباً بالحياة. وهو اليوم في الخامسة والثلاثين، ويبلغ طول قامته مترين وربع متر ووزنه نحو ٢٢٥ كيلوغراماً، ويظهر بقامته في انحاء العالم. انه يهيمن على الحلبة كأضخم المصارعين المحترفين واعلاهم اجراً. وباستثناء محمد علي فقد يكون جان فيريه أنشط الرياضيين الذين يحظون بالاعتراف العالمي الواسع.

أعجوبة الطبيعة ــ فرانك فالوا الذي يدير اليوم مباريات المصارعة في كيبيك (كندا) رافق أندريه في الليلة التي لعب مباراته الاولى. وهو لازمه طوال السنوات الاولى لجولاته. ويقول: "انه ظاهرة لا تصدّق. أكتشفت مرة في باريس أنه قادر على رفع سيارة صغيرة بيديه. وهو كان يتسلى بنقل سيارات أصدقائه من أماكن وقوفها. فيحصرها في أماكن ضيقة أو يقلب وضعها من أتجاه الى آخر."

كين باتيرا الذي حاز بطولة الولايات المتحدة في رفع الاثقال اربع مرات صارع اندريه مراراً. وهو يقول: "انه اعجوبة الطبيعة. لقد رأيته يرفع رجلا وزنه ١١٣ كيلوغراماً كما ترفع انت معطفك. وأظنك تعرف ماذا فعل بالمسكين وبنر."

وبنر؟ آه، اجل. انه تشارلس وبنر، زميل محمد علي في المباراة المشؤومة بين الملاكمين والمصارعين عام ١٩٧٦. وكان من حظ وبنر ان يواجه اندريه في ملعب شيا في نيويورك.

دار الملاكم حول اندريه في الجولتين الاوليين وهو يكيل له اللكمات اختباراً كما يختبر الجبلي قمة عالية ينوي تسلقها. وفي الجولة الثالثة لكم وبنر العملاق بقوة، وربما جرأه على ذلك عدم رده على لكماته السابقة. عندئذ امسك اندريه خصمه الصغير وقذفه فوق الحبل الاعلى للحلبة منهياً المباراة.

زار اندريه أمريكا الشمالية للمرة الاولى عام ١٩٧١ قاصداً مونريال (كندا). وبعدما امضى سنتين هناك سافر الى نيويورك لمقابلة فنس

ماكماهون ابرز متعهدي المصارعين المحترفين. وادرك ماكماهون ان اسم جان فيريه لن يجذب جمهوراً كبيراً في الولايات المتحدة. ولكن ما هو الاسم الذي يبعث الرعدة المطلوبة في نفوس المعجبين؟ هذا الامر هو من الدقائق المهمة، فالمصارعة حفلت دائماً بالاسماء الخلاقة مثل "المتوحش ذو الشاربين" و "عبدالله الجزّار" و "الغوريلا مونسون". لكن ماكماهون اصاب في حدسه حين قرّر انه في حال العملاق الفرنسي ستكون الحقيقة هي الافصح. وهكذا دعاه "اندريه العملاق"، وكان الاسم لائقاً تماماً.

سرعان ما غدا العملاق ساحر الجماهير كما توقع ماكماهون. وهو يكسب اليوم ٣٠٠ الف دولار سنوياً عن ٣٠٠ حفلة مصارعة. وقد تعاقد معه ماكماهون لثلاث سفرات في السنة الى اليابان واثنتين الى اوستراليا واثنتين الى اوروبا و ١٧ الى كندا، كما انه يحيي مباريات في حلبات المصارعة الكبرى في الولايات المتحدة. كل المصارعين والمتعهدين يرغبون في ضمه الى فريقهم، اذ عندما يحضر العملاق يربح الجميع.

ويبدو ان طول اندريه ليس له الاثر الحاسم الذي لعرض جسمه واكتنازه. هناك رجال قليلون يبلغ طولهم ٢٢٥ سنتيمتراً، لكن وزنهم لا يتجاوز الـ ١١٠ كيلوغرامات، بينما وزن اندريه يفوق ضعفي هذا الرقم.

حجم اندريه الهائل هو نتيجة قصر ساقيه نسبياً وضخامة بنيته العظمية. ويده خير دليل على ضخامة عظامه. فمعدل محيط معصم الرجل العادي هو ١٨ سنتيمتراً. والمعصم الذي يبلغ محيطه ٢٠ سنتيمتراً يعتبر ضخماً جداً. اما محيط معصم اندريه فيبلغ ٣٠ سنتيمتراً. واصابعه من الضخامة بحيث انه يضع خاتماً يمكن ان تمرر من خلاله كرة قطرها ٣٨ مليمتراً.

معظم الرجال الذين يتجاوز طولهم الـ ٢٠٠ سنتيمتر تكون سيقانهم طويلة نسبياً واجسادهم قصيرة. اما مقاييس اندريه فهي عادية، بالنسبة الى رجل طوله ١٧٠ سنتيمتراً. وقامته التي تعلو ٦٠ سنتيمتراً فوق ذلك هي السبب في وزنه المفرط، ذلك بأن نسبة الوزن الى الطول هي اعلى كثيراً في جذع الرجل مما هي في ساقيه.

اما رأسه الضخم بجبهته البارزة الملأى بالندوب ولمّة شعره الاسود الخشن فيبدو ايضاً اضخم من المعقول ويزيد في منظره المخيف.

رجل غير عادي — من الغريب أن أندريه يشعر بالانشراح عندما يكون بين الاولاد. ويتحلق هؤلاء حوله في الملاعب ويتبعونه في الشارع حين يسير. وهو يقول: "احاول أن أكون رفيقاً جداً مع الاولاد. وأحياناً أزور أصدقاء لديهم أولاد صغار، فيهرب هؤلاء مني. أنا أفهم سبب ذلك، ومع ذلك فأني أشعر بالاسى."

لا يدخل اندريه مطعماً او مقصفاً الا ويتوقف روّاد المكان عن الكلام ليحدقوا اليه مشدوهين. منظره مرعب احياناً حتى للحيوانات. وفي مناسبتين فرّ كلبا حراسة مدرّبان عند رؤيته.

احدى المشاكل الحقيقية التي يشاطر فيها اندريه العمالقة الذين

عرفهم التاريخ هي العيش مع الناس. تصوّر، مثلا، انك سمعت عن فيلم مثل "حروب النجوم" وانت تدرك انك لن تستطيع مشاهدته لأن المقعد في الصالة لا يتسع لك، او انك مارّ امام واجهة محل للالبسة الجميلة وانت تدرك ان ليس في المتجر كله ما يناسب جسمك الضخم.

حتى أبسط الاشياء تسبب له المشاكل. فعلى اندريه مثلا، ان يحمل قلماً لادارة قرص الهاتف لأن اناملة لا تدخل ثقوب القرص. وعليه ان يختار بعناية الكراسي التي يجلس فيها. وعندما يلج باباً دوّاراً عليه ان ينحني ويتقدم بخطوات قصيرة متلاحقة لكي يدير الباب. ان لديه منزلا جميلا في كارولينا الشمالية، وهو مؤثث ليناسب حاجاته الفريدة. ولكن اي مقدار من السعادة يوفره هذا البيت؟

قبل وقت قريب، بعد حفلة مصارعة في نيويورك، تحدث اندريه عن متاعب الضخامة والترحال. قال: "يا صديقي، انها حياة عسيرة احياناً. انا اضحّي بالكثير من مالي اذا تسنى لي ان اعيش كرجل عادي يوماً واحداً في الاسبوع. لو قيّض لي ذلك لكنت اذهب الى المحلات التجارية وادخل صالات السينما واتجول في سيارة صغيرة واتمشى في الشوارع واحدّق الى الناس بدلا من ان يحدقوا هم اليّ."

ويستهلك اندريه من الطعام اقل مما يتوقع من رجل مثله. لكنه احياناً يطلق العنان لشهيته، كما فعل مرة في مطعم صغير. وهو يروي ذلك: "دأب ذلك النادل على الاشارة الي والتحدث عني الى الزبائن. ثم ضحك وسألني بصوت عال اذا كان يكفيني صحن حساء وبعض الخبز. فقلت له اني جائع وأرغب في ان يأتيني بكل ما لديه من طعام، طبقاً بعد طبق. وقد استغرقت وليمتي اربع ساعات كاملة."

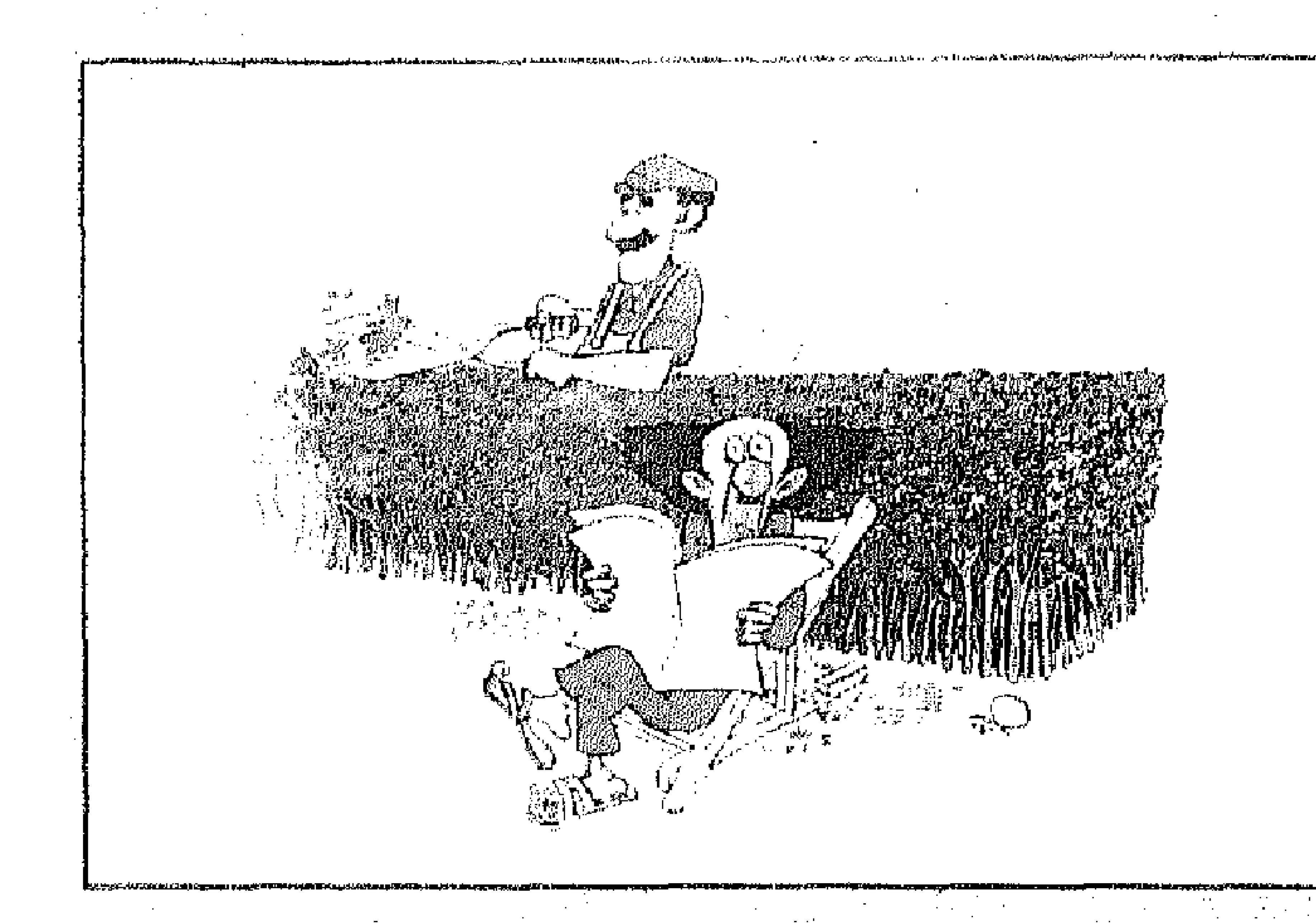
حين رافقت اندريه اسعدني ان الاحظ كم هو محبوب بين الناس. اينما لعب كان يسعى الى التحدث مع المصارعين الآخرين، خصوصاً اولئك الذين يشتركون في المباريات الاولى. وحيثما يذهب اندريه يجد نفسه بين معجبات. وهو لطيف معهن.

ويبدو ان هم اندريه الاول هو ان يملأ حياته بالتسلية والصداقات والطعام. وهو يعي ان معظم الرجال النادرين الذين كانوا في مثل ضخامته قضوا قبل بلوغهم السن المتوقعة للناس العاديين، اي ٧٠ سنة. لكن هذا لا يقلقه، وهو يقول: "لقد أصبت حظاً سعيداً وانا راض عن حياتي. واذا قدّر لي ان اموت غداً، فانا اعرف اني اكلت من الطعام الشهي وحظيت بصداقات وشاهدت من هذا العالم اكثر مما فعل معظم الرجال طوال حياتهم. لقد حصلت على كل شيء في هذه الحياة الا العائلة. وارجو ان تكون لي عائلة يوماً ما. فمن يدري؟ ربما يكون لي انا ايضاً حفيد عملاق؟"

■ تيري تود

قال الراكب لمضيفة الطائرة: "بربك كيف تتأخر آلة تقطع ألف كيلومتر في الساعة؟"

ب.ر.



الضحك خير دواء

حصان!

كان القروي يحاول ان يصعد التل المرتفع بعربته التي يجرها حمار هزيل، لكن محاولاته المتكررة اخفقت.
وشاهده احد المارة فاقترب من العربة واخذ يدفعها من الخلف بكلتا يديه حتى وصلت الى قمة التل. وهنا التفت القروي الى الرجل المتصبب عرقاً وقال له: "شكراً جزيلا يا سيدي. كان صعود العربة الى قمة التل متعذراً بحمار واحد."

ابرهيم محمد الشريف،
طنطا ـ جمهورية مصر العربية

طباخ صيني

وظفت سيدة غنية طباخاً صينياً ذا شهرة واسعة. وراحت تقضي وقتاً في المطبخ، يطول يوماً بعد يوم، علها تستمد بعضاً من طرائقه. وضاق الطباخ ذرعاً بذلك، لكنه اخفى استياءه وراء ضحكة مرة.
وذات يوم فتحت السيدة حديثاً بقصد كسر الجليد، فقالت: "لماذا كان الصينيون يقيدون اقدام الفتيات؟"
ـ السبب بسيط: لئلا يدخلن المطبخ ويزعجن الطباخ.

ل.د.

صاحب ضمير مهني

اغاظ قائد الفرقة الموسيقية ان يرى اعضاء فرقته يتغيبون عن التمارين. وفي التمرين الاخير قال: "أود أن أشكر عازف الكمان الاول لانه حضر التمارين كلها." فأجابه العازف: "هذا أقل ما يمكنني فعله، اذ سأتغيب عن الافتتاح هذه الليلة."

و.ب.

الزوجة المتأخرة

بقيت وزوجي أشهراً ـ وكلانا محام ـ نتلاقى كل اربعاء على الغداء في أحد المطاعم. وكانت تُحجز لنا الطاولة عينها، بجانب الموقد، ويتم الحجز باسم السيد غالغر أو السيدة مكانيني، نظراً الى كون سكرتيرتي أو سكرتيرة زوجي هي التي تتولى الحجز.
وذات أربعاء اسرعت الى المطعم وقد تأخرت قليلا في قاعة المحكمة. وهناك سألت البواب، أمام عدد من الزبائن، ان كان زوجي وصل. فأخذني جانباً وقال: "كلا يا سيدتي! لكن السيد غالغر ينتظرك في المكان المعهود."

ا.م.

نشرت "المختار" في عدد سابق اسعافات أولية لـ١٦ حالا
طارئة. وبسبب أهمية هذا الموضوع نواصل
تقديم أرشادات في المجال نفسه



هل وجدت نفسك مرة في موقف كنت قادرا على انقاذ حياة انسان لو تيسرت لك معرفة ما ينبغي فعله؟ ربما لم تواجد مثل هذا الموقف حتى الآن، ولكن اذا قدر ذلك لك، فهل تعرف كيف تتصرف؟ امتحن معلوماتك في هذا الاختبار.

١ • رأيت سيارة تسقط عن جسر وتغرق في النهر أو ولداً يسقط في بركة ماء. فما هي المدة التي يمكن السائق او الولد تمضيتها تحت الماء قبل انقاذه، من غير ان يؤدي ذلك الى تلف في الدماغ؟
أ ــ خمس دقائق. **ب** ــ ٣٠ دقيقة. **ج** ــ اكثر من ساعة.

٢ • في حال الاغماء يبتلع المصاب لسانه احياناً بحيث يسد مجرى التنفس. كم لديك من الوقت لازالة هذا العائق قبل تلف دماغه من جراء انقطاع الاوكسيجين؟
أ ــ بين دقيقة ودقيقتين. **ب** ــ ٢ الى ٤ دقائق. **ج** ــ ٤ الى ٦ دقائق.

٣ • سباح يواجه متاعب في الماء ويحتاج الى نجدة. عليك ان تسرع الى خوض الماء لاخراجه.
أ ــ صواب. **ب** ــ خطأ.

٤ • في كثير من الابنية العالية تصنع النوافذ من الواح زجاجية ثقيلة وثابتة. اذا شب حريق في بناية كهذه، فعليك ان تحطم الزجاج لتفتح مجالا لخروج الدخان والغازات الخانقة.
أ ــ صواب. **ب** ــ خطأ.

٥ • ان الحساسية ضد بعض العقاقير، كالبنيسيلين، أو لسعات الحشرات أو بعض الاطعمة، كالمحار، يمكن أن تكون مميتة.
أ ــ صواب. **ب** ــ خطأ.

٦ • وصلت الى مكان حادث سيارة. عليك ان تبادر فوراً الى اخراج الركاب منها لاحتمال شبوب حريق في السيارة او انفجارها.
أ ــ صواب. **ب** ــ خطأ.

٧ • يقول صديقك المصاب بداء السكري انه يشعر بدوار وتشوش. عليك ان تعطيه للحال بعض السكر.
أ ــ صواب. **ب** ــ خطأ.

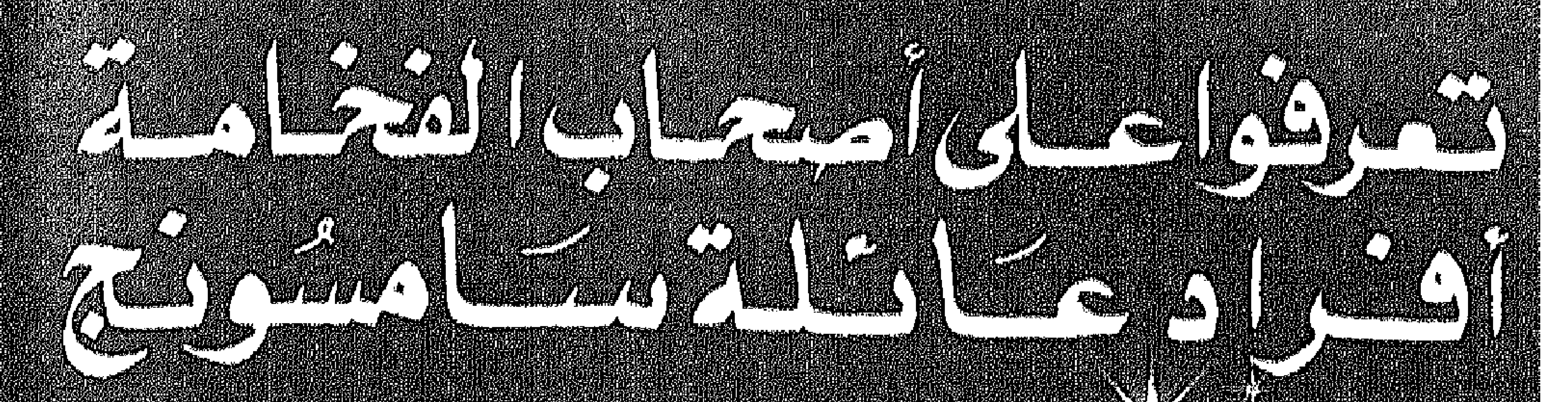
٨ • ماذا تفعل اذا شممت رائحة غاز يتسرب من تحت باب شقة مجاورة؟
أ ــ تحاول اقتحام الشقة وفتح نافذة. **ب** ــ تقرع الجرس لتنبه الجار. **ج** ــ تغادر البناية حالا وتستدعي سرية الاطفاء.

٩ • اذا غص شخص بالطعام وظل قادراً على الكلام، فيجب الا تحاول مساعدته.
أ ــ صواب. **ب** ــ خطأ.

١٠ • مئات الالوف يموتون سنوياً بازمات قلبية. وفي حالات كثيرة يكون السبب عدم توافر العناية الطبية الصحيحة في الوقت المناسب. والى جانب الالم الشديد في الصدر، فان ابرز اعراض النوبة القلبية تصبب العرق والشعور بالذعر.
أ ــ صواب. **ب** ــ خطأ.

الأجوبة

١ • من المدهش ان المدة قد تزيد على ساعة. فالماء الشديد البرودة يمكن ان يحدث تغييراً فيزيولوجياً (عضوياً) في جسم المصاب، وهذه القدرة على التكيف مع المحيط تتيح


تعرفوا على أصحاب الفخامة
أفراد عائلة سامسونج




سامسونج
SAMSUNG

للجسم الصمود مدة اطول بلا اوكسيجين. واذا كانت هناك فقاعة هواء في مؤخر السيارة، امكن السائق ان يتنفس وقتاً اطول قبل انقاذه. وهكذا، فحالما يخرج المصاب من الماء تجب المبادرة الى اسعافه وان بعد مرور فترة طويلة على غرقه. إفحص تنفسه. اذا كان متوقفاً فربما كان هناك عائق مائي او تقلص في مجرى الهواء، باشر عملية الانعاش من الفم الى الفم. احن رأسه الى الوراء وسد منخريه وانفخ بسرعة اربع مرات مفرغاً هواء رئتيك في فمه المفتوح. غالباً ما يكفي ذلك لفتح مسرب للهواء فيعاود المصاب التنفس.

٢. بين اربع وست دقائق. لمعالجة هذا الوضع ضع احدى يديك تحت رقبة المصاب والاخرى على جبهته، ثم احن رأسه الى الوراء حتى تتجه ذقنه الى اعلى فينفتح مجرى التنفس ويدخل الهواء رئتيه. اذا ظل المصاب يجد صعوبة في التنفس، الجأ الى طريقة الانعاش من الفم الى الفم.

٣. خطأ. اذا لم تكن متدرباً على اساليب الانقاذ، إبقَ بعيداً عن الماء. عندما ترى احدهم يغرق حاول ان تمد له شيئاً من الشاطىء أو حافة البركة. اذا كان ثمة طوف، إلقِ به اليه. لا يخوض الماء لانقاذ غريق الا المتدرب على اساليب الانقاذ.

٤. كلا، الا كوسيلة اخيرة. اذا كسرت الزجاج، فقد تتناثر شظاياه الى الشارع وتصيب المارة. من جهة اخرى ففي الطبقات العليا من الابنية الشاهقة يمكن ان تبلغ الريح قوة اعصار. اذا كسرت الزجاج من جهة الضغط السلبي، (★) فقد يجذبك الفراغ الى الخارج من خلال الفتحة التي احدثتها، او انها قد تجتذب النار والدخان اليك. وعموماً فان الوسيلة الفضلى هي ان تزحف خارجاً تحت مستوى الدخان والغازات الخانقة (وهذان هما القاتلان الرئيسيان في الحرائق). ازحف الى مخرج الطوارىء ولا تستخدم المصعد اطلاقاً. اذا لم يمكنك الوصول الى المخرج حاول الاتصال بمقسم الهاتف او بسرية الاطفاء وحدد مكان وجودك.

٥. صواب. اذا أصبت بالطفحة (الشري) أو انتفخ وجهك أو احسست بصعوبة في التنفس، اطلب الاسعاف حالا. واذا ارتبت في ان لديك حساسية ضد اي مادة، فتجنبها. ان ارتكاسات الحساسية قد تكون مميتة خلال دقائق.

٦. خطأ. استدعِ منقذين مدربين لاسعاف المصابين. اذا حاولت انت القيام بالمهمة، فقد تسبب لهم اعطالا دائمة كالشلل، وربما الموت. اول ما يجدر بك فعله هو التحقق من سلامتهم. اطفىء المحرك وانظر تحت السيارة لتتبين اذا كان الوقود ينسرب منها. شم رائحة السائل المتسرب او تذوقه لتحديده (قد يكون ماء لا خطر منه). اذا كان في الجوار اناس، ابعدهم عن السيارة

(★) أي الجهة المعاكسة لهبوب الريح. والريح التي تهب بسرعة كبيرة حول البناء تخلق فراغاً في الجهة المعاكسة.

المتضررة. تأكد من اطفاء السجائر واخماد اي لهب في نطاق ٥٠ متراً حول المكان.

٠٧ صواب. احياناً يهبط مستوى السكر في دم المريض الى درجة خطرة مما يسبب له التشوش الفكري والغيبوبة وحتى الموت. من اجل رفع مستوى السكر في الدم ذوب بعض السكر في كوب من عصير الفواكه او الماء واسقه اياه (على المريض بداء السكري ان يحمل دائماً اشارة تعريف مناسبة، حتى اذا وجد في حال تشوش او غيبوبة تسنى للناس حالا ان يعرفوا طريقة اسعافه). وتذكر قاعدة اساسية: لا تعط اي سوائل للغائب عن الوعي.

٠٨ غادر البناية حالا واستدع سرية الاطفاء. اذا قرعت الجرس، فقد تطلق شرارة تسبب انفجاراً. واذا اقتحمت الشقة، فقد تقع فريسة للغاز. انما اذا تيسر لك ان تفتح بامان نافذة من الخارج - من مخرج الطوارىء مثلا أو على مستوى الارض - فذلك قد يساعد الضحية في الداخل فيما انت تنتظر وصول سرية الاطفاء.

٠٩ اذا كان المصاب قادراً على الكلام او التنفس او السعال، فمعنى ذلك ان الانسداد جزئي. اطلب الاسعاف الطبي فوراً لان الانسداد الجزئي ربما اصبح كلياً. اذا عجز المصاب عن الكلام فمعنى ذلك ان مجرى الهواء مسدود تماماً، وعليك ان تبذل جهدك لازالة العائق حالا.

لفتح مجرى التنفس اضرب المصاب اربع مرات بقوة وبعرف يدك، وذلك بين عظمتي الكتفين. اذا لم يجد هذا اعمد الى طريقة الضغط على البطن وهي تسمى "مناورة هايمليخ". قف خلف المصاب واقبض احدى يديك. طوق جسده بذراعيك وضع قبضة يدك بين السرة واسفل القفص الصدري، ولتكن الابهام لناحية جسم المصاب. امسك قبضتك بيدك الاخرى واعصر جسم المصاب اربع مرات مع ضغط الى اعلى لزحزحة العائق.

اذا انسد مجرى التنفس تماماً لديك انت، ضع يديك حول عنقك. فهذه اشارة عالمية للاختناق يفهمها الجميع فيبادرون الى اسعافك.

١٠ صواب. العرق المتصبب بغزارة والغثيان والهلع الشديد والشعور بدنو الاجل هي كلها اعراض للنوبة القلبية. نحو ٦٠ في المئة من النوبات القلبية تؤدي الى الوفاة خلال ساعتين من ظهور الاعراض. فاذ شعرت انت بهذه الاعراض او لاحظتها على شخص ما، اطلب الاسعاف الطبي للحال.

■ دون لوفتيغ

***

قواعد الحياة

قاعدة الحياة الاولى هي ألا تكترث لما تواجه من مشاكل. والقاعدة الثانية هي أن تكترث لها كثيراً. أما القاعدة الثالثة، وهي الاصعب، فمعرفتك التمييز بين الاثنتين.

س.ه.

حملت رسائلها موسيقى الحياة كلها وواحداً من أعظم دروسها

صداقة القلم

كثيراً ما تسفر البدايات البسيطة عن تجارب رائعة! انكشفت لي هذه الحقيقة في درس من الحياة لازمني عشرين سنة.

بدأت الحكاية ذات صباح في بومباي (الهند)، وكنت طالباً جامعياً في الحادية والعشرين. ففيما انا اطالع احدى الصحف وقع نظري على عناوين شباب من انحاء العالم يرغبون في مراسلة اصدقاء من الهند. وكنت رأيت فتيات وشباناً من اولاد صفي يتلقون طروداً بريدية من اصدقاء لم يرونهم قط. فلم لا اجرب حظي أنا أيضاً؟

وهكذا اخترت عنوان فتاة اسمها أليس هـ. من لوس انجلس. واشتريت دفتر رسائل باهظ الثمن، وكانت زميلة لي اعطتني مفتاحاً لغزو قلب امرأة عندما اعترفت انها تحب قراءة الرسائل المكتوبة على اوراق وردية اللون. اذاً، سأراسل أليس على ورق وردي.

"صديقتي اليس،" هكذا بدأت وقد تملكني اضطراب وكأني طالب يخضع لامتحانه الاول. لم يكن لدي الكثير اقوله، فتحرك القلم ببطء شديد. واخيراً ألقيت الرسالة في صندوق البريد وأنا أشعر كأني أواجه رصاص العدو.

وجاءني الجواب من كاليفورنيا البعيدة اسرع مما كنت اتصور: "لست ادري كيف وصل عنواني الى صفحة اصدقاء المراسلة في بلدكم، خصوصاً اني لم اطلب صديقاً. ولكن يسعدني ان اعرف اخبار إنسان لم أره ولم اسمع به قط. ومهما يكن، فانت تريدني صديقة بالمراسلة، وذلك يسعدني كثيراً."

لا ادري كم مرة قرأت هذه الرسالة

Condensed from Los Angeles Times (March 10, 1980) Los Angeles.

القصيرة التي حملت موسيقى الحياة.
وكنت حذراً في مراسلاتي، فتحاشيت كل ما قد يكدر صفو فتاة أمريكية مجهولة. واذا كانت الانكليزية لغتها الام، تكتبها بكل سهولة ويسر، فانها بالنسبة الي لغة اجنبية اكتسبتها بمشقة وجهد كبيرين. وكنت عاطفياً، بل خجولا احياناً، في كلماتي وتعابيري. ولكن في زاوية من قلبي عشش شعور رومنطيقي لم اجرؤ على البوح به. اما أليس فكانت تخط رسائل طويلة بكتابة عادية موزونة، من دون ان تكشف الكثير عن نفسها.
وتلقيت مغلفات كبيرة تحوي كتباً ومجلات وبعض التذكارات الصغيرة، جاءتني من مسافة الوف الكيلومترات. ولم يساورني اي شك في ان أليس فتاة أمريكية ثرية وجميلة كهداياها المتسمة بحسن الذوق، وأن صداقة القلم التي جمعتنا كانت ناجحة وطيبة.
سؤال واحد بقي يلح علي. كنت ادرك انه ليس من التهذيب ان يسأل شاب فتاة عن عمرها، ولكن ما الضرر من طلب صورتها؟ وهكذا رجوت اليس ان ترسل الي صورة حديثة لها. وجاءني الجواب اخيراً.
قالت أليس ببساطة انها لا تملك صوراً حديثة، لكنها قد ترسل الي واحدة ذات يوم. واضافت ان اي فتاة أمريكية عادية هي اكثر اناقة منها.
هل كانت هذه لعبة "الغميضة"؟ يا لهذه الخدع النسائية!
ومرت السنوات وأضحت مراسلاتي مع أليس أقل غزارة وانتظاماً، لكنها لم تنقطع. وبقيت اكتب اليها رسائل اتمنى لها "الشفاء السريع" عندما تمرض وبطاقات معايدة في المناسبات وبعض الهدايا المتواضعة بين فترة واخرى.
في غضون ذلك اصبحت رجلا واسع الخبرة. وتسلمت عملا وتزوجت ثم انجبت اطفالا. واطلعت زوجتي على رسائل أليس، فرغبت في مقابلتها.
وذات يوم تسلمت رزمة كبيرة تحمل خطاً جديداً... نسائياً بلا شك. وكان مصدرها الولايات المتحدة موطن أليس. وتساءلت وأنا افتح الرزمة عن هذه الصديقة الجديدة.
كانت الرزمة تحوي بعض المجلات ورسالة قصيرة. "انا صديقة حميمة لأليس هـ. ويؤسفني أن اعلمك انها توفيت في حادث سيارة يوم الاحد الفائت. ولما كانت متقدمة في العمر - فعمتي بلغت الثامنة والسبعين في ابريل (نيسان) الماضي - فلم تتمكن من رؤية السيارة المسرعة. وكانت أليس تخبرني دائماً عن مدى سرورها بقراءة اخبارك. فهي امضت حياتها طائراً وحيداً ووجدت في مساعدة الآخرين هوى لها وهدفاً، سواء اكانت تعرفهم ام لا وسواء اكانوا قريبين ام بعيدين."
وانهت الكاتبة رسالتها راجية ان اقبل صورة أليس التي تضمنتها الرزمة والتي ارادت ان ترسل الي في حال مماتها فقط.
وكان الوجه الذي طالعني في الصورة وجه جمال ومحبة، وجهاً كنت سأتعلق به حتماً عندما كنت شاباً جامعياً خجولا وكانت هي عجوزاً نسيتها أيام الشباب.

■ سيرينيفاس راو



لويـــل تـومـاس
أشهر صحافيي العالم

امضى لويل توماس شطراً كبيراً من مطلع حياته في كريبل كريك، ولاية كولورادو، وهي بلدة صاخبة فيها مناجم للذهب وتحيط بها جبال تكللها الثلوج٠ تلك الجبال اوقدت في نفسه توقاً الى رياد العالم العظيم الممتد وراءها٠

في الحرب العالمية الاولى امتطى سنام جمل مع لورانس العرب. وكان من الامريكيين الاوائل الذين وطأوا ارض مملكة التيبت المحرّمة. وهو تناول الطعام في غينيا الجديدة مع المتوحشين من أكلة لحوم البشر. وكان في السبعين من عمره حين طار مع رجال الاسطول الامريكي في الرحلة الاولى عبر اسفل العالم من رأس الرجاء الصالح الى نيوزيلنده مروراً فوق القطب الجنوبي.

طوال نحو من تسعة عقود جال ماركو بولو المعاصر هذا في الارض مرات لم يعد يذكر عددها. وزار كل بلد على سطح الارض، حتى قال عنه الرئيس الامريكي الاسبق لندون جونسون: "هذا الرجل زار كل مكان... مرتين!"

كان لويل توماس مراسلا لامعاً للاذاعة اولا ثم للتلفزيون. وهو من أسرع الكتاب. وقد وضع اكثر من ٥٠ مؤلفاً عن خواطره والمشاهير الذين التقاهم. واثرته كتبه ومقابلاته الاذاعية، لكنه قلما ابه للمال حتى انه بدّد ثروتين ضخمتين. وفي كل مرة كان يهز كتفيه غير عابىء بالخسارة.

انا ولويل توماس اصبحنا صديقين في السنوات الاخيرة من حياته. وابرز خصاله ولعه بالحياة. كل شيء، وكل انسان اثار اهتمامه. وكانت كتاباته تنضح بالحماسة والدهشة. لقد كان حقاً آخر الصحافيين الروّاد.

طوال ٤٦ سنة وحتى العام ١٩٧٦، ظلّ الناس يسمعون نشراته الاخبارية التي كانت تدوم ١٥ دقيقة مساء كل يوم. وكان يبدأها قائلا: "مساء الخير لكم جميعاً" ويختمها قائلا: "الى اللقاء غداً". بين هاتين العبارتين كان يستقطب انتباه ملايين المستمعين وهو يتلو الاخبار بلغته البسيطة. وعلى نقيض بعض المعلقين المعاصرين، لم يضمّن نشراته اي رأي شخصي. وقال لي مرة: "اني ادع الوعظ لأولئك الذين أوتوا ملكة الوحي، او هكذا يظنون."

كان صديقاً للرؤساء والملوك والملكات ورؤساء الحكومات، وغدا بحق رجلا شهيراً. وفي شهر ابريل (نيسان) ١٩٨١ زارني في البيت الابيض. وبعد اللقاء وقف في الردهة منتظراً احضار سيارته. فجأة دخل كبير اساقفة كانتربري ومعه نحو عشرين شخصاً من كبار الكنيسة الانكليكانية في انحاء العالم. وما ان رأوا لويل حتى نسوا موعدهم مع الرئيس رونالد ريغان ومعي والتفوا حوله يصافحونه ويسألونه عن اي بقعة من الارض سيزورها بعد ذلك.

خطيب موهوب – ولد لويل في وودنغتون، ولاية اوهايو، في ٦ ابريل (نيسان) ١٨٩٢. وكان والده طبيباً وأمه مدرّسة. وعندما بلغ الثامنة انتقلت العائلة الى كولورادو.

كان للوالد نفوذ بالغ الاثر على ابنه اليافع. ومن وحي قناعته بالقول المأثور ان "صوتك هو التعبير عن

شخصيتك" كان يدفع ابنه الى القاء القصائد في الحفلات واللقاءات الاجتماعية.

اصيب لويل بخيبة حين اخفق في الانضمام الى فريق كرة القدم في مدرسته الثانوية. فجاءت النجدة عن غير توقع من مدرّسة اللغة الانكليزية. فهي فرضت على كل تلميذ في صفها القاء خطبة شهيرة في اجتماع عام للمدرسة. وفي هذا حقق لويل نجاحاً باهراً. وبنتيجته انتخب رئيساً لفريق كرة القدم.

عمل لويل حاجباً وطاهياً لتسديد نفقات دراسته في جامعة انديانا الشمالية (جامعة فالباريسو حالياً). وخلال سنتين فقط تخرّج حائزاً درجتي البكالوريوس والكفاءة (الماسترز). وعمل محرراً في صحيفة "دايلي نيوز" في فيكتور، كولورادو. وذات صباح أيقظه صديق قائلا: "ان عمدة المدينة يبحث عنك وفي يده مسدس." وكان نزل الى الاسواق عدد الصحيفة الذي نشر فيه لويل مقالا بعنوان: "ابن اخ العمدة يقتل في عش غرام." لكن موهبة لويل الكلامية الفائقة وبراعته في الحديث اعادتا الصواب الى العمدة.

عام ١٩١٢ انتسب لويل الى جامعة دنفر. وفي نهاية السنة نال شهادتين جامعيتين اخريين. وفي ١٩١٤ سافر الى آلاسكا حيث عبر المجازات المائية الخطرة "وايت هورس" على نهر يوكون. وسحره جمال آلاسكا فعاد في العام التالي ليصوّر افلاماً سياحية هناك. وفي خريف تلك السنة التحق بجامعة برنستون ليدرس الحقوق. وكان في عطل نهاية الاسبوع يعرض افلامه ويقدّم احاديث عن آلاسكا. وفي وقت قصير بدأ يجني ارباحاً في عطل نهاية الاسبوع تفوق ما يحصّله اساتذته خلال الاسبوع كله. وهكذا تلاشى لديه كل جاذب الى الحقوق.

ما ان انتشرت اخبار افلام لويل حتى تلقى دعوة مفاجئة الى مقابلة فرانكلين لاين وزير الداخلية الامريكي في ادارة الرئيس ولسون. وكانت الولايات المتحدة دخلت الحرب العالمية الاولى، فطلب هذا من لويل ان يحمل عدته الى اوروبا ويعود بتقرير مصوّر عنها الى الشعب الامريكي. وقبل لويل العرض، وكان لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره.

العربي الغامض – هكذا رحل لويل الى اوروبا ومعه عروسه فران رايان التي كانت زميلته في جامعة دنفر وعملت مع الصليب الاحمر في اثناء الحرب. وذات ليلة في البندقية، خلال فترة راحة بعد تغطية عمليات الجبهة الايطالية، رأى لويل نشرة عسكرية معلقة على حاجز من اكياس الرمل. وجاء في النشرة ان السير ادموند آللنبي، احد كبار القادة العسكريين البريطانيين، اوكلت اليه قيادة القوات البريطانية في الشرق

الاوسط. وحدس لويل بحسّه المرهف ان وراء ذلك شأناً خطيراً. فأرسل برقية عاجلة الى وزارة الخارجية البريطانية ملتمساً السماح له بتغطية اخبار حملة آللنبي. فأرسلت وزارة الخارجية البريطانية طائرة خاصة نقلت لويل ومصوريه الى مصر. وهكذا امكنه ان يغطي اخبار فتح فلسطين التي ظلت تحت حكم الاتراك طوال اربعة قرون. وكان أوج تلك الحملة سقوط مدينة القدس في ايدي قوات آللنبي.

ذات يوم التقى لويل رجالا من البدو في عباءاتهم الصحراوية. وأدهشه احدهم، وكان قصير القامة أزرق العينين يحمل السيف القصير المعقوف وهو سيف امراء مكة. وفي مركز القيادة البريطانية سأل لويل عن هذا "العربي الغامض،" فأدخل غرفة جلس فيها الرجل عينه امام مكتب وهو لا يزال مرتدياً ملابسه الصحراوية. وهكذا التقى لويل العقيد ت. أ. لورانس خبير الآثار البريطاني الذي استطاع بقوة شخصيته توحيد القبائل العربية المتناحرة في الصحراء لشن حرب عصابات ضد الاتراك. وانضم لويل الى لورانس في الصحراء ليصوّر شريطاً عن تلك الحملة. وكان كتابه "مع لورانس في الصحراء العربية" هو الذي جعل شهرة عالم الآثار الخجول تعم آفاق الارض.

عاد لويل الى الولايات المتحدة بعد سنتين واستأجر مسرح "سنشوري" في نيويورك لعرض اشرطته عن فتح آللنبي لمدينة القدس وعن حملة لورانس في الصحراء، حيث روى وقائعها بصوته. وكانت الصور المتحركة شيئاً مستحدثاً في ذلك الزمن، وأهالي تلك الاماكن النائية لم يسمع بهم الناس من قبل. فحققت اشرطته نجاحاً باهراً حتى انه نقلها الى قاعة "ماديسون سكوير غاردن" في نيويورك حيث اكتظت المقاعد بالمشاهدين طوال ثمانية اسابيع.

بعد ذلك نقل لويل وزوجته العرض الى لندن ثم الى آسيا حيث امضيا سنتين في التجوال. وفي طريق العودة الى الوطن ولد ابنهما لويل الصغير في لندن. وفي نيويورك استهوى العائلة منزل قديم واسع في كويكر هيل على بعد ساعتين بالسيارة من مانهاتان. واقنع لويل احدى دور النشر بتسليفه مبلغاً ضخماً في مقابل نشر ستة كتب لم يكن حضّر اياً منها بعد. واشترى البيت بذلك المال وبدأ تأليف كتبه.

سنوات حافلة — عام ١٩٣٠ عمل لويل مذيعاً لمجلة "ليتراري دايجست" (*). فانطلق يحقق "اولياته" كما لم يفعل رجل من قبل. فكان "اول" من اذاع احاديثه من فوق قمة جبل ومن داخل منجم للفحم الحجري ومن طائرة ركاب ومن طائرة مروحية ومن سفينة ومن غوّاصة، وحتى من مرحاض خاص بالنساء.

(*) توقفت عن الصدور.

كان لويل يجسد شخصية الرجل العادي البسيط، لذلك أحبه الناس. ومرة دعاه المسؤولون في شركة وسترن يونيون الامريكية للمواصلات البرقية الى التحدث من احد مكاتب الشركة في نيويورك. بعد ذلك دعا مقدّم البرنامج المستمعين الى ارسال برقيات مجانية الى لويل على حساب الشركة. وقبل انقضاء الليل كانت الشركة تلقّت ٢٦٥،٥٦٧ برقية.

في الحرب العالمية الثانية استأنف لويل نشاطه فطاف في جبهة المحيط الهادىء وطار عبر جبال حملايا من الهند الى الصين. ثم ركب طائرة مقاتلة حلقت به فوق برلين المحترقة فيما اطبق الجيش الاحمر على مخبأ هتلر.

بعد الحرب عاد لويل الى نيويورك. وحفلت سنواته الثلاثون التالية بالكتابة والاذاعة والخطب والترحال. وفي العام ١٩٧٥ توفيت زوجته فران التي رافقته ٥٨ سنة عن عمر ناهز الحادية والثمانين. لكن لويل ظلّ وافر النشاط كما كان دائماً. فقدم برنامجاً تلفزيونياً من ٤٤ حلقة دعاه "لويل توماس يتذكر"، وأصدر كتباً اخرى. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧ تزوج ماريانا مون.

في تلك السنة رافقني لويل في زيارة الى الصين والتيبت. كان في الخامسة والثمانين ويعاني تعباً بسيطاً في القلب. وعندما تسلّقنا الى "بوتالا" وهو القصر الشتوي للدالاي لاما حاكم التيبت السابق، خشي المضيفون الصينيون ان تشكل السلالم التي ترتفع ٢٧٥ متراً عناء لا يقوى لويل عليه. لكن الممرضين اللذين خصصا لمرافقته قصرا عن مجاراته في الصعود.

في شهر يوليو (تموز) ١٩٨١ اقام لويل في واشنطن. وكان منهمكاً في تسجيل احاديث اذاعية دعاها "افضل السنوات" وروى فيها قصصاً عن الانجازات التي حقّقها رجال مسنّون. كان يطفح حماسة وهو يتكلم عن مشاريعه ثم غادر واشنطن في جولة محاضرات شملت مدناً عدة. وبعد شهر، في ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٨١، توفي عن ٨٩ سنة.

٨٠٠ شخص حضروا مأتم لويل توماس في نيويورك. وقد ابّنه الكاهن نورمان فنسنت بيل، وهو صديق قديم وجار للفقيد، واختتم كلمته قائلا: "الى ان نلتقي هناك، لن أقول لك وداعاً. بل سأردد كلماتك ذاتها: الى اللقاء غداً."

■ جورج بوش
(نائب رئيس الولايات المتحدة)

احترس من أفكارك: فهي قد تتحول كلمات في أي وقت.

ي.غ.

الارهاق: سلحفاة أنت أم حصان؟



هانس سيليي رائد البحث في حالات الارهاق، وهو الذي ابدع فكرة "الارهاق" قبل ٤٠ سنة حين استعار هذه الكلمة من علم الفيزياء ليصف استجابات الجسد لأي شيء، بدءاً بوافدة الانفلونزا وحمى الزكام وانتهاء بالانفعالات النفسية مثل الخوف والغضب. وكان العلماء يعتقدون ان هناك رد فعل فيزيائياً مختلفاً لكل من هذه العوامل. لكن سيليي نازعهم الرأي قائلا ان الميكانيكية الفيزيولوجية هي نفسها في جميع الحالات.

منذ ذلك الوقت جاءت اختبارات سيليي على الحيوانات والبشر لتفصّل هذه الميكانيكية. وبات هو اشهر علماء كندا واوفاهم تقديراً واجلالا. وفي الحادية والسبعين من عمره اجرى معه الكاتب العلمي لورانس تشيري مقابلة شملت ابحاثاً كثيرة ومتنوعة عن دور الارهاق في حياة سيليي نفسه وكيف طوّر هو فلسفته. وهنا اهم ما جاء في المقابلة:

س. كيف تتحمل الارهاق؟

ج. بانهماكي في العمل الذي بين يدي الى اقصى ما استطيع. اني اعمل عشر ساعات على الاقل كل يوم، واحضر اجتماعات ومؤتمرات واكتب مقالات واهيىء محاضرات. وبدلا من ان يرهقني هذا المنهاج في العمل، اجدني ارتاح اليه.

س. الا يتعارض هذا مع النصيحة التي طالما نسمعها عن وجوب تخفيف عبء العمل لتحاشي الارهاق؟

ج. هناك لسوء الحظ مقدار كبير من الافكار المشوّشة عن حقيقة الارهاق وطريقة معالجته. الارهاق هو ردّ الفعل غير المحدد للجسد في مواجهة اي مطلب يفرض عليه، سواء أكان مبهجاً ام مزعجاً. ان مجرد الجلوس في كرسي طبيب الاسنان امر مرهق في ذاته. كذلك معانقة حبيب بحرارة. ففي كل من الحالين تزداد سرعة النبض وتشتد ضربات القلب. ولكن مَن مِن الناس يرضى بالتخلي عن الامور المبهجة لمجرد تحاشي الارهاق؟ هدفنا يجب الا يكون تجنب الارهاق، فذلك مستحيل. بل علينا ان نتعرف الى استجاباتنا المميزة

Condensed from Psychology Today (March '78).

للارهاق ومن ثم نعدل نهج حياتنا ليتلاءم معها .

وقد اكتشفنا ان هناك نوعين من البشر: "خيول السباق" الذين تزدهر حياتهم بالارهاق ويشعرون بالسعادة فقط وهم في اوج النشاط وفي ممارسة نمط الحياة السريعة، و"السلاحف" الذين ينشدون السلام والسكون والبيئة الهادئة مما يسبب الضيق لمعظم "خيول السباق".

نسمع الكثير عن اخطار الاغراق في العمل والجهد المفرط. لكني اعتقد ان هذا امر مبالغ فيه ويثير قلقاً لا مبرر له. واذا كان هناك من خطر فهو يكمن في ان كثيراً من الناس يخطئون في تصنيف انفسهم ويندفعون الى ما يتجاوز طاقة احتمالهم.

س. كيف يتعرف المرء الى النوع الذي ينتمي اليه؟

ج. بالملاحظة الدقيقة. فكل جداول الارهاق التي نعرفها تتضمن اخطاء لانها لا تقيم وزناً كافياً للاختلافات الفردية. كل فرد منا هو الحكم الافضل على نفسه، وكلنا نستطيع تدريجاً ان نطوّر شعوراً غريزياً ينبهنا متى انطلقنا بأعلى من مستوى الارهاق الذي يناسبنا او دونه. وهناك بعض الدلائل الجسدية على ذلك. الحيوانات المرهقة تظهر حركة زائدة، كذلك يفعل البشر. وقد لا تشعر بالارهاق، لكنك تأخذ بتحريك يديك اكثر وانت تتكلم وتزداد ضربات قلبك. وهناك ايضاً دلائل سلوكية. مثل الارق والتهيج. من هنا فليس من العسير اكتشاف الارهاق بعد ان تصبح قادراً على معرفة نفسك.

س. الى اي مدى تفيد الادوية واساليب الاسترخاء والتأمل في مساعدة الناس على تحمل الارهاق؟

ج. اعتقد ان هناك علاجاً للارهاق أفضل من الادوية وسواها. أن الموقف النفسي للفرد يقرر ما اذا كانت أي تجربة يتعرض لها مبهجة أو مزعجة. وباعتماد الموقف الصحيح يمكننا تحويل التجربة السلبية تجربة ايجابية. وذلك ما أسميه "الارهاق النافع".

س. هل ان الارهاق الايجابي او الارهاق النافع يفرض على الجسد متطلبات ايضاً؟

ج. نعم. لكنها متطلبات اقل، وذلك لاسباب لا نزال نجهلها. فأنا اشك، مثلا، في قدرة اي انسان على احتمال جدول اعمالي الا اذا تبنى نظرة ايجابية الى العمل كما افعل انا. فبالنسبة الي، ليس عملي واجباً بل متعة. وهذا ما يجعله ارهاقاً نافعاً. كذلك تعلمت خلال سنوات ان انسى الحوادث المزعجة. وقد سمعت، في عهد الامبراطورية النمسوية ـ المجرية التي ترعرعت في ظلها، مثلا شعبياً ترك انطباعاً عميقاً في نفسي، وهو يقول: "قلّد الساعة الشمسية واحسب فقط الايام المشرقة بالنور". وانا الآن لا احمل ضغينة اذا اساء الي زميل او صديق. قد اقطع علاقتي به لمجرد رغبتي في وقاية نفسي منه، لكني لا اكن له عداء. فالطبيعة تهب حتى المحظوظين منا طاقة محدودة

على مقاومة الارهاق، ومن السخف ان نهدر تلك الطاقة في الغضب.

وهذا الموقف نفسه ساعدني قبل سنوات عندما ابلغني طبيبي اني مصاب بالسرطان وانه لم يبقَ لي من الحياة سوى اشهر قليلة. فقد ابيت ان ايأس وصممت على مواصلة عملي من دون ان اشغل بالي بقرب نهايتي. وربما كان موقفي هذا هو الذي اعانني على مكافحة الارهاق الناجم عن مرضي ومن ثم تحمل وطأة الجراحات التي أعقبته. وها انا، كما ترى، حي على خير حال.

س. هل تعتقد ان الاهل او المدرّسين اليوم يخفقون في تعليمنا مواجهة ضغوط الحياة على نحو صحيح، ربما لأن الارهاق نفسه ازداد في عصرنا؟

ج. كل عصر يحمل معه ارهاقاً وقلقاً. قبل مئات السنين لم يكن هناك خطر حرب نووية، ولكن كان هنالك خطر الطاعون المخيف الذي محا شعوباً بأكملها. كل شيء في الحياة البشرية عارض وغير ثابت. قد تكون غنياً اليوم وفقيراً غداً، معافى او مريضاً. وهذا ما زال كذلك منذ الازل. لكنني اعتقد ان هنالك نوعاً من الارهاق الاجتماعي ازداد في عصرنا، وهو انعدام الدوافع.

ويبدو ان اكثر الحلول شيوعاً بين التي طرحت لهذه المشكلة هو التصوّر ان على الانسان ان يعيش لنفسه فقط من دون الالتفات الى الآخرين. وهذا الى حد ما تصوّر حكيم. فالانسان كغيره من الكائنات يولد ذاتي الطبع، ويتحتم عليه ان يهتم بنفسه قبل اي شيء. والخطأ هو في الخلط بين هذه الظاهرة الطبيعية والانانية التي تتمثل في السعي الى المطامع الذاتية فحسب. وانا اشك في ان في الوجود ما هو اشد ارهاقاً من هذا المنحى في الحياة، لانه يخلق لك خصومات وعداوات تحيطك من كل جانب.

وهناك ترياق مضاد لفقدان الدوافع، وهو نهج تعتنقه طوائف كثيرة ويتطلب حب الغير والتضحية بالذات الى اقصى الحدود. هذا المنحى ايضاً ينطوي على بذرة من الحقيقة. فتماماً كما نحن كلنا ولدنا ذاتيين، فاننا ولدنا ايضاً ايثاريين ومضحين. والخطر يكمن في نكران الذات اذا دفع الى حدود التطرف فانه ينتهك طبيعتنا ويؤدي بنا الى النقمة والخيبة المرهقة.

ولما كنت عالماً اعمل في مختبر، فإنني تعلمت انه حتى في ادنى مستويات الحياة البدائية هناك توازن بين الايثار والانانية. فالخلايا الفردية، في وقت ما من الماضي السحيق، تخلت عن استقلالها لتشكل بتجمعها كائناً اكثر تعقيداً وقوة. والخليّة السرطانية، على نقيض ذلك، تهتم بذاتها فقط وتستمر في نموها غير آبهة بسواها وتغتذي من جسم حاملها حتى تميته، وهكذا تنتحر. وانطلاقاً من أبسط مستويات الحياة نحو اكثرها تعقيداً، لاحظت ان معظم الذين يعانون امراضاً متصلة بالارهاق يقاسون ايضاً من نمط سلوكي منحرف، وهو نمط يشدّد اما على الانانية المفرطة واما على التضحية المفرطة بالنفس.

وقادتني تجربتي الشخصية وأبحاثي الى تطوير وصفة علاجية

لافضل ترياق للارهاق. وعناصر هذه الوصفة، هي، اولا، السعي الى معرفة مستوى الارهاق الخاص بك فتقرر ما اذا كنت "حصان سباق" ام "سلحفاة" وتحيا وفقاً لهذا التصنيف. والعنصر الثاني هو ان تختار الاهداف التي ترمي اليها وتتأكد من انها اهدافك حقاً وليست مفروضة عليك من الآخرين. والعنصر الثالث في هذه الوصفة هو الايثار الاناني، اي ان تنظر الى ذاتك من خلال كونك ضرورياً للآخرين.

س. ولكن كم من الناس يمكنهم ان يكونوا ضروريين لمن حولهم؟

ج. اعتقد ان في وسعنا جميعاً ان نكون كذلك. فلست ملزماً بابداع نظرية توازي نظرية النسبية او بوضع اعظم سيمفونية عرفها العالم لتكون ضرورياً. يمكنك ان تسعى الى ان تكون معلماً مخلصاً او خبازاً ماهراً او جاراً صالحاً. والسعي الى جعل نفسك ضرورياً للآخرين هو هدف تمكنك متابعته طوال حياتك. وانه هدف يقيك اسوأ الارهاقات الاجتماعية المعاصرة.

ومن دواعي بهجتي أن أدرك أن أبحاثي في شأن الارهاق النفسي سوف تبقى بعد أن أمضي أنا. واذا كانت أبحاثي وسيلة لجعل الآخرين سعداء وقانعين بالحياة مثلي عن طريق التحكم بمختلف الارهاقات، فسأكون راضياً عن نفسي أشد الرضا.

■ **هانس سيليي**

من القاموس الهندى

قال فيجاي ميرشنت، لاعب الكريكت الهندي الشهير: "كما يعرف المرء كيف يربح، هكذا يجب ان يعرف كيف يخسر. وكما يعرف كيف يعيش، يجب ان يعرف كيف يموت. وبالنسبة الى الرياضي، ينبغي أن يعرف جيداً في أي وقت يعتزل. وتقاعده يكون رائعاً اذا سأل الناس بعده: "لماذا؟" لا اذا قالوا: "ولم لا؟"

صحيفة "اسبوعية الهند"

موظف صغير

تذمر موظف شركة من وضعه قائلا: "اذا تأخرت صباحاً، قالوا انك قدوة سيئة. واذا جئت على الوقت، فأنت كلب حراسة. واذا كنت ليناً مع عمالك، فأنت تفسدهم. واذا كنت متحفظاً، قالوا انك متعجرف. وان اكترثت لاعمالك، فلا حس بالمرح لديك. وان اهملتها، فالويل لك. وعندما تمتدح من الآخرين، فأنت تخدعهم. وعندما تلومهم، فأنت تفتري عليهم. واذا عملت فوق ساعات الدوام، فأنت تتظاهر بالاخلاص. واذا انصرفت على الوقت، فأنت غير مخلص للشركة. وأنت عنيد حين تصر على وجهة نظرك، ومائع حين تقر لسواك برأيه. واذا كنت كبيراً فلست ملائماً للعمل، واذا كنت صغيراً فلا خبرة لديك."

ن.ن.


النهار العربي والدولي

ان المحبة تصنع من الضعف قوة
ومن القبح جمالا

القطّ الذي أحبَبت

في يوم دافىء من اغسطس (آب) اكتشف كلبي اربعة هريرات حديثة الولادة متروكة بين الاعشاب العالية قرب الطريق. وعدت حاملة المخلوقات الصغيرة في يدي. فقال لي مايك بحزم: "لا مكان لمزيد من الحيوانات." وكان زوجي المسكين عانى الامرين من كلبي ومن ثلاثة قطط اخرى. "سأبقيها فقط الى ان تتمكن من رعاية نفسها." ونظر الي مايك بارتياب فأكدت له: "كلمة شرف!"

وصنعت للجراء بيتاً دافئاً، فحشوت سلة بحرام قديم. ثم ذهبت لشراء زجاجات رضاعة صغيرة. وقال لي صاحب الدكان: "لا يمكنك ان تربي

قططاً صغيرة كهذه·" لكني عدت الى البيت وأنا مصرة على المحاولة·

بعد بدايات خائبة شربت الجراء الحليب الدافىء بشراهة· وخلال الليل تركت فراشي اربع مرات لاطعامها· وفي صبيحة اليوم التالي هنأت نفسي على ان القطط كانت تبدو اقوى وأكبر قليلا·

ولكن ما إن حل العصر حتى ادركت ان ثمة خطأ ما· فاذا كانت قابلية الجراء للطعام جيدة، الا أنها لم تكن تخرج· وبدت بطونها الصغيرة منبسطة ومشدودة كالطبول· وراودني شك في قدرتي على انقاذها· واخترت احدها وبدأت افرك بطنه في محاولة لمواساته وفجأة وجدت يدي مبللة· وعمدت الى الطريقة ذاتها مع الجراء الاخرى لأحصل على نتيجة مماثلة· ومنذ ذلك الوقت بدأت القطط تكبر بسرعة·

بعد أيام عاد مايك الى البيت ليخبرني ان سكرتيرته عرضت ان تتبنى الجروة "بيتشز" وهي المفضلة لدي· ولكي اطوع لنفسي فكرة تركها، بدأت اتعمد اهمالها واجعلها تنتظر دورها لرضاعة الزجاجة· وتساءلت عما اذا كان الافتقار الى معاملة خاصة سيؤثر في شخصيتها· ولنفترض اني اعطيت احد الجراء الاخرى اهتماماً اضافياً، فهل يكبر ليكون مختلفاً عن اترابه؟ وقررت ان اخضع افكاري للتجربة·

اخترت قزم المجموعة، وهو الجرو الذي دعاه مايك "القط الخفاش" لفرائه الاسود ووجهه القبيح· كان دائماً في أسفل الكومة، الاخير الذي يُحمل ويُطعم والذي يحصل على اقل مقدار من الاهتمام· بدأت باعطائه اسماً جديداً "بوسطن"، فاخذت اردده همساً مرة تلو اخرى وأنا احمله لارضاعه من الزجاجة· كنت اطعمه مقدار ما اراد، ثم ادسه داخل سترتي لينام فوق قلبي الخفاق·

وكان تأثير ذلك في الجرو فورياً مباشراً· عيناه اللتان تفتحتا حديثاً اخذتا تتفحصان وجهي باهتمام· وهو حفظ اسمه بسرعة، فما ان اناديه حتى يتسلق طيات الحرام بأسرع ما تسمح له قوائمه الصغيرة الواهنة· واذ نام بين اشقائه فانه تخلى عن اذعانه المستسلم السابق بان يكون في الاسفل، فبات يشق طريقه متلوياً حتى يصل الى القمة فيستريح· هل منبع هذا التغيير انه احس نفسه موضع تقدير فأجل قدره؟

كان الاول بين الجراء الذي اكتشف قدرته على الخرخرة، والاول الذي نظف نفسه، والاول الذي تسلق خارج السلة· واذا التقطته لأداعبه، كان يربت خدي بقائمتيه الصغيرتين·

الرفيق العظيم – تغيرت ملامح بوسطن ومظهره· فاصبح فراؤه لماعاً وأملس· ومع انه لم يكن جميلا يوماً، الا أنه اصبح نشيطاً ومرحاً وموضع حب وحنان، حتى ان مجرد رؤيته كان يبعث الفرح في القلوب·

العامل السلبي الوحيد كان اني بمنح بوسطن هذا الاهتمام بدأت احبه· وتمنيت في سري ان يشاركني مايك في مشاعري· لكنه في الوقت الذي وافق على ان العناية الزائدة التي اوليتها بوسطن تركت فيه اثراً مذهلا، الا ان اهتمامه بقي علمياً·

وللأسف فان بوسطن لم يكن لبقاً، فكلما حمله مايك كان يدير رأسه بحثاً عني.

ومع الوقت تعلم بوسطن معنى ما افعله. افكر في اعداد العشاء، فيكون في طريقه الى المطبخ. افكر في الخروج، فينتظرني على الباب. ومرة اصدر صوتاً بين الخرخرة والمواء، فأجبت: "نعم يا بوسي الصغير، اعرف انك هناك." ومنذ ذلك الحين بات يصدر الصوت نفسه حينما يشاء. وبطرح تأويلات محددة مثل: "نعم، اتوقع انك تريد عشاءك الآن" و"انا سعيدة برؤيتك ايضاً،" راح يضيف اصواتاً اكثر تحديداً تعني "عشاء" و"مرحبا" حتى بلغ قاموس الكلمات التي يعرفها اكثر من اربعين كلمة.

وفيما كنت اعمل في انحاء البيت كنت اشرح باستمرار، فأنسى احياناً ان رفيقي العظيم الذي انعم عليه بكل هذا الحديث هو مجرد قط. ومرة دخل مايك المطبخ وسمعنا، فعلق قائلا: "سوف تفتقدينه حين يرحل."

حدقت اليه بذهول، لكنه قابل نظراتي بعينين جامدتين. وادكرت من تعابيره ان ذلك كان امتحاناً بيننا. هل سأبرّ بوعدي ام تراني أقدر هراً اكثر منه؟ وكانت واجهتنا مشاكل ثقة في الماضي، فهل اعرض للانهيار تلك الثقة التي كسبتها بعد جهد كبير؟ واجبت: "نعم سأفتقده."

بعد فترة وجيزة وجدت بيتشز وجنجر منزلين جديدين. واخبرني مايك ان الجمعية الخيرية تبحث عن قطط لبيعها. وبدا انـي أقضي أيامي الاخيرة مع بوسطن، فكنت اذا ما ضممته بين ذراعي أذرف الدمع واقول له: "آه يا بوسي، سيبدو البيت خالياً في غيابك."

هدية العيد – في اليوم السابق لموعد رحيل بوسطن جاءت صديقة لسكرتيرة مايك يصحبها ابنها الصغير ليختار بين بوسطن وسترايبر. وانقبض قلبي عندما رأيت الصبي، فهو بدا كملاكم صغير. كيف يستطيع مخلوق بالغ الصغر كبوسطن ان ينجو من لعبه الفظ؟ وتقدم الصبي من الهريـن وقبض على اختياره. لقد انتقى سترايبر.

واتصل بي مايك ليذكرني بان الجمعية تطلب وصفاً لبوسطن، فأجبت: "لقد حضرته وطبعته على الآلة الكاتبة." وقرأت لزوجي الوصف على الهاتف: "نشأ بوسطن على مقدار غير عادي من الرعاية والحب جعله يتمتع بذكاء وحساسية مرهفين.جميع تصرفاته لا غبار عليها. يحب ركوب السيارة والالعاب جميعها، ويتمتع بقاموس ضخم من المفردات. ارجو ان تعاملوه بالعاطفة الرقيقة نفسها التي يقابلكم بها."

وسكت مايك لحظة ثم قال: "لقد جعلت منه قطاً نادراً."

"هو كذلك"، اجبته، وأقفلت الخط.

عندما عاد مايك الى البيت، هرع بوسطن الى الباب ليحييه. وحاولت جاهدة حبس دموعي. اذ ذاك دخل مايك المطبخ حاملا بوسطن الذي ربطت حول عنقه شريطة حمراء كبيرة. ومن غير ان يتفوه بكلمة، مد مايك يده واعطاني مغلفاً في داخله بطاقة معايدة كتب عليها: "ما زلنا

في نوفمبر (تشرين الثاني)· لكن هدية الميلاد لن تنتظر·" وسلمني بوسطن وقال: "اذا كنت ناضجة بما فيه الكفاية لتدعيه يرحل، فانني ناضج بما فيه الكفاية لاسمح له بالبقاء·"

الصيد الاخير – بمرور الاشهر تجلت نتائج التجربة بوضوح· تعلم بوسطن ان يسابقني في الحقل ويتسلق شجرة ثم يناديني لاقتفي اثره· فأقول: "اقفز يا بوسي·"

وفي صبيحة يوم سمعت بوسطن يموء عبر الشق في اسفل باب غرفة النوم· وعندما نهضت لاستطلع الامر، قادني الى غرفة الجلوس في الطابق الارضي حيث كانت القطط الثلاث الاكبر تطارد زرزوراً دخل من المدخنة خلال الليل· ولوحت للعصفور الصغير واخرجته من نافذة مفتوحة·

وانقذ بوسطن طائراً آخر بارشادي الى أجمة علق فيها وروار عجز عن الحراك بسبب عود اقحم في منقاره· الا أن ذلك لا يعني انه لم يكن صياداً ماهراً· كان يحب مطاردة الذباب والزنابير ويعرف بالغريزة ان الاولى يمكن ان تضرب بعنف وبلا رحمة، فيما تتطلب الاخرى حذراً وسرعة·

وفي احدى امسيات يوليو (تموز) خرجت الى الحديقة لأرى بوسطن جاثماً فوق ارنب نافق وبدا متخوماً·

بعد ايام فترت همة بوسطن وفي الليلة التالية وجدته ذليلا وقد تقوس ظهره· وحملته مذعورة الى الطبيب البيطري· وفي السيارة تذكرت الارنب· كان بوسطن اصغر من ان يصطاد ارنباً معافى· لعل الارنب كان نافقاً عندما وجده·

ارتفعت حرارة بوسطن واصابه جفاف شديد· وأعلمني الطبيب بضرورة اعطائه اكبر مقدار ممكن من الطعام والسوائل في اسرع وقت ممكن· وحين وصلت الى البيت حملت هري خارج السيارة· فأطلق صرخة اخيرة تقوس بعدها عموده الفقري· وانتهى كل شيء·

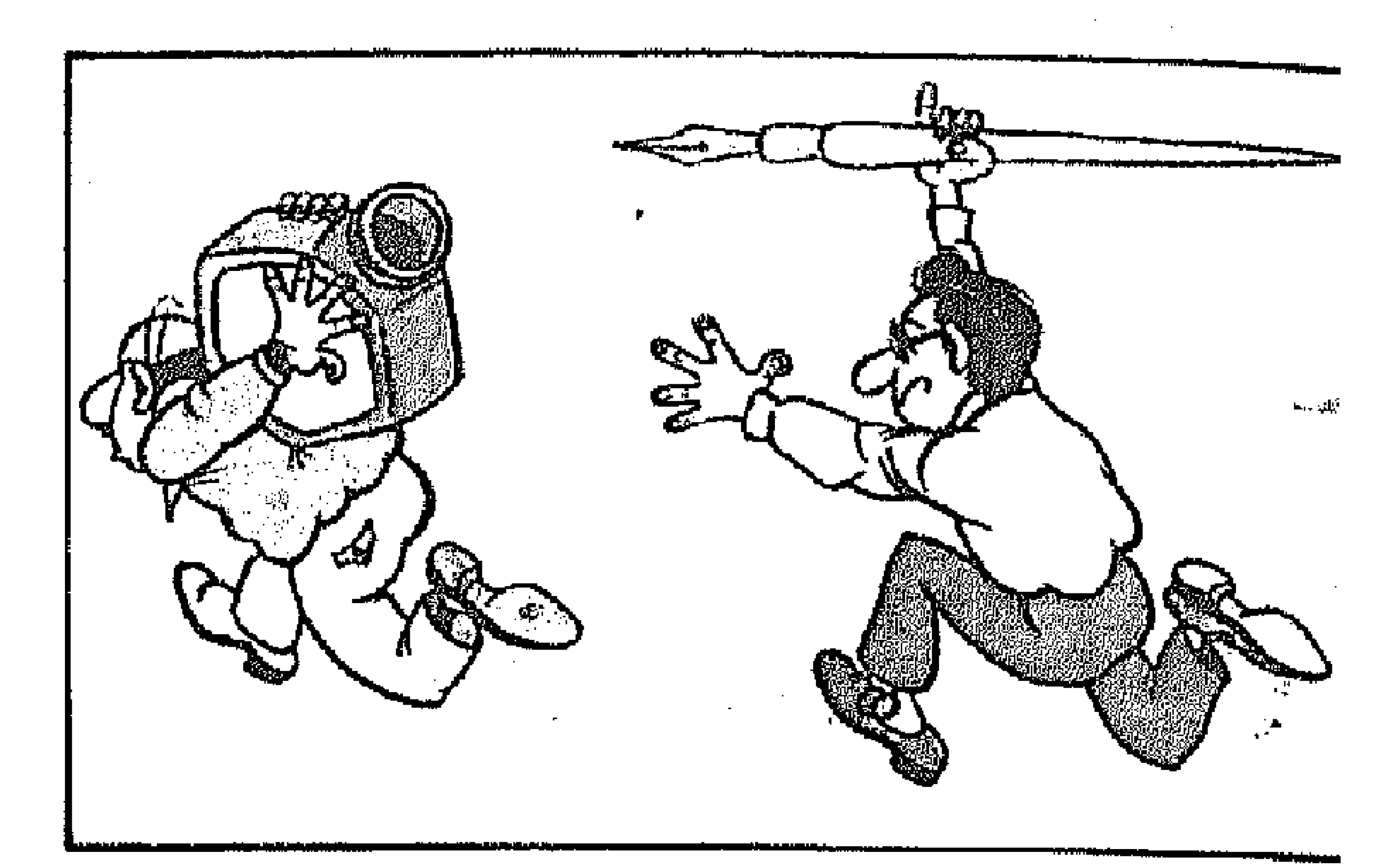
وحاول مايك مواساتي لكن عينيه اغرورقتا بالدمع ونحن ندفن الكتلة الصغيرة تحت شجرة الزعرور في حديقتنا· وعندما انهالت عليه حفنة التراب الاخيرة، وقف مايك يحدق الى الكومة أمامه ثم قال: "كنت على حق، كان بوسطن هراً مميزاً·"

بعد مرور أشهر، خف ألم فراق بوسطن، فتذكرت الجراء الاخرى التي كبرت وتوجهت لزيارتها· كانت بيتشز لطيفة ورقيقة وجنجر جموحاً وغير ودودة· اما سترايبر فكان يقضي معظم وقته مختبئاً تحت الاسرة· وحده بوسطن كان فريداً في ذكائه وانطلاقه وحنانه· واذ اثبتت تجربتي ان للحب قوة لا تضاهى في التنشئة والحماية والسعادة، فان بوسطن علمنا اننا عندما نمنح الحب عفواً فاننا نحصل على جزاء غير عادي في المقابل·

■ جو غودير

الحب" هو أن تسهر الليل كله مع طفل مريض أو مع بالغ معافى·

د·ف·



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد افعال، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

٠١ **ازِف**: تزوج ـ مات شاباً ـ احتفل ـ اقترب.

٠٢ **حدج**: جدق ـ وخز ـ مشى متثاقلا ـ ازاح.

٠٣ **تملص**: تلوى ـ تأفف ضجراً ـ افلت ـ تفكك.

٠٤ **اجدب**: اذهل ـ يبس ـ اصابه الجنون ـ تثاءب.

٠٥ **بزّ**: غلب ـ صرّ اسنانه ـ وشى ـ قلّد مشية البازيّ.

٠٦ **تسكع**: تعثر ـ تزلف ـ مشى على غير هداية ـ تسول.

٠٧ **جهر**: غضب ـ هدد ـ استل ـ رفع صوته.

٠٨ **زركش**: رسم ـ مدح ـ كذب ـ نسج بالذهب.

٠٩ **شمت**: سبّ ـ فرح بمصيبة سواه ـ تطاول ـ انتزع.

٠١٠ **اجفل**: نفر ـ اهمل ـ اظهر كراهية ـ اشرأبّ.

٠١١ **تغاضى**: تعطر ـ مشى بخيلاء ـ تستر ـ طبق جفنيه.

٠١٢ **جرم**: دق بعنف ـ جنى ـ قطع ـ اصرّ على رأيه.

٠١٣ **قضّ**: سقط بسرعة ـ هدم ـ حكم ظلماً ـ شد.

٠١٤ **راوغ**: خادع ـ تكلم هاذياً ـ نمّ ـ اغرى.

٠١٥ **تهدج**: ركب الهودج ـ آسى ـ لبس الديباج ـ تقطع.

٠١٦ **بسق**: ظهر فجأة ـ ارتفع ـ تفّ ـ وثب.

٠١٧ **احجم**: تغيب ـ كفّ ـ اقدم ـ شمخ برأسه.

٠١٨ **بار**: احسن ـ وفى بوعده ـ هلك ـ توارى.

٠١٩ **تجلبب**: تنكر ـ كثرت عليه المصاعب ـ تلطخ ـ لبس الجلباب.

٠٢٠ **عنفص**: عبس ـ ادعى بما ليس فيه ـ رفض ـ عاند.

٠٢١ **كظم**: حبس ـ نظم الشعر ـ ظلم ـ اغتاظ.

٠٢٢ **انتهز**: اغتنم ـ سخر ـ قارب ـ اهتز بقوة.

٠٢٣ **تزمت**: بخل ـ تحلى بالصبر ـ تقلص ـ كان وقوراً.

٠٢٤ **عزل**: حسد ـ نفذ الحكم ـ لام ـ خلع.

٠٢٥ **اوغل**: عاث فساداً ـ ادخل ـ اغضب ـ صرف كل ماله.

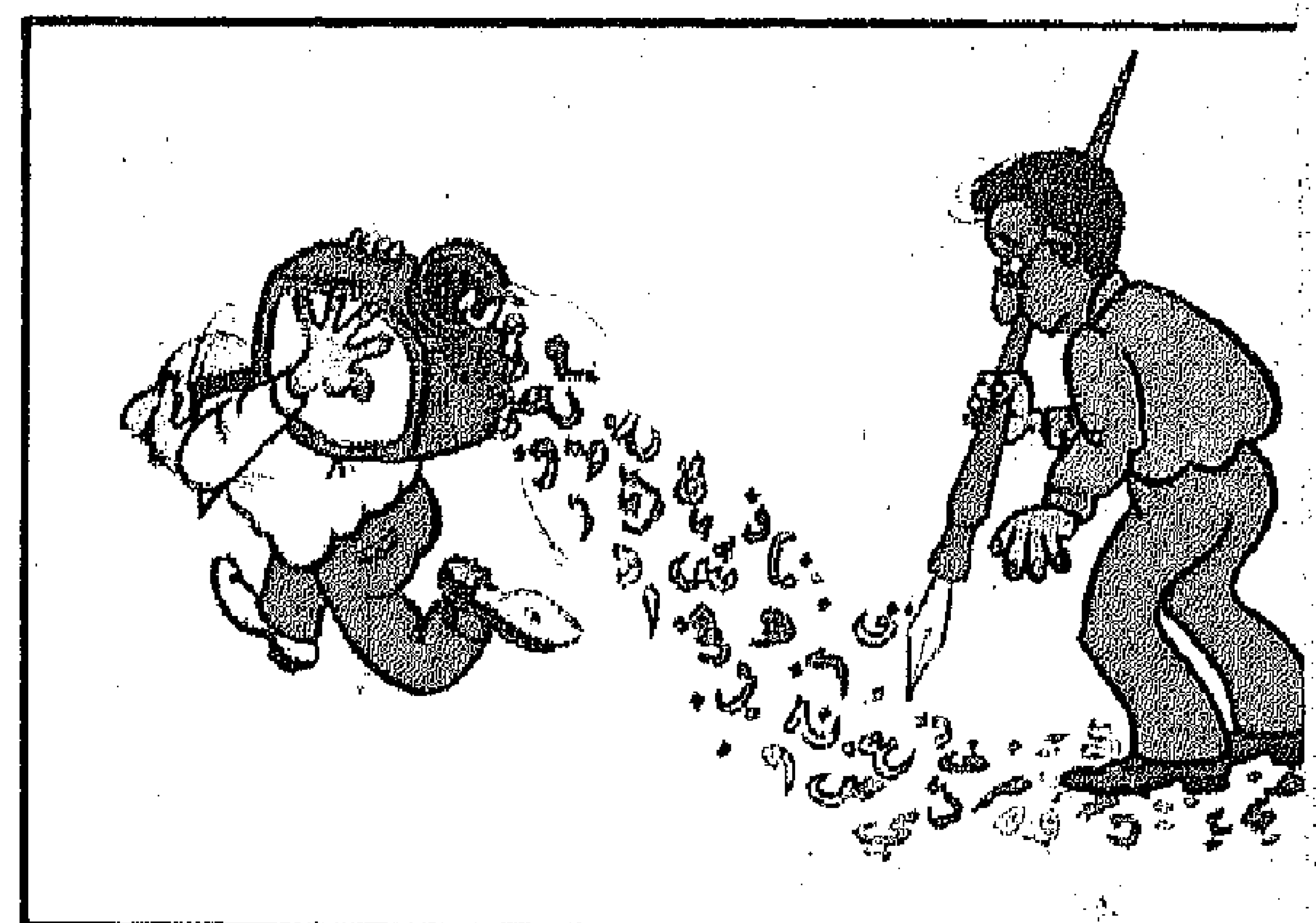
٠٢٦ **دجا**: اظلم ـ حمل السلاح ـ ماطل ـ مشى ليلا.

٠٢٧ **اضمحل**: جفّ ـ استقر ـ تغير لونه ـ تلاشى.

٠٢٨ **نحر**: هزم ـ اشقى وعذب ـ ذبح ـ خان.

٠٢٩ **اوجس**: همس ـ اشاع الاكاذيب ـ اضمر ـ توهم.

٠٣٠ **ظعن**: ارتحل ـ اهان ـ رعى ـ شاخ.



الأجوبة الصحيحة

٠١ **ازف:** اقترب. ايضاً: عجل. ازف الجرح: اندمل.

٠٢ **هدج ببصره:** حدق.

٠٣ **تملص:** افلت وانسل. رجل املص الرأس: لا شعر على رأسه.

٠٤ **اجدبت الارض:** انقطع عنها المطر وييبست فهي جدباء.

٠٥ **بزّ:** غلب. ابتز: استلب قهراً. بزة: ثياب.

٠٦ **تسكع:** مشى على غير هداية. ايضاً: تمادى في الباطل.

٠٧ **جهر:** اعلن ورفع صوته. جهرت العين: لم تبصر في الشمس.

٠٨ **زركش الحرير:** نسجه بخيوط من ذهب.

٠٩ **شمت بفلان:** فرح ببليته. تشمت: رجع خائباً.

٠١٠ **اجفل:** نفر وشرد. تجفل الديك: نفش عرفه.

٠١١ **تغاضى:** طبق جفنيه كي لا يرى شيئاً. ايضاً: تغافل.

٠١٢ **جرم:** قطع. جرم الناقة: حزّ صوفها، والنخل: قطف ثمره.

٠١٣ **قض:** هدم. القض: صغار الحصى. اقض المضجع: خشن.

٠١٤ **راوغ:** صارع وخادع. راغ عن الطريق: حاد عنها مكراً.

٠١٥ **تهدج الصوت:** تقطع وارتعش. هدج: مشى مشية الشيخ.

٠١٦ **بسق:** ارتفع وطال. الباسقة: السحابة البيضاء الصافية.

٠١٧ **احجم:** كف او نكص. الحجام: ما يوضع في فم الجمل لئلا يعض.

٠١٨ **بار:** هلك. ايضاً: كسد. ارض بور: غير مزروعة.

٠١٩ **تجلبب:** لبس الجلباب وهو قميص او ثوب واسع.

٠٢٠ **عنفص:** كان ذا صلف وخفة وزهو. أيضاً: ادعى بما ليس فيه.

٠٢١ **كظم:** اغلق وحبس.

٠٢٢ **انتهز الفرصة:** اغتنمها. ناهز الخمسين: قاربها.

٠٢٣ **تزمت:** كان جليلا ووقوراً. زمت: خنق.

٠٢٤ **عذل:** لام. المعتذلات: الايام الشديدة الحر.

٠٢٥ **اوغل:** ادخل. أيضاً: اسرع وامعن. توغل في البلاد: ذهب وبعد.

٠٢٦ **دجا الليل:** اظلم. الدياجي: الظلمات. الديجور: الظلام.

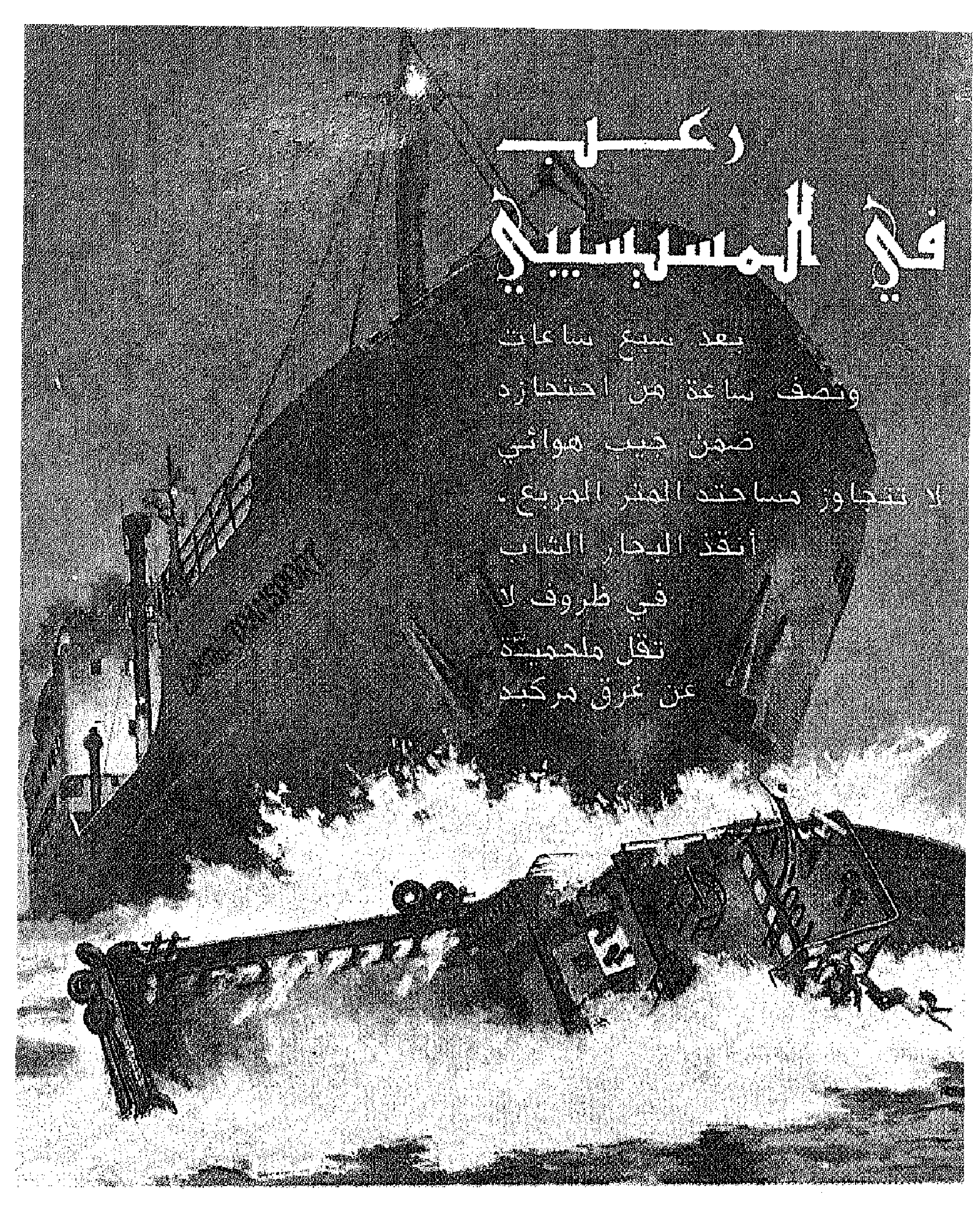
٠٢٧ **اضمحل:** تلاشى وانحل.

٠٢٨ **نحر البهيمة:** ذبحها من نحرها اي اعلى صدرها.

٠٢٩ **اوجس:** احس واضمر. توجس: سمع صوتاً خفياً.

٠٣٠ **ظعن:** سار وارتحل.

المستوى:
- ٢٥ ـ ٣٠: **ممتاز**
- ١٩ ـ ٢٤: **جيد**
- ١٣ ـ ١٨: **مقبول**



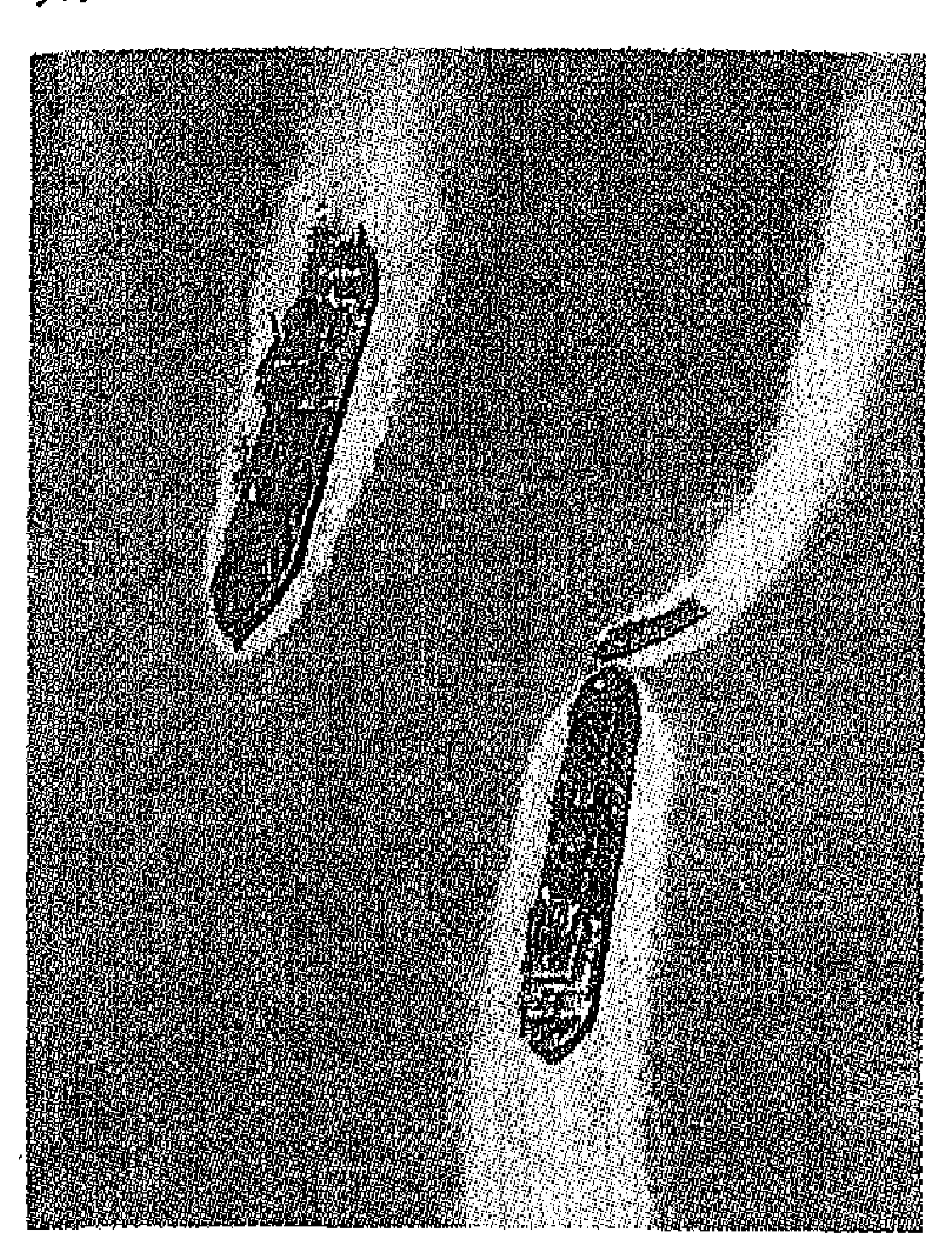
في العاشرة والنصف من ليلة ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠، انطلقت سفينة الشحن "كوستال ترانسبورت" من مرفأ نيو اورلينز المزدحم في ولاية لويزيانا الامريكية. وبحمولتها من حامض الكبريت والصودا الحارقة، أبحرت تلك السفينة البالغة ١٤٠ متراً طولا في اتجاه مرفأ فيراكروز المكسيكي بقيادة الربان جيم برينان. وبما ان القانون يقضي بأن يرافق السفن الضخمة ربان محلي يعينها على اجتياز ممرات نهر الميسيسيبي الوعرة، فقد تقرر ان يتسلم الربان

النهري جيرالد جين قياد السفينة من نيو اورلينز حتى "بايلوت تاون" المحطة الاخيرة قبل خليج المكسيك.

وما ان شقت السفينة البرتقالية الضخمة طريقها نحو الخليج حتى كان المركب "سالي - بي"، وطوله ٣٧ متراً، فرغ من انزال بعض المعدات على رصيف خاص بمحطة نفطية داخل النهر، وتابع طريقه نحو مربطه الواقع في دلتا الميسيسيبي على بعد ١٣٠ كيلومتراً من نيو اورلينز. وقبيل منتصف الليل، فيما راح قائد المركب واين بمبرتون (٣٦ سنة) يشق طريقه نحو ثغر الميسيسيبي، نزل معاونوه الى الطبقة السفلية للاستراحة. وهؤلاء هم: المهندس ستيفن جارفيس (٢١ سنة) والنوتيان انطوني بيريت (١٩ سنة) وماري جو روسون (٤٠ سنة). وما لبث بيريت ان أوى الى سريره بالقرب من مقدّم المركب، وحذا جارفيس حذوه.

في الثالثة والدقيقة الحادية والثلاثين فجراً عبرت السفينة "كوستال ترانسبورت" مرفأ فينيس. وهناك تلقى الربان جين امراً من المحطة الامريكية لمراقبة السفن، بوجوب التنبّه الى سفينة الشحن اليونانية "انتربرايز" التي تجرّ امتارها المئة والخمسين من اسفل النهر الى اعلاه عبر الضفة الشرقية المخصصة للسفن الكبيرة. وللحال طلب جين مدير دفة السفينة اليونانية ان يتجه نحو الضفة الغربية الاقل عمقاً.

المركب الصامت - بعد دقائق وجهت ماري جو روسون رسالة بالراديو تقول: "المركب سالي - بي يتجه نحو



"سالي بي" تتجه نحو مقدم "كوستال ترانسبورت"، فيما "انتربرايز" تقترب منها.

فينيس..." وعلى رغم ان محطة المراقبة والربان جين كليهما لم يسمعا الرسالة، فان جين ما لبث ان أبصر المركب الصغير يشق طريقه عبر الضفة الغربية. وهكذا اصبحت سفينته في الوسط بين "انتربرايز" و"سالي - بي". فوجه رسالة الى السفينتين تقول: "كوستال ترانسبورت تتجه جنوباً."

وللحال جاءه جواب "انتربرايز" إذ قرر ربانها ليم كلاسن ان يتابع طريقه واضعاً ميسرة سفينته في اتجاه ميسرة السفينة الاخرى. اما المركب فبقي صامتاً. وعاين الربان جين شاشة الرادار علّ جواباً يأتيه من "سالي - بي" يعين وجهتها. لكنه قدّر ان قائد المركب سيعبر عن ميمنته كعادة المراكب الصغيرة في

ذلك الجزء من النهر. ولتأكيد هذا الامر أطلق نفير سفينته مرتين.

لكن الربان جين لم يحصل، هذه المرة ايضا، على جواب. وكان قلقه يزداد دقيقة بعد اخرى. وأمر مدير دفته ان ينحرف خمس درجات يساراً كي يفتح طريقاً للمركب. ولشدّ ما كانت دهشته عندما نظر بعد اقل من دقيقة ولم يرَ النور الاخضر على ميمنة "سالي - بي"، بل شاهد المركب يتجه يمنياً نحو مقدم سفينته.

وهرع الى جهاز الارسال وأطلق النداء الآتي: "ايها الربان، ابتعد عن مقدّم السفينة."

الا ان المركب ظل يقترب. فأسرع الربان جين الى نفير السفينة وراح يطلق صفّارة الانذار، وهي ثانية من الصفير تليها ثانية صمت. ولم ينفع ذلك كله، إذ بقي المركب يقترب من السفينة الضخمة.

وصاح جين: "يا لهول الكارثة،" وهو يرى ما يوشك ان يحدث. وأدار قائد الدفة العجلة، فأخذت السفينة تتحرّك على مهل الى اليمين بحمولتها البالغة ٩٥٠٠ طن. غير ان ذلك لم يجدِ. وفي تلك الاثناء وقف الربان كلاسن يراقب الكارثة من سفينته "انتربرايز" وقد هدّه الرعب.

أطنان الماء - في الثالثة والدقيقة السادسة والاربعين فجراً سُمع دويّ هائل عندما صدمت "كوستال ترانسبورت" المركب "سالي - بي" في ميسرته، امام حجرة القيادة، مما ادى الى كسر عارضته الرئيسية الممتدة على طول قعره. وارتجت السفينة قليلا ثم تقدّمت وهي تجرّ المركب المحطّم عند مقدمها كعلبة تنك مسحوقة. وتدفقت اطنان الماء الى قمرة القيادة في المركب مفجّرة نوافذها. وما هي الا ثوان حتى غرق المركب، متجهاً الى قعر الميسيسبي بسرعة ١٥ عقدة.

وكان الملاح ستيفن جارفيس غافياً في حجرته عندما قذفته الصدمة الى غرفة الربان بمبرتون المغمورة بالماء، حيث غرق سريعاً.

أما انطوني بيريت فوجد نفسه مقيّداً في حجرته وهو يعوم فوق الماء وسط سواد حالك. وراح يقاوم الذعر الذي شنّج عضلات معدته حتى وصل الى خزانة معدنية مفتوحة تشبث بها وبقي يزحف داخلها الى ان بلغ جيباً هوائياً.

في تلك الاثناء كان الربان بمبرتون وماري جو روسون يصارعان المياه الجليدية المزبدة، بعدما رمتهما الصدمة من منصة القيادة الى النهر. وأخذت التيارات تتقاذفهما من يمين "كوستال ترانسبورت" الى يسارها. وسمع معاون مدير الدفة في السفينة دايل رومانيولي نداء استغاثة، فسحب سترتي النجاة الخاصتين به ودلّاهما نحو بمبرتون الذي يبعد عشرة أمتار. لكن السترتين ظلّتا بعيدتين خمسة امتار عن بمبرتون الذي ما لبث ان غاب في الظلام. وسمع المعاون التقني كليفورد مورين نداء ماري جو روسون، فألقى اليها بسترة نجاة لكنها ظلت بعيدة عنها.

وأوقفت "كوستال ترانسبورت" محركاتها وأخذت تتجه نحو القناة الشرقية، وخوفاً من حدوث اصطدام



شهيّة...
معذية
Swiss Maggi Soup
Chicken noodle
Volaille au vermicelle
ماجي
شوربة دجاج
مع شعيرية
لكافة أفراد العائلة
مجموعة أصناف شوربة ماجي الواسعة تضمّ أطباقاً
من الحساء بلحوم الدجاج والبقر الخالصة لتحوّل وجباتك
اليوميّة، ظهراً ومساءً، إلى ولائم غنيّة كاملة. ان طعمها
اللذيذ ونكهتها الشهيّة يجعلان منها غذاءً لا غنى عنه
لجميع افراد العائلة.
طبق كلّه عافية
ماجي
PI 3159 A

آخر، حرص الربانان جين وبرينان على إنذار السفن الاخرى والسيطرة التامة على سفينتيهما. وأرادا الرسو، لكنهما وجدا ان المراسي يعوقها حطام المركب "سالي - بي."
ومع زوال ذلك الامكان قرر الربان جين توجيه سفينته عبر المياه الضحلة في القناة الغربية، وذلك بحرص بالغ إنقاذاً لحياة اي شخص عالق بين حطام المركب، فضلا عن ان اي ثقب يخرق بدن السفينة من شأنه تسريب الماء الى صهاريج حامض الكبريت، مما قد يؤدي الى انفجار مميت.

افكار متناقضة - راح انطوني بيريت يمرر يديه وسط الظلمة في الجيب الهوائي حتى أدرك ان ارتفاعه نصف متر ومساحته متر مربع او اكثر قليلا. ودخله وعقله يزين له انه قضى على أثر الاصطدام وانه يختبر نوعاً من الحياة بعد الموت.

وعلى السطح زال الامل في العثور على احياء. وبعد اختفاء بمبرتون وروسون أيقن الملاحون الخبراء انه من غير المجدي خوض مياه الميسيسيبي الغادرة وما يجري تحتها من تيارات قوية مضادة للتيار السطحي. وهكذا اوقف طاقم الانقاذ مساعيه في الرابعة والدقيقة الرابعة والخمسين صباحاً، فيما تابع خفر الساحل المساعي ولكن من غير كبير امل. ولم يكن احد يدري ان هناك شخصاً ناجياً عالقاً ضمن بدن المركب المغمور يتهدده الغرق في اي لحظة.

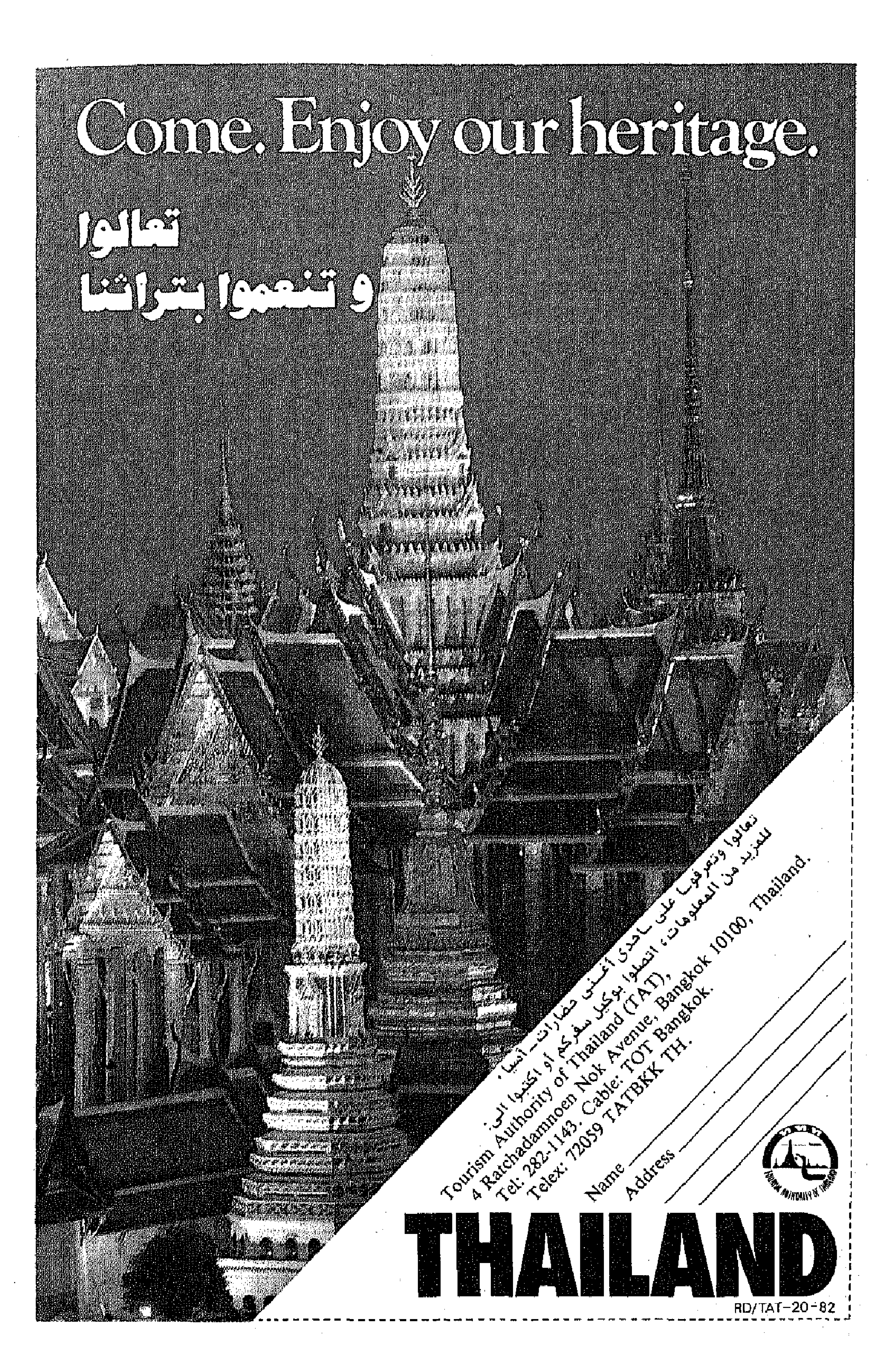
وفي الخامسة والدقيقة الاربعين، بعد ساعتين من الحادث، وجه الربان جين سفينته على أرض النهر الموحلة عبر القناة الغربية على بعد ثمانية كيلومترات من ثغر النهر. وكان ارتفاع الماء تسعة امتار والمسافة التي تفصل السفينة عن الشاطىء نحو ٤٠٠ متر، مما أبعدها عن المراكب الاخرى العابرة في ذلك الاتجاه.

وكان للحركة التي أحدثتها السفينة في أرض النهر أثر مروع لدى انطوني بيريت. ولوهلة خيل اليه انه يرى شيئاً طافياً فوق الماء يتجه نحوه، وهو أشبه ما يكون بجثة مشوهة. وثار الذعر في نفسه وجف حلقه. لكنه أدرك انه لا يمكنه الركون الى تصورات ذهنه. وفجأة تذكر ان في جيبه قداحة غاز، فانتزعها وقدح زنادها بضع مرات قبل أن تتولد النار منها.

وراح بيريت يتفحص محبسه. وتبين له ان السقف الذي يقيه ربما كان مقدم السفينة الايسر. وكانت المياه الباردة المحيطة به قاتمة من الوحل والركام ومشبعة برائحة الوقود، لكن مستواها كان ثابتاً. وسرعان ما أطفأ القداحة حفاظاً على وقودها.

وأخذت تعبر ذهن بيريت افكار متناقضة من الخوف والرجاء. ولكم تمنى ان يعرف أين هو وماذا يحدث لكي ترتفع معنوياته. ولكن أنى له ذلك؟ وازداد اضطرابه فيما الادوات المعدنية تجتلب حوله وتخترق تموجاتها بدن المركب، مختلطة بصوت المياه المزبدة. وأصابت بيريت قشعريرة أخرج على أثرها القداحة وأشعلها من جديد، فازداد ذعراً.

وفي السابعة صباحاً باشر زورق



Come. Enjoy our heritage.
تعالوا
و تنعموا بتراثنا
تعالوا وتعرفوا على احدى أغنى حضارات آسيا ،
للمزيد من المعلومات ، اتصلوا بوكيل سفركم او اكتبوا الى :
Tourism Authority of Thailand (TAT),
4 Ratchadamnoen Nok Avenue, Bangkok 10100, Thailand.
Tel: 282-1143. Cable: TOT Bangkok.
Telex: 72059 TATBKK TH.
Name
Address
THAILAND
RD/TAT-20-82

صغير تابع لخفر السواحل طوافه حول حطام "سالي – بي" بحثاً عن جثث الضحايا. وحمل البحار روبرت زويكا مجذافه ضارباً به بدن المركب، فظن انه سمع اجابة خافتة. وضرب مرّة اخرى بشدة، ودُهش حين أتاه الجواب سلسلة من الضربات الهائجة. وتنهد قائلا: "في الداخل ملاح حي".

وللحال طُلبت النجدة من مرفأ نيو اورلينز. وبُعيد الثامنة صباحاً وصل الغوّاص تشاد بيارد (٣٠ سنة) وزميله ألبرت بينيت (٤١ سنة) وهو غوّاص متمرّس في خوص مياه الميسيسيبي الموحلة. وكان سبقهما الى الموقع أحد غوّاصي مرفأ فينيس، وهو ماتيو ريغان الذي يبلغ الثامنة والثلاثين. وفي غوصة واحدة تمكن ريغان من ربط حبل طوله ٢٥ متراً بمدخل المركب الغارق. وحاول اقتحام المركب، فعاقه الحطام عن ذلك. عندئذ قفل عائداً الى سطح الماء.

"لقد عثرتُ عليه" – في التاسعة والخامسة والاربعين صباحاً، وقف ريغان يشرف على العملية من فوق فيما غاص بينيت وبيارد بحثاً عن الناجي. وصدمهما البرد اولا ثم التيار. وتمسك بينيت بالحبل الذي ربطه ريغان ودخل المركب هرباً من التيار. وتبعه بيارد. وكانت الرؤية شبه منعدمة عندما أشعل بينيت مصباح الغوص القوي.

وكان المركب "سالي – بي" يشبه رمة بالية مرمية على جانبها ونهر الميسيسيبي العاتي يتدفق عبرها. وشق بيارد طريقه اولا ثم تبعه بينيت الى حيث كان انطوني بيريت مختبئاً. ولم يدر هذا، وهو يسمع طرق المعادن، حقيقة ما يحدث، بل ظن الصوت آتياً من بقايا المركب.

وعادت الوساوس تهيمن على بيريت وهو لا يرى شيئاً وسط الظلام الحالك. وتصوّر انه يرى جسماً في المياه القاتمة. وبعد قليل لاح له ضوء ما لبث ان اختفى. وراح يحدّق الى مصدر الضوء وقلبه يخفق بشدّة. ولاح النور من جديد أقوى من المرة الاولى. وصعدت الفقاعات الى سطح الماء، فاقترب بيريت منها ومدّ يده التي وقعت على ما يشبه الذراع. وأخذ يشدّ بتلك الذراع حتى وجد نفسه وجهاً لوجه قبالة ألبرت بينيت الذي صاح عبر الراديو: "لقد عثرتُ على احدهم حياً".

لكن بيريت لم ينطق بكلمة بل بقي متشبثاً بذراع بينيت. وسأله هذا: "كيف حالك؟" وراح بيريت يرتجف بشدّة وهو على وشك الانهيار، من غير ان يتكلم. وهزّه بينيت برفق فقال اخيراً: "حاليَ حسنة، ولم يصبني اذى".

وصعد تشاد بيارد الى سطح الماء ليحضر عدّة الغوص لزميله. وعاد بها وهو يشق طريقه بحذر الى حيث كان الاثنان. ولم يكن بيريت لبس عدة غوص قبل ذلك الوقت، فانتابه القلق لدى رؤيتها. لكن بينيت هدأ من روعه قائلا: "تذكر امرين: لا تهلع، وتنفّس جيداً".

وما ان أنزل بيريت قدماً الى الماء حتى أحسّ الصقيع يجمد أوصاله. فقال: "لا يمكنني الصعود على هذا المنوال." وللحال أجابه

بيارد: "حسناً! هذه خوذتي، أعطني عدّة الغوص."

وتولى بينيت وبيارد بمشقة إعانة بيريت على وضع الخوذة في ذلك المكان الضيق، ثم نقل عدّة الغوص الى بيارد.

وفي الحادية عشرة والدقيقة العشرين قبل الظهر، غادر بيريت نهائياً المركب المحطّم بمعيّة بينيت بعد انقضاء سبع ساعات و ٣٤ دقيقة على احتجازه داخله، وسرعان ما بلغا سطح الميسيسيبي. وفي خمس دقائق كان بيريت في طريقه الى المستشفى بطائرة مروحية تابعة لخفر السواحل.

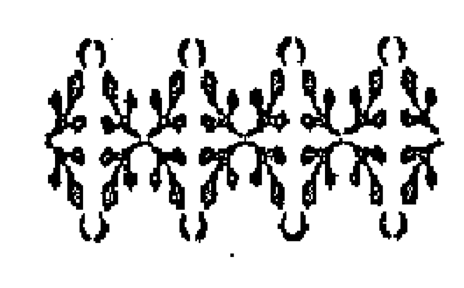
وبعد تسعة ايام من إنقاذ بيريت رُفع مركب "سالي - بي" من قعر النهر، ووُجدت فيه جثة البحار ستيف بارفيس. وكانت جثة ماري جو روسون وُجدت قبل ثلاثة ايام في ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) طافية على بعد ثلاثة كيلومترات من مكان الحادث. وفي ٥ ديسمبر (كانون الاول) عُثر على جثة الربان بمبرتون وقد لفظتها الامواج الى شاطىء لا يبعد كثيراً عن خليج المكسيك.

وأجرى مكتب خفر السواحل تحقيقاً مفصلا لتقرير اسباب مأساة ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني)، لكنه لم يسفر عن نتيجة. ويبدو ان الربان بمبرتون او ماري جو روسون اساء تقدير حركة النهر تلك الليلة وأصدر قراره المهلك بالاتجاه يميناً. لكن الجواب اليقين عن هذا التساؤل سوف يبقى سرّاً مغلقاً، لان الذين يملكونه قضوا.

ولكن ماذا عن البحّار الوحيد الذي كُتبت له النجاة؟

انطوني بيريت يعتقد ان اعجوبة أنقذته... من غير ان ينسى فضل ثلاثة غوّاصين شجعان.

■ جيرالد مور



لص شريف

سأل القاضي لصاً: "من هم شركاؤك في الجرم؟"

- لقد انجزت العمل بمفردي يا سيدي! ففي هذه الايام لا يمكنك أن تثق بأحد.

ب.ا.

تفاؤل في زنزانة

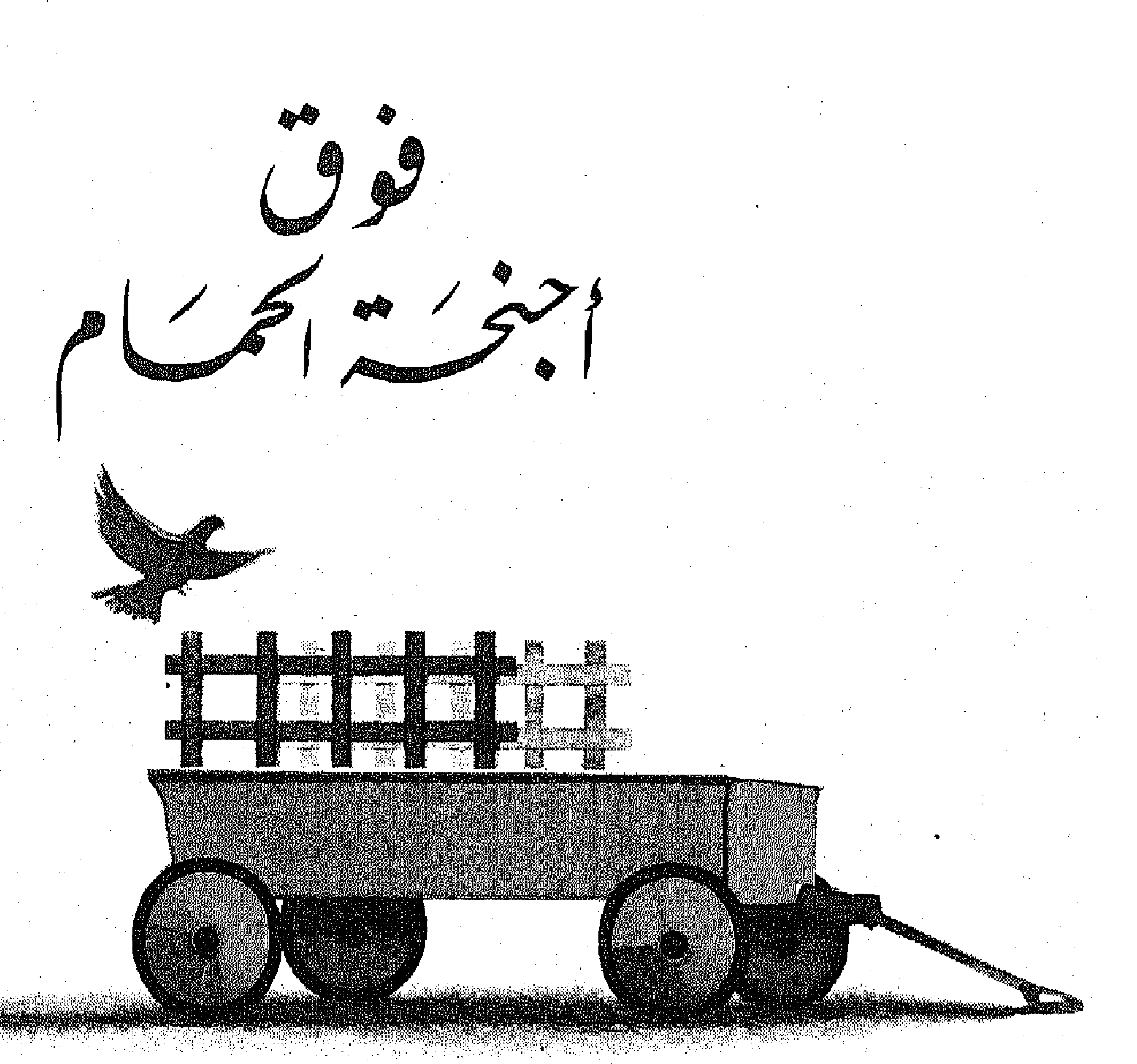
بعد صدور الحكم على متهمين ووضعهما معاً في زنزانة صغيرة، قال أحدهما: "لقد حُكم علي بعشرين سنة سجناً. فماذا عنك؟"

- أنا حُكمت بخمس عشرة.

"اذاً، خذ السرير الذي بجانب الباب فأنت ستخرج أولا ".

س.ب.

كتاب الشهر



ملخص من كتاب
بقلم ر. رايت كامبل

في رحلة من عالم الرجولة الى عالم
الطفولة البعيد، فاضت الذكريات لا يعوقها عائق،
مركزة على السنة العاشرة من عمر
ذلك الفتى، وهي السن التي
شهدت انتقاله الى
عالم الكبار.

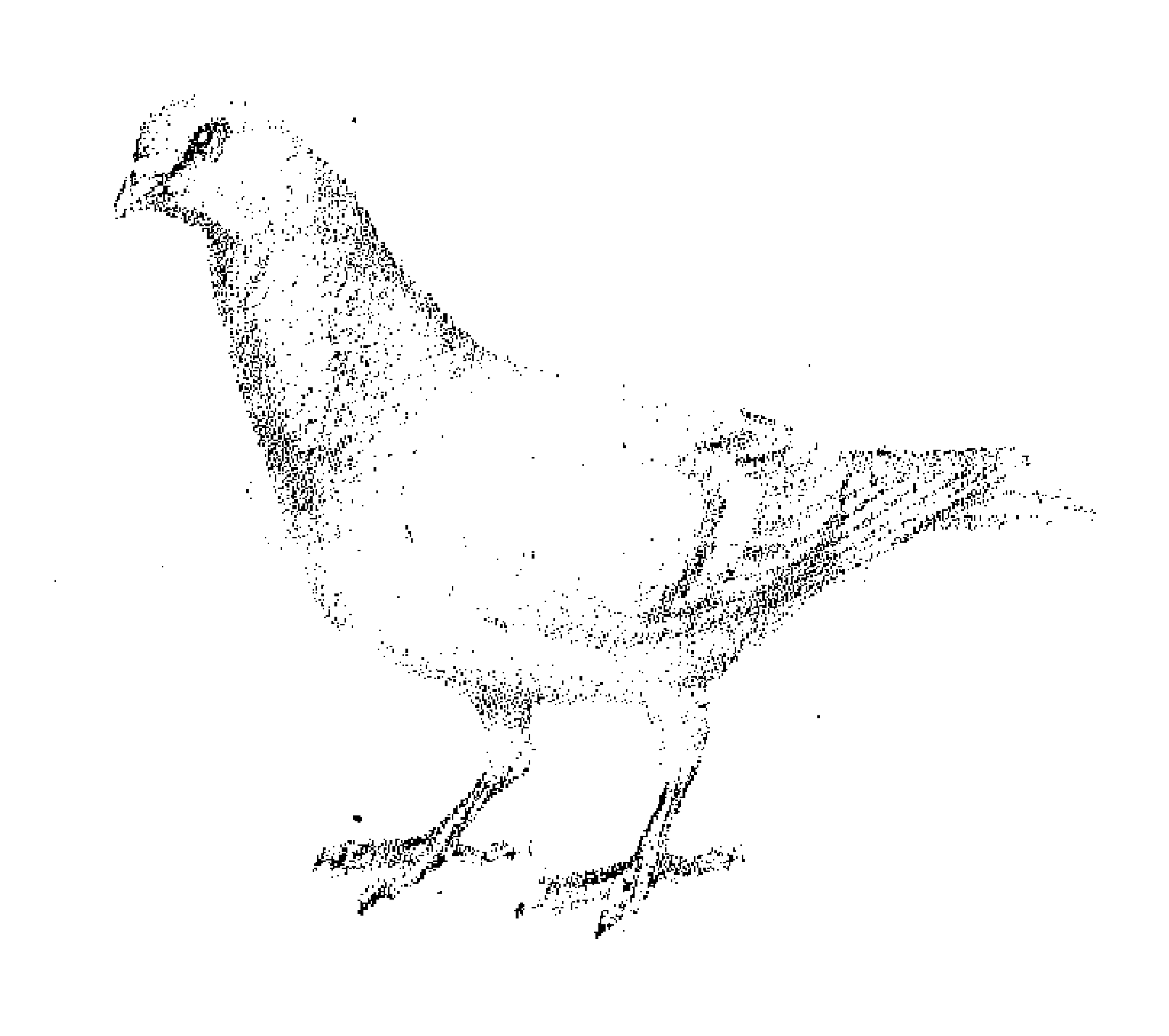
فوق اجنحة الحمام

رواية ر. رايت كامبل
هذه تقص حكاية
فتى مع جده، بما تنطوي عليه من محبة وشرف ووفاء

عدت الى البيت الريفي الصغير المشرف على واحدة من السواقي الكثيرة التي كانت يوماً تغذي نهر جينيزي، بناء على دعوة اخرى من وكلاء البيع. هذه المنطقة العريقة التي ظلت حتى وقت غير بعيد شبه زراعية، ابتلعتها مدينة روشستر التابعة نيويورك. ومنذ ذلك الحين لم تعد ذلك الموضع الذي ألفته في طفولتي، بل تحولت مجموعة من المباني العصرية العادية التي تقوم فيها شقق السكن.

عدت وقد سرى فيّ حس بالذنب غير قليل. انا الذي تركت بيت جدي للغرباء طوال السنوات العشرين الاخيرة. انا الذي أخليته وهجرته للاعشاب البرية والعفن. انا سبب هذه الحال من الاهمال والتداعي التي يعانيها المنزل.

لقد بعت، قبل وقت طويل، المنزل



الاكبر الذي تركه لي أبي وامي. الا اني لم اشأ التخلي عن هذا البيت الصغير الخرب الذي يبدو لي اليوم بيتي الحقيقي، على رغم اني لم اسكنه حقاً.

إنه لا يزال في مكانه. لكنه فقد ذلك الرواق الامامي. والاروقة المسقوفة في مداخل البيوت كانت شائعة ذلك العهد. ولم يبقَ من السلم العريضة عند المدخل سوى درجات واهية. وخيل الي ان الممر بين البوابة الكبيرة وباب المنزل اختفى. ولكن لم ألبث ان رأيت، بين ظلال الايام والسنين، ذاك الممر القديم وقد غطاه العشب واستطال فوقه. حقاً ان آثارنا لا تمحي بسهولة، كما قال لي جدي يوماً. وراودتني رغبة في السير الى الحديقة الخلفية قبل دخول المنزل.

هناك رأيت الساحة ملأى بالركام والمرأب مائلا وعلى وشك السقوط عند عصفة الريح الاولى. سقط ذلك المشهد كما الصخر على صدري. وكانت الاعشاب البرية مرتفعة وقد اصطبغت بألوان الخريف البنية والصفراء. اما اشجار الصفصاف والحور فقد اقتُلعت من جذورها. واختفت الساقية وحُوّل مجراها شبكة لمجاري المياه القذرة.

ورحتُ اركض على التلة وانا أخشى الانتقال من سني حياتي الخمسين الى السنة العاشرة المفعمة بالذكريات. وذهبت نحو بيت الحمام الذي ما زال حيث كان.

وكان هذا البيت، في ايام صاحبه هنري بودوم، فتنة الناظرين بأروقته الكثيرة ذات الاعمدة المستدقة وما يعلوها من اشكال مثلثة، وبنوافذه واطنافه المحفورة. وقد كُسيت سقوفه بألواح خشبية حمراء، وجُعلت فيها ابواب زرقاء. وأخبرني جدي ان ذلك الظل من الزرقة الضاربة الى الاحمر الرملي كان شائعاً في مسقط رأسه في بلجيكا.

اما اليوم فلم يبقَ في سقف بيت الحمام الا اللون الرمادي الكئيب. وفُقدت الواح كثيرة وسقط بعضها الى ارضية البيت ونتأ من جوانبه كما تنتأ الاضلاع من خاصرة حيوان جريح. وانتُزعت الاوتاد من معظم النوافذ وملئت العلب في الداخل بالركام... ركام على ركام.

وسمعتُ نفسي أقول: "آه يا جدي." وحمل الهواء عبير الرّشاد

والتوت البري من ضفة الساقية التي لم تعُد هناك. وشرق قلبي بالذكريات وطفح الدمع في عيني.

اني في العاشرة من جديد، السنة الحاسمة في حياتي. وفي تلك السنة يوم شهد نهاية طفولتي.

الحمام

استيقظتُ في ظلمة الفجر عند الساعة الرابعة. وكان شهر مايو (ايار) في ايامه الاخيرة، لكن الصباح حمل معه رعشة برد. ومررتُ امام غرفة والديّ على رؤوس اصابعي، من غير ان أدري ان بابها مفتوح جزئياً. وفجأة ناد تني امي بحنان هادىء.

غير اني اكملتُ طريقي عبر درجات السلم المظلمة الى المطبخ حيث أشعلتُ النور. وتبعتني امي الى هناك بشعرها الاشعث والتجاعيد حول عينيها وفمها، وكانت هذه تظهر عادة في الصباح او بعد نوبة بكاء. واذكر ان جدّي اخبرني مرة ان الامهات يبكين ليلا ويتركن الابتسام للنهار. لقد كان جدّي احياناً ينطق عبارات شعرية غريبة. وهو اراد يوماً ان يكون أديباً او شاعراً.

رمقتني امي بابتسامة من عينيها الناعستين وازاحت الشعر عن عيني. وهمست: "انه يوم رائع. لكنني لا أعرف البتة لماذا ينهض الرجال البالغون قبل بزوغ الفجر او في منتصف الليل ويتبعون سرباً من الطيور."

وأضافت وهي تتبعني الى الباب: "حافظ على دفء جسمك." ورفعت ياقة سترتي الى اذني وقبّلتني.

وانطلقتُ الى بيت جدّي الذي يفصله عنا نحو ثلاثة ارباع الكيلومتر.

وفي طريقي شاهدتُ مجموعة بنفسج على جانب الطريق، فاقتلعتُ بعضاً منها وأعطيتُها لجدّي من غير تحفّظ. وهو الذي علّمني ان الجمال واحد، وليست له قوانين تخص الذكور واخرى تخص الاناث.

وتناولنا معاً الشاي المعطّر الذي لا نشربه في بيتنا على الاطلاق. ثم ذهبنا الى بيت الحمام وحملنا ثلاثة فراخ هي جيني ومونبيم وديكنز ووضعناها في سلة ذات ثلاثة جيوب. وتركنا الباب مفتوحاً ذلك اليوم، متيحين للحمائم حرية التحليق والتنقل حيث شاءت. وانطلقنا في سيارة جدي ومعنا الطيور الثلاثة.

وكان هواة تربية الحمام بدأوا التوافد الى مبنى اتحاد روشستر الامريكي لسباق الحمام. ووصلنا في السادسة والنصف صباحاً وقد غصّت غرفة النادي بالناس. وامتلأ هواء الغرفة برائحة التبغ والقهوة.

وكان الرجال، وبينهم قلة من النسوة، يتزاحمون بالمناكب ويتحادثون بمودّة ويتفاخر كل منهم بالحمائم التي يقتنيها. وكان حديثهم بسيطاً، لكنه غريب احياناً. وسمعتُ احدهم يقول:

"لقد كانت حمامتي المفضلة. كانت تهزّ ذيلها على الدوام وتحب التمرّغ في الوحل، كما تؤثر التحويم بعيداً قبل الاياب. غير اني وضعتُ املا كبيراً فيها. وكانت عند حسن ظني بها في العام التالي، اذ فازت في سباق الـ٣٠٠ كيلومتر والـ٥٠٠ كيلومتر."

وأدركت ان الرجل يتكلم عن حمامة منحرفة الذيل، مكتنزة الكتفين، ملوّنة الريش، أرهقه تدريبها في السنة الاولى لانها كانت تغادر السرب، لكنها باتت حمامته المفضلة بعد فوزها في السباق.

ومن العادات السيئة لدى الحمام تحويمه بعيداً بدلا من العودة مباشرة الى بيته. والحمائم المنحرفة على هذا النحو لا تصلح للسباق او للتناسُل. والمربّون يضطرون الى ذبحها لا رغبة في القتل، بل حفاظاً على سلوك الحمائم الاخرى.

ومن قصص الهواة ما أثار الغيظ في زملائهم. ومنها القصة التي رواها جدّي قائلا انها تعود الى العام ١٩٣٠. ولم تكن ثمة حاجة الى ذكر التفاصيل، لكن جدّي اصر على ذلك. وقال بلهجته البلجيكية الوالونية:

"تعرفون ان سرعة الطائر تُقاس بدءاً باطلاقه وانتهاء بفك الربطة المعدنية من ساقه ووضعها في الساعة التي يحملها المدرب. وبعد حساب المسافة الفضائية بين نقطة الانطلاق وبيت الحمام، يُجرى حساب السرعة في الدقيقة."

وتمتم السيد فوكيت العجوز: "أنحتاج الى دروس في هذه المسألة؟" وكان فوكيت، بالاضافة الى، افضل صديق لجدّي في العالم.

وتابع جدّي: "في احد نوادي السباق..."

فقاطعه فوكيت: "اي ناد هو هذا؟"

ووضع جدي اصبعاً تحت عينه وأغمضها كما لو شاء ان يخفي سراً". وأضاف: "كان هناك رجل اسمه ديغان او ديتون او داغان او ما شابه، وكان يملك ذكر حمام اسمه سكيتر او تويتر او جيتر او ما شابه."

قال فوكيت: "ان ذاكرتك رائعة."

ـ اجل، أنا انسان متعقل... لقد أُشرك الطائر في سباق الـ ٨٠٠ كيلومتر. وكانت الجائزة الاولى مئة دولار. أما سكيتر...

"او جيتر او تويتر او ما شابه."

ـ فقد جاء الى ديغان.

"او داغان او ديتون أو ما شابه."

ـ الذي كان ينتظره في بيته... أجل، لقد بلغ الطائر بيته في الوقت المناسب لنيل الجائزة الاولى، لكنه رفض الدخول.

ترى اي منا، نحن الهواة، لم يقف على اعصابه وهو ينتظر عودة طائره الى العش ثم دخوله الذي يسجل نهاية الشوط؟ ومن منا لم يخسر سباقاً او اثنين بسبب طائر سيىء الطباع؟

وتابع جدّي: "نحن في العام ١٩٣٠، والركود الاقتصادي في اوجه، وصاحبنا الهاوي بلا عمل ولا مال كي يسدّد حساباته، وها هو الطائر اللعين يعذبه في اللحظات الحاسمة الاخيرة التي تفصله عن كسب المئة دولار. ولم يحاول القبض على الطائر ووضعه في مكانه خوفاً من ان يطير. وكانت كل ثانية تقصي عنه المبلغ المنشود."

وأشعل جدّي غليونه وقد خلق جواً من الترقّب لدى المستمعين.

واخيراً سأله فوكيت بإلحاح: "وماذا

حصل بعد ذلك؟" طرح فوكيت السؤال على رغم سماعه الرواية مراراً.

وأضاف جدّي: "عاد الهاوي الى بيته حيث كان يحتفظ ببندقية رش. فأخرج الآلة من مكانها وحشاها بالخردق، ثم عاد الى بيت الحمام ورمى الطائر الذي سقط في العش. وانتزع العلامة عن ساقه ووضعها في الساعة، ثم قبض قيمة الجائزة."

وسأله فوكيت: "لماذا سترت جريمته؟"

– من انا كي أحكم على القسوة التي تدفعنا اليها الحاجة؟ لقد كانت لذلك الرجل طريقه. وليس لي ان أُصدر حكماً على طريقة اجتيازه تلك الطريق.

قال جدّي هذا وهو ينظر الي. والواقع اني تعلمتُ الكثير منه عبر الحكم والامثال. وهو كان يحب ان يروي القصص كما أُحب انا الاصغاء اليه.

وكان حديث الحمام يملأ النادي ويشنف اذني.

وسأله هاو آخر هو جون بورلي: "ماذا تقول يا بودوم؟"

– ماذا اقول عن اي شيء؟ أتعرف حفيدي يا جون؟

"أجل، أعرفه... أأنت مشترك في السباق يا هيو؟"

وأجبتُه: "نعم، وطائري هو ديكنز."

وهزّ جون رأسه، ثم التفت الى جدّي وكرّر السؤال: "ماذا تقول عن استخدام طريقة الطائر المترمل بالنسبة الى المسافات القصيرة؟"

– لا تتبع هذه الطريقة! فهناك قسوة وحماقة في تعريض الطائر للهياج الجنسي ثمّ حمله بعيداً عن أُنثاه... ماذا تقول يا جون اذا دخلوا عليك في ليلة باردة وحملوك بعيداً عن هارييت ودفء السرير؟

ولما قال جدّي هذا، ضحك الحاضرون كلهم وقد راقهم ما سمعوا.

اما طريقة الطائر المترمل فتقضي بإبعاد الذكر عن انثاه ثلاثة ايام او اربعة قبل موعد السباق، على ان يُحجَز منفرداً. وقُبيل نقله الى منصة الاطلاق يؤخذ الى الانثى في زيارة قصيرة. وهناك يباشر الدوران حولها وتملقها، لكنه سرعان ما يُحمَل بعيداً. ويدفعه شوقه القوي الى التحليق بأقصى سرعته خلال المباراة.

وقال جدّي بعد إبداء رأيه: "ان كثيراً من تلك الذكور المفصولة تفقد توازنها الطبيعي. وهذا الاختلال يلازمها بقية حياتها."

ثم سأله جون: "وما رأيك في طريقة اثارة الغيرة؟"

ونظر جدّي الي وقال: "لقد جرّبها هيو على طيوره قبل وقت قصير... ماذا تقول يا هيو؟"

انّ هذه الطريقة تختلف من حيث تنفيذها عن الطريقة السابقة. هنا يعزل الذكر في مكان يرى انثاه منه، ويوضع ذكر آخر مع الانثى. وتولّد الغيرة لدى الطائر انجازاً رائعاً خلال السباق، وقد أذكت اوارها التعاسة والخوف والغيظ.

وقلتُ وانا أحاول تقليد جدّي في الاقتضاب: "لا تتبع هذه الطريقة ايضاً. فهي لا تجدي الا مع الطيور السريعة الغضب."

ونظر جدّي الي بعينين نصف مغمضتين، كأنما أراد ان يقول: "اذا شاء هؤلاء الاصحاب ان يعرفوا شيئاً عن الحمام، فهم يأتون الى آل بودوم."

موهبة خاصة

سأل احدهم جدّي: "كم طائراً ستطلق يا بودوم؟"

قال: "ثلاثة: جيني، مونبيم، ديكنز. وهذا الاخير يخص حفيدي هيو."

فأضاف الهاوي: "انا سأطلق ١٢ طائراً."

"هذا عظيم جداً"، قال له جدّي، "ولكن هل ستحلق طيورك كلها؟"

وعلا الضحك بين الحضور. ونظروا كلهم الى جدّي بودّ وإعجاب. ولكم راقني ان أرى المربين والمدرّبين الذين يملكون مالا اكثر وبيوت حمام اكبر يقصدون جدّي للاقتداء به في الامور المتعلقة بعلم الحمام وفن السباق الخاص به.

وجاء صوت من الطاولة الكبيرة حيث جلس أمين النادي: "بودوم!" وهزّني جدّي كي أذهب الى مصدر الصوت. وهناك سُلّمت ساعة اوتوماتيكية مختومة، مع ثلاثة أغلفة معدنية. وكلما عاد طائر الى بيته، يجب فك الربطة عن ساقه وطيها ووضعها في الغلاف. ومن هناك تدخل تلقائياً في الساعة التي تسجل الوقت بدقة. وقد مهر ثلاثة اعضاء من ادارة النادي جميع الاختام بإمضاءاتهم منعاً لاي تلاعب. ذلك ان السباق الذي كنا نخوضه لم يكن عادياً، وانما كان سباقاً على ٩٥٠ كيلومتراً.

وُضعت الطيور في صناديق الشحن بعد ترقيم كل سلة بالطبشور. وشكا مونبيم امره قليلا، لكن جيني كانت سهلة القياد كعادتها. وفي اللحظة الاخيرة نظر ديكنز الي وراح يصيح بأعلى صوته. ومددت اصبعاً الى رأسه وأنا انفش ريشه ثمّ أصففه من جديد.

ونظرتُ الى جدّي لأرى اذا كان راضياً عما أفعل، فقال: "انه سيتدبر امره. لقد كان هذا الطائر جيداً وهو داخل البيضة بعد!"

وتذكرت المجامعة التي أدّت الى مجيء ديكنز. لقد اختير الذكر والانثى على امل انجاب طيور تصلح للمسافات الطويلة. وتمت الخطبة وسط محادثة بين رجل في السبعين وفتى في السادسة.

وراحت يدا جدّي اللتان صبغتهما الايام بلون جذوع السنديان تربتان جناحي الانثى، وهي الليدي فاليانت. ولم تقاومه الحمامة. بل سلمت جناحيها الى اصابعه الرفيقة.

وقال جدّي: "أرأيت يا هيو؟ انها تطيع بلا تذمّر. وهذا يعني ان علينا مزاوجتها بذكر يقاومنا لدى فتح جناحيه."

وأجبته على الفور: "هناك ستاركروس الذي له هذه الصفة."

– هذا صحيح. الا ان ستاركروس طويل وعريض، في حين ان الليدي فاليانت قصيرة وثخينة. وليس من الحكمة المزاوجة بين جسدين مختلفين الى هذا الحد.

"ماذا تقول عن انجل؟"

– انه افضل. والحق انه يهوى قطع المسافات. لنأتِ به اذاً.

ولما احضرناه، وجدنا ان عينيه قاتمتان كعيني الليدي فاليانت. عندئذ سألني جدّي: "أتعتقد انه افضل ان نزف الانثى ذات العينين القاتمتين الى ذكر ذي عينين فاتحتين؟"

وفكرتُ في الامر ملياً. وقد تعلمت من جدّي الا اتسرّع في الاجابة عن الاسئلة الحاسمة. واخيراً قلت: "اني لا أعتنق هذا المبدأ."

ووقفتُ أُراقب بإعجاب المزاوجة التي تمت بين انجل والليدي فاليانت عندما وُضعا في قفص واحد. لقد اقترب الذكر من الانثى، فجمدت مكانها وهي تنظر اليه بحذر. وانحنى ونشر ريش ذيله وجناحيه وأخذ يدور على قدم واحدة كراقص باليه. ولما استجمع القوة والجرأة، حاول ان يضغط جسده على جسدها. واذ لم يجد منها مقاومة ظلّ يتودّد اليها بأصوات عذبة.

وفجأة بادلته الليدي فاليانت الغزَل بالمثل، وكأنما شاءت ان تستسلم له بعنف. وتراجعت خطوة او اثنتين وهي تهزّ رأسها، ثم عادت نحوه بحماسة لا تقل عن حماسته. وأدخلت منقارها في منقاره واستغرقا في قبلة طويلة لم يقطعها سوى حاجتهما الى التنفُّس. ودارت وأقعت وسلمت نفسها. وهكذا تمّ التزاوج الذي قُيِّض له ان يدوم مدى الحياة اذا لم يقطعه حادث قاهر.

وبعد عشرة ايام وضعت الليدي فاليانت البيضة الاولى من اصل اثنتين. نزلت البيضة الثانية، وهي التي راهنتُ عليها والتي حملت ديكنز، في الثانية عصر اليوم التالي. ولئن يكن صحيحاً ان الحمائم كلها كانت لجدي ولي معاً، الا ان الملكية بالنسبة الى الصغير تأتيه عن طريق الكبير بحيث لا يشعر انها له حقاً.

لكن تلك البيضة كانت لي وحدي. ورحتُ أنظر اليها في بياضها العاجيّ الناصع. وكنتُ على يقين من انها اكبر من سابقتها، وان لم تكن اكبر كثيراً. لكن ذلك كان كافياً كي اشعر بالتفوّق. ولولا خشيتي من ضحك جدّي عليّ، لقلت ان تلك البيضة التي تخصني كانت تلمع قليلا، وانها كانت مسحورة.

في تلك الايام كنت اجلس وجدّي قرب بيت الحمام نصغي الى هديله الناعس تحت حرّ الشمس. وهناك كان جدّي يسرد عليّ قصصاً من التاريخ، منطلقاً من اهتمامي بالحمام.

كان جدّي في نحو التاسعة من عمره خلال الحرب الفرنسية ـ البروسية. وكان في تلك السن من هواة تربية الحمام الذين يعرفون كل شاردة وواردة عن تلك الطيور. وامتلأت صفحات الجرائد البلجيكية

بالاخبار عن حصار باريس. وقبل وصول الالمان الى اسوارها، تلقت المدينة ٨٠٠ رأس حمام من نواد في شمال البلاد. واعتادت الحمائم بيوتها الجديدة وأصبحت تؤوب اليها بعد كل رحلة.

وعُزل سكان باريس عن العالم، ومنعهم غياب وسائل الاتصال من معرفة تطوّرات الحصار. وفي صبيحة يوم من سبتمبر (ايلول) ١٨٧٠، غادر المنطاد "نبتون" المدينة محمّلا بالرسائل الرسمية والمدنية. لكن المسؤولين لم يعرفوا مصيره. لذلك تقرر تحميل المنطاد التالي "فيل دو فلورانس" بالحمائم التي يمكنها ان تعود ومعها الاجوبة.

وهكذا حملت المناطيد الستون التالية التي أُطلقت من باريس بعد ذلك الوقت ما يزيد على ٨٠٠ طائر حمام زُوّدت بالرسائل في ذهابها وإيابها. وفي الشتاء القاسي من تلك السنة، كانت الارض مغطاة بالثلج معظم الوقت، مما أربك الطيور لدى عودتها. وضلت حمائم كثيرة طريقها وسقط بعضها تحت وطأة العوامل الجوية والبعض الآخر ببنادق الصيادين في الارياف.

ولدى سماعي تلك القصة للمرة الاولى انهمرت الدموع من عيني، على رغم اعتقادي ان البكاء علامة ضعف. ووضع جدّي يده في يدي وناولني منديلا نظيفاً من جيبه كي أمسح به دمعي.

وخفف عني قائلا: "لا عليك يا عزيزي هيو! ان تلك الطيور الباسلة تستحق ثناءنا على هذا النحو."

بتلك الطريقة اعانني جدّي على اقامة علاقة انسانية بيني وبين الطيور. وبتُّ على قناعة بأن الحمام يطير ليس بدافع الغريزة، بل استجابة لنا. وهذه الطيور تبلي حسناً في السباق لان كرامتها عزيزة عليها.

وشعرتُ، وانا أجلس في ذلك المكان نفسه بعد تلك السنوات الطويلة، اني اكتسبتُ قوة نفسية متجدّدة. لقد غدوتُ طفلا من جديد، وسلمتُ حواسي الى عالم مسحور يجوز فيه حدوث أي شيء.

الحياة الثمينة

بقيتُ وجدّي في النادي حتى خُتمت الطيور وحُملت في الشاحنات التي توجهت بها نحو نقطة الانطلاق في هيلزبورو، وهي بلدة من اعمال ولاية ايلينوي تبعد ٩٥٠ كيلومتراً. وراودني هاجس الانفصال عن طيور أحببتُها ولن اسمع خبرها الا بعد ايام.

وسألني جدّي ونحن نخرج نحو سيارته: "أهناك ما توّد فعله هذا النهار؟"

- ثمة عمل نقوم به في بيت الحمام.

وضحك جدّي وقال: "السباق لم يبدأ بعد. أتظن ان في امكانك الانتظار اياماً بلياليها خارج بيت الحمام؟ ان امك ستسلخ جلدي اذا حصل هذا. ولكن دعنا قبل كل شيء نسدّ رمقنا."

وانطلقت السيارة في محاذاة نهر جينيزي نحو بيت جدّي. وهو ظل صامتاً بعض الوقت. ثم لاح لنا منزله، فقال: "الجسد لا يرتاح الا بالاياب الى بيته. أليس هكذا؟"

وأدركتُ حب جدّي لمنزله الصغير، بفنائه الخلفي والساقية المترقرقة هناك، لبيت الحمام والاشجار والحديقتين الصغيرتين اللتين غرس الاعشاب العطرية المغذّية في احداهما والخضر في الاخرى.

وبلغنا المنزل واتجهنا فوراً نحو بيت الحمام. وكانت الطيور في مواضعها بإرادتها. وأوعز اليها جدّي بأن تخرج من مخابئها، فتجمعت خارجاً ثم طارت كلها معاً. وملأت الفضاء وقد تلاصقت اجنحتها وعلا هديلها. وأتلعت عنقي لأراها في الوانها البيضاء والرمادية والزرقاء. وخفق قلبي بهجة. ترى: أيمكنني الضجر من منظر كهذا؟ وتقدّمت بضعة خطوات الى جدي الذي كان ينظر الى البعيد كما يفعل البحارة وسكان السهول.

وتدفق الحب في قلبي وادركت ان جدّي يعاني مشاعر مماثلة، انه هو الآخر لا يمكنه الضجر من منظر كهذا. واخذت يده فقال لي: "لنترك الطيور تلهو كما تشاء ونتناول الطعام."

ودخلنا المنزل من ناحية المطبخ، وفي غرفة خلع الاحذية نفضنا عنا الغبار. ثم دخلنا المطبخ التقليدي الذي ملأته اشعة الشمس. وكانت امي لا تضع الستائر الا منشّاة، فيحتج جدّي على تلك اللطائف الانثوية.

وطالما كانت تحاول اثارته بقولها: "اتتظاهر بأنك اعزب دهر وقد عشت خمساً وثلاثين سنة من الحياة الزوجية؟"

لكنه كان يجمجم تعبيراً عن سخطه. وبعد مغادرة امي وقد خلّفت شيئاً من عطرها الانثوي في الغرفة، كانت تهدأ ثائرته وتتألق عيناه. اما انا فكنت اعرف انه يفكر في جدّتي جيني وفي الوقت الذي سكنا فيه ذلك المنزل للمرة الاولى وليس لهما الا سرير وطاولة وبعض الكراسي. ترى لو عادت اليه الآن صبية مفعمة بالحياة، ذات شعر كسنابل القمح كما وصفها لي مراراً، أكان يأسرها بين ذراعيه القويتين ويمنحها قبلة الحياة الثمينة كما يفعل ابي وامي بين وقت وآخر؟

وكنت اسعل او أُصدر صوتاً آخر لاعادة جدّي من الماضي الى الحاضر، وقد عانيت الغيرة من ماض لم يكن لي دور فيه.

اما الآن فكان واقفاً عند النافذة، ينظر الى الطيور وقد هبّت نسمة من النهر. وسعلتُ لأقطع حبل افكاره، فهزّ رأسه وابتسم. ثم ذهب الى بيت الثلج وأخرج رأس بندورة (طماطم) كبيراً وبعض الخس، وقلى شرائح لحم وقطّع الخبز وحمّصه. وأحضر بعض التفاح وزجاجة حليب، فيما تناولت كوبين من خزانة الشراب قرب المغسلة.

وجلسنا نأكل معاً وقد غمرتنا البهجة والرفقة وأخيلة الحمام. وتناولنا طعامنا بصمت كما يفعل الاصدقاء القدامى.

وما ان شرب جدّي الجرعة الاولى من الحليب البارد اللذيذ حتى رفع يده الى شعره وصرخ كما لو تلقى ضربة على رأسه: "يا الهي!" وسقط كوب الحليب من يده وانسكب على غطاء الطاولة. وحاول جاهداً ان يبقى منتصباً في مكانه، على كرسي بلا ذراعين، وهو ينظر الي علّه يحصل

على جواب عن سؤال مهم. وما لبث ان خسر المعركة وسقط بثقله الى الارض.

العاصفة

احسستُ ضعفاً في بطني ورجلي. وحاولتُ ان اتحرّك فلم استطع. وكنت احمل كوب الحليب بين يدي. وظل ذاك الشلل المذهل يكبّلني لحظة بدت طويلة، قبل ان أضع الكوب على الطاولة وأغرق في بكاء مرّ. وهويتُ عن مقعدي وجثوتُ على ركبتي بالقرب من جدي وانا ابكي لما أصاب الرجل العجوز. واخذتُ يده الكبيرة بيدي كمن يقبض على عصفور خوفاً من فراره.

وتفحّصتُ وجهه، فوجدته منحرفاً الى ناحية واحدة وقد انطبقت احدى عينيه فيما انفتحت الاخرى بترقّب وذهول. واضطجع على الارض وراح يحرّك احدى رجليه بضعف محاولا ان يستعيد كرامة جسده. وهم بالكلام، فخرجت من فمه أصوات مختلطة غير واضحة دفعتْ خوفي الى اقصاه.

وصحتُ فيه: "ما الامر يا جدّي؟"

لكنه أجابني بعينين ترجوانني ان افهم ما يريد. وأجهد عينيه في اتجاه الهاتف وقد بات وجهه اكثر مدعاة الى الخوف.

وأدركت ما يبغي، فذهبت لتوّي الى الهاتف وخابرت والدي في مكتب الصحيفة حيث يعمل. لكنهم قالوا لي انه ترك ليتناول الغداء. ثم خابرت محل رادنز حيث تعمل امي في قسم المحاسبة. وأصغت الي وانا أصف ما حلّ بجدّي. وقالت لي بصوتها المطمئن ان أنتظر ريثما تجيء.

ودخلتُ غرفة نوم جدّي ورفعتُ عن سريره وسادة وغطاء عدت بهما الى المطبخ لأرى عينيه مغمضتين وقد علت أنفاسه. ورفعت يده الواهية مرة اخرى ووضعتها على صدري. ورحت افكر في ديكنز.

لقد وضعت الليدي فاليانت بيضتها الاولى بسهولة. وكان انجل يدخل عليها من وقت الى آخر ويجلس فوق البيضة. ولكن بعد وضع البيضة الثانية، لازم انجل العش وحضنا البيضتين سوّياً. وكنت امضي وقت فراغي بعد المدرسة أراقب العملية في انتظار فقس البيضتين. وقال جدي لامي آنذاك ان الليدي إنجل لها ثلاث اخوات هن امي وانجل وانا.

وفي اليوم السابع عشر ظهرت البوادر الاولى للفقسة، وهي ثقب صغير في منتصف البيضة. وحصل ذلك للبيضتين في الوقت نفسه تقريباً. وكان علامة حظ بالنسبة اليّ لانه جاء قبيل عيد ميلادي السادس. وكانت ولادة طائري الخاص يوم ميلادي بالذات تعني انه طائر فريد في كل شيء.

وصبيحة بلوغي السادسة هرعتُ الى بيت جدّي حيث وَجَدتُه نائماً في كرسيه الهزّاز أمام المنزل. وأيقظتُه وانا أناديه وأشدّه بقوّة.

وذهبنا نراقب البيضتين وهما تهتزان وترتجفان. ورفع جدّي البيضة التي تخصني وأدناها من اذني لأسمع صوت الحياة ينبعث منها.

وفَقَسَت البيضتان قبيل الظهر، في حدود الساعة التي وُلدتُ فيها قبل ست سنوات. وصببتُ اهتمامي على الفرخ الذي لي. وكان عارياً من

الريش، لكنه رطب وفيه بعض زغب.

وابتسم جدّي لما رآه يكسر البيضة ويخرج، وسألني: "ماذا تريد ان تسميه؟"

وفكرتُ ملياً في تلك المسألة التي تعني لي الكثير. وكان جدّي، في تلك الآونة، يقرأ عليّ قبل النوم مقاطع من كتب تشارلز ديكنز "اوليفر تويست" و "ديفيد كوبرفيلد" و"الصرصور على الموقد." فقلت له: "سأدعوه ديكنز."

ووافقني قائلا: "حسن! اسم مناسب."

ذلك المساء أخذني والداي الى بيت جدّي للاحتفال بعيد ميلادي. ولما هنأني هنأ ديكنز في الوقت نفسه.

وأُديرت المرطبات مع الحلوى والهدايا. وأهدى اليّ جدّي عربة حمراء كبيرة تدور على عجلات ولها جوانب خشبية. وكان هيكلها المعدني مكسوّاً بالمينا الصقيلة، كذلك أغطية عجلاتها. وهي تحمل رسم جناحين أصفرين علامة مميزة لها.

وقال جدّي وهو يسلّمني الهدية: "انها عربة مفيدة ومسلية في آن. وفي إمكان هاوي الحمام ان يحمّلها طيوره، بعد وضعها في سلالها، إذا شاء نقلها من بيتها الى موضع التدريب."

وأضاف أبي: "انها من الضخامة بحيث تتسع لشخص يفوق هيو بضعفين."

ورمقني جدّي بعينيه الزرقاوين الصافيتين وسأل: "أيمكنك ان تجرّها يا ولدي؟"

وأجبتُه بعد تفكير: "أجل، بمساعدتك يا جدّي."

كانت تلك الذكريات مصدر عزاء لي وأنا قابع بالقرب من جدّي المبتلي. ونظرتُ الى بحيرة وينيبيغ في مانيتوبا، فاذا بالنسائم تحرّك الامواج الصغيرة على سطحها. ومع مرور الدقائق قوي الهواء وأخذت الامواج تتلاطم من ضفة الى اخرى.

وعرفتُ من الغيوم المتلاحقة في طبقات الجوّ العليا ان الرياح العالية كانت تتحرّك بسرعة تفوق سرعة الرياح المنخفضة. وفي ذلك علامة على ولادة عاصفة. وأدّت حرارة الشمس الى تبخّر الماء وولّدت تيارات ناقلة للحرارة. ومع ارتفاع الهواء الرطب من البحيرة مئات الامتار، تكوّنت الغيوم التراكمية الضخمة. وبدأ الجوّ يضطرب والريح تهبّ الى الجنوب الشرقي.

معنى الحرّية

لم أفهم الا قليلا من الحديث الذي دار بين طبيب العائلة ووالديّ. وجلستُ في ركن من ردهة المستشفى وأنا أشعر بالضياع ولا أصدّق ما حدث. وقد راودني دافع الى البكاء، لكني لجمتُه خوفاً وحياء. وراح الدكتور ساند يهمس لوالديّ كلمات متعلقة بتخثّر الدم حول الدماغ وبنزف الدم حول الغشاء الدماغي. وأوضحُ ما قاله الطبيب كان الآتي: "ليس ممكناً بعد ان نشخّص حاله ونصف ما حلّ به."

اما انا فكنتُ متأكداً من امر واحد، وهو ان جدّي تعرّض لاهانة جسدية ومعنوية اسمها السكتة

الدماغية. وها هو الآن في سرير غريب لا يخصه، الامر الذي آلمني كثيراً. وطالما افاض جدّي في الحديث عن متعة خلود المرء الى سريره. وهو أمضى سنوات يعمل في البيع ويجول في انحاء البلاد ويأوي الى أسرة غير مألوفة. ومرّة قال لي: "اذا كان ثمة علامة تميّز الانسان المتحضر، فإنما هي حقه وامتيازه في إلقاء رأسه على السرير الذي اعتاده وبات جزءاً منه." وفي رأيه ان السرير اهم ما يميز البيت، وانه محور الحياة. وهذا يصحّ على معظم المخلوقات.

وبعد انقضاء نهارين وليلة ازدادت المخاوف العائلية. ولم أكن معتاداً تلك المواقف. فالمرض زائر غريب بالنسبة الى آل بودوم.

وفتح جدّي عينيه. ولهنيهة خُيِّل اليّ اني اقرأ الرعب والاضطراب فيهما. ثم تحوّلتا اليّ كما لو كانتا تخاطبانني.

وانحنت امي فوق جدّي وحاولت ان ترفعه قليلا. وجاء ابي عن النافذة كي يساعدها. عندئذ أطبق جدّي عينيه، وعرف والدي انه لا يريد لهما القلق على حاله. واخيراً قالت امي: "حسناً يا ابي، فليكن ما تريد." وانسحبت.

وعاد جدّي يوجه أنظاره اليّ، فذهبتُ الى السرير ووضعتُ يده في يدي. وحاول الكلام، فبدا صوته أشبه بصوت حيوان جريح. وكان ذلك مثيراً للشفقة.

وما لبثتُ ان أدركت رسالة جدّي: "السباق يبدأ صباحاً يا هيو. وطائرك ديكنز سيكون الفائز." فهمتُ ذلك على رغم ان الاصوات التي تفوّه بها جدّي كانت بعيدة جداً عن هذا المعنى. لقد أحب واحدنا الآخر حتى بات يفهمه بلغة الايماء. وهززت رأسي وشددت على يده وانا أقول: "سأقوم مع الشمس يا جدّي. وسآتي لأخبرك عن وقت إطلاق الطيور وعن الاحوال الجوية وكل ما يتعلق بالسباق."

ارتقى أعضاء ادارة النادي المنصة فيما كانت الحمولة تنزل من العربات. وفتحت السلال وأطلقت الطيور في لمعان الصباح. واندفع ٤٢٦ طائراً الى الفضاء، وباتت تشكل زمراً لدى ارتفاعها الى نقطة أعلى من رؤوس الاشجار.

إن الحمائم الطائرة تسعى الى رفقة أفراد من جنسها. وهذا دافع طبيعي قوي لديها. وعلى المدرب ان يبتكر وسائل لتحرير طيوره من هذه العادة. فالطائر السريع، لدى عثوره على سرب من جنسه، يتباطأ ويخسر السباق.

أما الطائر المثالي فهو الذي يسعى الى الارتفاع ويتغاضى عن السرب،

ثم يختار أقصر طريق الى بيته. وطائري ديكنز من هذا النوع. فهو كان يحلق عالياً فوق الطيور مثل سهم خفيف الحركة. وكان يتلمس طريق عودته سريعاً في طيات الهواء.

لقد بدأ تدريب ديكنز وهو لم يبلغ اسبوعه الثامن. وكنت احمله على راحة يدي وارفعها حتى يواجه رأسه أعلى ذراعي. وفي جولة التدريب الاولى حملته على هذا النحو وحمل جدي الطائر الآخر سكرودج، رفيق ديكنز في عشه. وملأنا ثلاث سلال بفراخ الحمام ووضعناها في عربتي الحمراء وانطلقنا الى مكان غير بعيد حيث باشرنا تدريب تلك الطيور.

وقال جدي فيما كنا نجر العربة ويحمل كلّ منا طائره: "اليوم تبدأ مسؤولية ديكنز تجاه نفسه. إنه لم يختبر سوى الحرية. وهذا عظيم. غير ان بعض المخلوقات، أعني بعض الناس، لا تعرف معنى الحرية."

وسألته: "أليست الحرية حقك في أن تفعل ما تشاء؟"

– تعني في أي وقت، ودونما اكتراث؟

"اكتراث لأي شيء؟"

– لتحصيل خبزك ومعيشتك بصحبة الآخرين...

"أتعني الواجبات اليومية يا جدي؟"

– أقصد أن تفعل ما تستطيعه حين يمكنك ذلك، وأن تشق طريقك بنفسك.

"إني لا أزال صغيراً يا جدي بالنسبة الى شق طريقي."

– حقاً يا ولدي. إلا ان ديكنز، على حداثته، سنعلمه الآن أن يطير في وقت معين، كما سنلقنه بعضاً من الحرية التي يقدر عليها.

"اننا نريد تلقينه ان يعود الى بيته. أليس كذلك؟ فنحن لا نريد له أن يطير بحيث لا يرجع."

– أجل. فهو قد يذهب ولا يؤوب. وعلينا أن نختبر ارادته في العودة الى بيته. فهذه الارادة من علامات الحرية. والكائن الحي يعود الى بيته للخير الذي ينطوي عليه ذلك البيت. وكل مخلوق ينبغي ان يعطى حرية ارتياد السموات العُلى حتى حدودها.

"وهل بحثت عن حدود السموات يا جدي؟"

هنا ابتسم جدي بهدوء وراح ينظر بعيني بحار ويتكلم من غير أن ينظر الى مكان معين:

"الخمسون هي سن اختبار في عمر الانسان. الصبايا يدعينك "سيدي" ويقبلنك في زاوية فمك من غير تلبّث هناك. لكنهن أحياناً يطلن البقاء في تلك الزاوية كما لو اكتشفن فيها الفتى الذي كنته يوماً.

"لقد كنت في الثالثة والخمسين، اقاوم الهموم التي تراكمت علي عبر نصف قرن. وكانت عماتك تزوجن وابتعدن عني، كما تزوج والدك، وفتح بيتاً خاصاً به. وكان لي عملي بالطبع. غير أني، ما أن أؤوب الى المنزل في عطلة نهاية الاسبوع، حتى احسه مقفراً وكئيباً عصر السبت وطوال الاحد. ولم يكن لدي ما يسيلني في وحدتي، الى أن صنعت جدتك عشاً صغيراً للحمام وأعطتني إياه بعدما وضعت فيه ذكراً وانثى."

وقاطعته قائلا: "هذا عظيم."

– اجل! لكني قاومت الفكرة بادىء

الامر، واخذت اجازة من عملي ورحلت الى الجانب الآخر من الجبل.
"إلا أنك عدت الى البيت."
ـ نعم، وبسرعة فائقة. فالابتعاد عن البيت لم يعد يلائمني. وهكذا بت كطائر حمام: حراً في ان أطير بعيداً، أما سعادتي فكانت في الاياب.

الصقر

بلغنا منتصف حقل التدريب حيث كان العشب يغطي جدي حتى الركبتين ويغطيني أنا حتى الخصر. هناك فتحنا السلال واعتقنا الطيور. أما ديكنز وسكرودج فأطلقناهما من يدينا. وقال جدي: "انظر اليهما ينطلقان بجلبة كما الاولاد من مدرسة. ثمة حاجة الى تعديل هذه العادة لديهما، عادة الانضمام الى السرب."

واخبرني عن المرة الاخيرة التي عاد الى البيت، كطفل بالغ يؤوب الى عشه الآمن. لقد ذهب عندئذ الى بيت الحمام حيث شاهد عشرة طيور وأكثر تجثم باختيال أمام الباب.

وخرجت اليه زوجته جيني وهي تقول: "انها جلسة جميلة للطيور. أليس كذلك؟"

ـ كنت أظن أنك تفضلين الكناري المغرد الذي تقتنين!

"الكناري طائر بيتي لا يمكن اطلاقه من محبسه. أما هذه الحمائم فيمكن، بل يجب، اطلاقها من وقت الى آخر. ومن النادر جداً ان تذهب بحيث لا تعود."

ـ أتحاولين أن تعلميني عبرة ما؟

وما أن قال هذا حتى قبلته جدتي على خده وهي تضحك.

لكن جدي الآن حبيس جسد لا يستجيب لارادته. ولدى دخولي غرفته ووقوفي وراءه، أصدر صوتاً يحاكي صيحة قلق. وللحال وقفت أمامه ونظرت الى وجهه فاسعدني ان أرى أنه يحاول الضحك لفكرة سرته. وضحكت أنا أيضاً. بعد ذلك رفع يده اليمنى قليلا وغص حلقه بالكلام. إنه الحديث عن الطيور.

وقلت له: "لقد فهمت ما تقول يا جدي. الطيور أطلقت في السادسة والنصف هذا الصباح. وكانت الرياح خفيفة وتهب الى الجنوب الشرقي عبر سماء صافية."

وقال جدي: "قليلا وستجد نفسك منتصراً وسط لقاء حاشد في النادي." قال هذا في مقاطع طويلة مضطربة، ثم أطبق عينيه خجلا من ضعفه.

وشددت على يده ثم جثوت على ركبتي أمام السرير وخاطبته: "اواه يا جدي! يجب أن تبقى معي ولا تذهب بعيداً."

وشرق مرة اخرى بالكلام، وفتح عينيه ونظر الي. وتابعت: "إنك ستشهد حتماً نهاية السباق."

وهبت الريح معتدلة ومنعشة، بسرعة ٢٠ الى ٣٠ كيلومتراً في الساعة تتخللها عواصف خاطفة. وراحت الريح ترقص عبر بحيرة هورون وهي في طريقها الى ملاقاة هبّة قطبية باردة آتية من الشمال.

في قطاع آخر من الفضاء كانت هناك انثى صقر تعبر وادي الواباش، غرب تيرهوت في ولاية انديانا، بسرعة ٣٠٠ كيلومتر في الساعة. وكانت هي وذكرها يبسطان سلطانهما على فضاء مساحته ٢٠ كيلومتراً مربعاً في التلال وأسفل النهر

حيث تقوم أشجار حور هنا وهناك. وارتفعت انثى الصقر فوق الامواج الحرارية وقد زادت خفق جناحيها لتركب الغيم.

ولو كانت تلك الانثى على الارض، ترتاح بعض ساعات النهار في عشها أو تفتذي على طريدة قتلتها، لتجاسرت الطيور العابرة، من جميع الاصناف، على التحليق في نطاقها. أما وجودها في الفضاء فكان يبعد الطيور الاخرى عنها. فهي تتفحص كل مقدار ضئيل من جوها طولا وعرضاً علها تقع على فريسة.

وبعد ساعتين من بدء المباراة وصل ديكنز الى جوائها.

تشبث بالحياة

اخيراً تركنا جدي وحده في غرفته البيضاء وقد تسللت أشعة الغروب الواهية من نافذته. وأحسست فيها وطأة وهي تسقط على ارض الغرفة. ولا أدري اذا كان جدي اختبر شعوراً مماثلا...أم تراه كان مستغرقاً في الضربة التي اصابته او في المرض الذي أودى بجدتي؟

وتذكرت أني اخبرت كيف حاول أن يرد عنها الموت. فقد قصت علي امي ذات مرة كيف ان جدي "نسج عباءة من قوة الارادة، وأدخل عليها ترقيعات كثيرة حتى غدت كالاسمال وبها قيد زوجته أطول مايمكن."

وأخبرتني عن جدتي وهي مضطجعة على سريرها في غرفة النوم الصغيرة المشرفة على النهر، وهي تسمع الحمام يسجع عند الغسق. ولم تكن الستائر ترفع الا في تلك الساعة، لان ضوء النهار كان يؤذي عينيها.

واذ ذاك كان جدي يضمها اليه، فتتكىء على صدره وهي تصغي اليه يهمس في شعرها.

وقد دخلت امي عليهما غير مرة في ذلك الوضع المؤثر. ومرة سمعت جدي يعد جدتي بأنه سيحفظ عهده معها في الحياة وبعد الحياة.

اعود الى ديكنز...

لقد شاهدته انثى الصقر، فاستجمعت قواها للانقضاض عليه. وهبطت عمودياً وسط أشعة الشمس التي سلبته البصر.

واندفعت بقوة الى أسفل. ورأى ديكنز ظلها يحمل الموت، وقد أرخت مخالبها استعداداً للاجهاز عليه. وتلبث قليلا ثم انحرف جانباً.

ولحقت به، ففقد سيطرته قليلا. لكنه لم يرتبك أو يُصب بأذى.

وتابعت اندفاعها العنيف حتى كادت ان تبلغ الارض. وأضاعت ديكنز من مرمى نظرها، فعادت تخترق طبقات السماء حتى بلغت ارتفاع ٣٠٠ متر. ونشرت جناحيها وسط تيارات الهواء الصاعدة وراحت تبحث عن ديكنز تحتها.

أما ديكنز فكان يطير بلا احتراز، وقد تجاوز مجموعة أشجار نحو خلاء مكشوف.

وشاهدته انثى الصقر، فاستجمعت قواها وانحدرت من السماء مثل حجر ساقط.

ولجأ ديكنز الى ادراكه وبراعته، فحول اتجاهه الى مجموعة من أشجار الصفصاف

عند ضفة أحد الروافد النهرية. وهذا أحبط خطة انثى الصقر، لكنها تابعت طريقها اليه. واشتد خوفه، لكنه ثابر على الهرب منها. فالاشجار على بعد دقيقة أو أقل منه. وهناك الامان.

ودنت انثى الصقر من الارض مرة اخرى، ثم استأنفت التحليق وقد اغاظها ان تضيع ديكنز هذه المرة أيضاً.

ولم يبقَ لديكنز سوى الاشجار امامه، وكان يلزمه بعض قوة لبلوغها. وأخذت جذوع الاشجار واوراقها تظهر له بوضوح وهو يسمع اندفاع انثى الصقر وراءه.

اخيراً وصل ديكنز الى الاشجار الظليلة واختفى بين اغصانها وهكذا تحققت سلامته.

الغنيمة

اليوم التالي غادرتُ المدرسة ظهراً ولم أعد اليها. وذهبتُ الى بيت الحمام انظفه من الداخل والخارج واغير ماءه واطلق الطيور. ووقفتُ اتفحص طيات السماء عليّ أرى طيفاً لديكنز أو مونبيم أوجيني، لا لاني كنتُ انتظر عودتها في هذا الوقت السريع، بل لاني أردتُ أن أحمل أخباراً جديدة الى جدي لدى زيارتي له مساء برفقة والدي.

واتصلت بمركز النادي، فأخبرني أمينه السيد انغلند أنّ عاصفة اعترضت طريق الطيور المتبارية. وقال أن معظم الطيور عبرت الطريق قبل هبوب العاصفة، لكنّ بعضها ربما انجرف بها.

وبادرته على الفور بالآتي: "هذا يصحّ على الأسراب، وليس على ديكنز".

وسألني السيد إنغلند: "أتَوَدّ أن اخباركَ اذا بدأت الطيور طريق الاياب؟"

ورجوته أن يفعل. وفي الثالثة والدقيقة السادسة والعشرين، خابرني ليقول أنّ طائر السيد فوكيت، ويندهيل، بدأ طريق العودة. ولكن لن يُعرَف الفائز قبل وصول الدفعة الاولى الى بيوتها. إلا أنه من المؤكّد أنّ طيورنا الثلاثة لن تربح السباق لانها لم تُشاهد بعد في طريق العودة، ولأنّ بيتها هو أقرب البيوت الى نقطة الانطلاق، مما يجعله الابعد في طريق العودة.

وطفر الدمع الى عينيّ. وأنبّتُ نفسي على الاهتمام بتلك المسائل فيما جدي يعاني الآمرّين.

ووصل مونبيم الى بيته بعد ساعة، وتبعته جيني. لكنّ ديكنز لم يظهر له أثر. ووقفتُ ابكي ظناً مني أن طائري فُقد وأنّ ذلك علامة على وشوك موت جدّي.

ونقلتُ اليه الانباء السيئة عندما زرناه ذلك المساء. ونقر على السرير يدعوني الى جانبه. وأخذ يدي وشدّ عليها حتى كدت ان أصرخ ألماً. لكنّ قوته اسعدتني. وما أن ترك يدي حتى مدّتُها الى جيبي وأخرجتُ هدية حملتُها اليه.

وكانت هديتي نواة خوخ كان جدي نفسه نَحَتَ منها رسماً لقرد يقبل قردة، مصراً آنذاك على أنّ القردة تقبل بعضها بعضاً. وهو اعطاني تلك الهدية في وقت سابق، بعد تحليق ديكنز في مباراته الاولى.

وقبل اطلاق ديكنز في ذلك السباق، زاوجناه مع حمامة مترملة اسمها ثاليا. وعلى رغم أني ألفت تزاوج الحمام، إلا أني كنت أحب مشاهدة تلك العملية على الدوام، واجد فيها ما يدهش. وربما كان تفسير ذلك أن جدي، الذي يكبرني كثيراً، ما انفك هو الاخر يحب مراقبة الحمائم في مغازلتها ومجامعتها.

ووضعت ثاليا فقسة البيض بعد عشرة ايام من المجامعة. وحضن الاثنان البيض وجاءت الفراخ في وقتها الطبيعي. ولدى بلوغها اليوم الثامن، اخذنا ديكنز من العش ووضعناه في السلة، ثم حملناه الى نقطة الانطلاق ليشارك في سباق الـ٥٠٠ كيلومتر.

ثمة حمائم نادرة يمكنها أن تبلي حسناً بالنسبة الى جميع المسافات. ولكن يبدو أن ديكنز كان مؤهلا للمسافات الطويلة وحدها. وفي ذلك السباق لم يأت ديكنز في الطليعة، مما أثار حنقي عليه. وأتى جدي من بيت الحمام الى ضفة الساقية حيث كنت جالساً أغسل حزني. وكان يحمل في احدى يديه سكيناً وفي اليد الاخرى نواة خوخ جافة. وراح يحز النواة، فيصدر عن ذلك صوت حاد.

وبادرني جدي: "يبدو أن ديكنز لم يحلق حسناً".

وقلت وأنا أسمع الحزن في نبراتي: "كلا".

- ولكن أتظن أنه بذل قصارى جهده؟

"أجل، لقد فعل".

- إذاً ما الذي خسرته اذا كان ديكنز لا يزال في بيته يستعد للجولة المقبلة؟

"لقد خسرت الغنيمة".

وابتسم جدي ووضع النواة في يدي وهو يقول: "خذ هذه الهدية، لك ولديكنز معاً، فهو أنهى السباق، سواءٌ أربح أم خسر".

وهكذا وجدتني، بعد أشهر طويلة احمل الهدية الصغيرة الى جدي، تلك الهدية التي صنعها إكراماً لسباق أكمل. وحدق اليها وحاول أن يبتسم. أما أنا فقلت له: "خذها يا جدي". ولم أتمكن من متابعة الكلام.

من ناحيته، وجد ديكنز نفسه ضمن الرياح والعواصف التي حملته بعيداً الى الجنوب. وراح يشق طريقه كورقة خريف، باذلا كل طاقته ليبقى عالياً. وحلق فوق وادي نهر كمبرلاند في ولاية كنتكي وعبر الحدود الى تنيسي. وهناك استطاع ان يفلت من العاصفة العاتية وقد بلله الماء وأصابه الارهاق. وأوى الى ارض سبخة تبعد ٥٥٠ كيلومتراً عن وجهته. واستراح هناك قبل أن يتابع طريقه.

لم يكن الموت غريباً عن عالمي. لقد نفقت الحيوانات على مرأى مني والطيور بين يدي. أما موت البشر المقربين فكان أمراً عاينته من بعد. وأقرب شخص شاهدته ميتاً كان السيد واتكنز، كبير أعضاء النادي الذي مات وهو في عامه السابع والتسعين.

وذهبت الى دفنه، وكان جدي ترك لي الخيار بعدما قال إن أحداً لن يعتب

عليّ إن لم أذهب، خصوصاً لان السيد واتكز كان من المعارف أكثر منه صديقاً. لكنّ جدّي أضاف أنّ مشاركتي من شأنها أن تترك أثراً طيباً لدى عائلة الفقيد. ولقد ذهبتُ فعلا، تدفعني رغبتي في أن أرى رجلًا ميتاً عن كثب.

ولم أجد هناك ما يثيرني، وإن تكن هواجسي هاجت قليلا. وركعتُ على لوحة خشب أمام سرير الميت وتلوتُ صلاة صغيرة هي أقصر ما أعرفه. ورفعت عينيّ الى السيد واتكنز إذ ظننت أنه ينظر الي، لكن عينيه كانتا مطبقتين. ولكن أقلقني كثيراً أن أرى شفتيه صبغتا بأحمر الشفاه. وخيل اليّ انه بدا كالمغفل.

وأخبرت جدي عن شعوري ونحن عائدان، فقال: "إنها دقائق، يا هيو، تغطي رهبة الموت قليلا. لكنها، كما لاحظت، تدلّ على حماقة".

وقلتُ متلعثماً: "ينبغي أن يأخذ معه وجهه الحقيقي". وأخذتُ افكر في ما تعنيه كلماتي.

وشدّ جدي على كتفي وقال: "سوف تحرص على أن آخذ وجهي الحقيقي معي! اليس كذلك يا هيو؟"

ونظرتُ اليه مشدوهاً. وظلّ يربت كتفي ونحن نتابع طريقنا ويقول: "وجهي الحقيقي... بذلتي الحقيقية... أجل، اني لا اريد بذلة جديدة خاصة للمناسبة. واحرص على أن يضعوا حذائي في قدمي وان لم يظهر".

ورفع يده عن كتفي وراح ينفش شعري ويقول: "ما بالي أضع الهموم على عاتق طفل"؟

لكني أجبته: "لا عليك يا جدي!".

أ- ثمة أمر آخر. لقد ابصرت النور على سرير في البيت. وشاهدتُ اولادي يأتون الى الحياة بالطريقة نفسها. وأني اريد أن اموت على هذا النحو. إنّ الاسرة الغريبة لا تحسن المنية فوقها.

كان ذلك كلّ ما عرفته عن الموت آنذاك. لكني احسسته قريباً، بين الاشجار والظلال، فيما كان جدي طريح الفراش وديكنز بعيداً في المجهول. وخيل الي أن ديكنز لقي موته، وانه أرسل ظله في اثر جدي.

الهرّ

وجد ديكنز سطح مرأب يقضي الليل فوقه، وراح يجر قائمتيه على الالواح الخشبية حتى بلغ الحصى وجثم عليها وقد هده الضنى. وفجأة اجفل على حسّ غريب. ولما لم يتبين شيئاً أمامه، خلد الى الراحة من جديد.

وكان الهرّ أليفاً بالنسبة اليه، وقد حمل جسده ندوباً من معارك سابقة معه خرج فيها منتصراً.

وراح هر اشقر غريب يمشي بتؤدة مثل سيدة حريصة على نظافة ملابسها الانيقة، وقد تشمم رائحة كائن حي في الجوار. وسرعان ما رأى ديكنز تحت ظلمة السماء يطل من حافة سطح المرأب.

وأخذ الهر يرود طريقه الى أن رأى سياجاً يحيط بناية قصيرة. وبلغه بقفزة واحدة تشبه قفزات مهرجي السيرك. وانتفض ديكنز وقد استشعر الخطر الداهم، لكنه لم يستطع مبارحة مكانه.

وظل الهرّ يمشي على السياج حتى

استجمع قواه وقفز عالياً، فاستقر على السطح وراء ديكنز مباشرة. وأحسّ ديكنز الحضور المخيف خلفه. وطار قليلا ثمّ عاد الى مكانه، ومدّ الهر قائمة امامية مفتوحة البراثن الى فريسته. وتحرك ديكنز قليلا الى الوراء، لكنه اصيب في عينه التي سال منها الدم على ناحية رأسه. وزعق ألماً وراح يضرب بجناحيه ويخرمش الجدار وهو يهوي من السطح الى الارض.

وتبعه الهرّ سريعاً وهو يتفحصه بعينيه المتوهجتين. ولاذ ديكنز تحت كومة اخشاب مبللة. وكان المرأب في الداخل احلك سواداً، وملأت رائحة الموقود حنجرة ديكنز ورئتيه. لكنه شعر بالامان، وإن لبرهة.

وسمع ديكنز الهرّ يوسع بمخالبه ثقباً في الجدار. وظلّ الهرّ يموء الى ان فتحت كوة خرج منها.

في روشستر أصيب جدي بنوبة دماغية اخرى ايقظته من النوم وجعلته يطلق صوتاً تردد صداه في اروقة المستشفى.

ورنّ الهاتف في منزلنا قرابة الثالثة فجراً. وسمعتُ حركة والدي وهو يرتدي ثيابه ويهمس في اذن امي ألا تنهض من السرير. ودخلتُ غرفة والديّ. ولما رآني أبي هناك قال بصوت طبيعي أنه لا داعي الى الذهاب معه أنا وأمي.

قال هذا وهو يبتسم لكي يطمئنني. لكنّ ابتسامه جاء واهياً ومغتصباً. ورحتُ أبكي، واخذتني امي اليها وهي في السرير وأخذت تعاملني كطفل ظننتُ أني تجاوزته قبل زمن.

وفي الصباح ذهبتُ وأمي الى المستشفى، ولما رآنا أبي في البهو سار نحونا وقد ثقلت عيناه من قلة النوم، لكنه كان يبتسم. وقال أن جدي ما زال يقاوم على رغم اصابة دماغه بنوبة ثانية.

وجاء الدكتور ساند وانتحى والدي للتحدّث معهما. وتقرر الا يطول بقاء جدي في المستشفى. فهو يحتاج الى عناية خاصة تفوق طاقة المؤسسة. وليس من العملي أخذه الى البيت حيث العناية التمريضية المنزلية تكلف غالياً. ولم يكن عملياً أيضاً حمله الى بيت ابنه، لان امي وأبي يحتاجان الى عملهما أكثر من ايّ وقت مضى. لذلك لم يكن هناك بد من ارساله الى مصحّ خاص. وهذا ما أثار هواجسي على نحو لم أعرفه من قبل طوال مرض جدي.

وسمعتُ معظم ما دار من حديث، وكنت أودّ أن اقول أمامهم جميعاً أني اعتني بجدي، وان اقتضى ذلك ان امسك يده نهاراً وليلا لئلا يضيع مني.

وأخيراً دخلنا الغرفة كي نراه، وكان متكئاً على وسائده في ذلك الوقت الباكر من الصباح. واتجهت عيناه اليّ كما لو شاء ان يذكرني بعهد قطعته على نفسي.

وإذ أتذكر تلك المرحلة، أرى أن اعظم ما يميز الانسان هو قطع الوعود وحفظها. وربما كانت العهود والمعاهدات برهاناً لغلبة الانسان على تقادير الحياة.

أجل، لقد قطعتُ عهداً على نفسي بيني وبين جدّي.

بعدما علمتُ ان القرار اتخذ حول نقل جدي، فور ابلاله من النوبة الثانية، ليس الى بيته أو بيتنا بل الى مكان غريب يتمّ فيه تمريضه، انتابتني كآبة ثقيلة وجفاني النوم.

ولم أتفوّه بكلمة واحدة في طريقنا الى المنزل، بل جلستُ بين أمي وأبي في مقعد السيارة الامامي. ورفعت أمي منديلا الى فمها لتتقي البكاء. لكنّ عينيها كانتا جافتين وهي تنظر الى المنازل على الطريق.

وتكلم أبي قليلا، بعبارات قصيرة، عن امور سبقت معالجتها، وحاول أن يقنع نفسه بأن المصح هو خير مكان لجدي في هذه المرحلة.

ولدى بلوغنا البيت أحضرت أمي القهوة لها ولابي وكوباً من الحليب لي. غير أننا جلسنا هناك من غير أن نمد يداً الى شيء. وبدا الارهاق والضياع في عيني أبي، بينما بدت أمي كأنها كفت لتوها عن نوبة بكاء. وأمراني أن اذهب الى السرير.

وسرعان ما سمعتهما يستعدان للنوم. وانتابني ألمّ شديد لان ثمة عجوزاً يخصني لا سرير له يأوي اليه.

وتوجه والداي الى مخدعهما. وعرفتُ من صوت السرير أنهما غير قادرين على النوم، مثلي أنا. وبعد برهة سمعتُ بكاء خفيفاً. وارتعدتُ إذ عرفتُ أنه صادر عن ابي، لا عن أمي. وما لبثا أن اغلقا باب الغرفة بهدوء.

وسمعتُ ساعة الحائط في غرفة الجلوس تدقّ مؤذنة بمرور الوقت. ولما بلغت الرابعة فجراً، نهضتُ وارتديتُ ثيابي على مهل. ولبستُ المعطف والقبعة ونزلتُ على رؤوس اصابعي وأنا أسير في محاذاة الجدران لئلا يسمع حسي. ومع تباشير الضوء الاولى الضعيفة في الشرق، خرجتُ من المنزل واتجهت الى بيت جدي حيث كانت عربتي الحمراء.

وربما نهض ديكنز في تلك اللحظة عينها وقد تسللت بعض خيوط النور عبر الواح المرأب الخشبية. وشقّ طريقه من جديد الى الفضاء وهو يغالب النعاس والارهاق ويصرّ على العودة الى البيت. ولم يفارقه الالم وهو يحلق في أعالي الفضاء مستهدياً بحسه الداخلي.

أما أنا فتابعتُ طريقي عبر شوارع البلدة المظلمة، اجرّ العربة ورائي. وكانت احدى عجلاتها تصدر صوتاً حاداً كما الطيور. واتجهتُ نحو المستشفى وأنا أخاف أن يراني أحد، فيتساءل عن الغاية التي ينشدها فتى في العاشرة في هدأة الصباح الباكر، ثم يوقفني ويأخذني الى البيت. الا أني لم أصادف أحداً في طريقي. وخُيّل اليّ أن كل من في البلدة نائم ما عدا اثنين: أنا وجدّي الذي ينتظرني وهو لم يذق طعم الرقاد في سرير غريب.

ودخلت المستشفى من حديقته الخلفية. وتركتُ العربة الحمراء تحت اغصان شجرة قيقب منخفضة وتابعتُ طريقي في الممرّ الصامت. ووقفت تحت نافذة جدي التي كانت مغلقة الستائر. لكنني عرفتُ أنه هناك، وأن وجهه على النافذة. وقفزتُ الى حوض الازهار وحاولتُ فتح النافذة، لكنها كانت مقفلة، ونقرت الخشب منبهاً جدي الى حضوري.

ورأيتُ مدخلا جانبياً الى المستشفى، وكنتُ أعرف انه يؤدي الى البهو الذي يفضي الى غرفة جدي. الا ان الباب هناك كان مقفلا ايضاً. وعدت الى الحديقة حيث تركت العربة، ووضعتها بين الاشجار قرب المدخل.

ولم أشاهد احداً هناك. لكنّ ردهة المستشفى كانت مضاءة وفيها امرأة ذات ملابس بيضاء تجلس وراء طاولة. وبدت متبرمة وهي تكتب على دفتر امامها وتنظر الى ساعة الحائط. وما لبثت ان وضعت القلم وحملت حقيبتها وأسرعت عبر باب خلفي.

وإذ ذاك تسلّلتُ من الباب الامامي الى البهو. وكان حذائي المطاطي يصدر اصواتاً خشيتُ أن يسمعها احد. ونظرتُ أمامي عبر زجاج باب فاصل، فوجدت المكان خالياً. وفتحت الباب بهدوء وتابعت طريقي. وفتح باب جانبي، فاختبأت تحت تجويف في الجدار يؤوي براداً للماء. وكانت هناك فسحة تكفيني.

وابصرتُ ممرّضة مكبة على لائحة في يدها وهي تسير عبر ممر جانبي. وخرجتُ من مكاني ومشيتُ بحرص الى حيث تلتقي الممرات، وشاهدتُ الممرضة جالسة وهي تقرأ اللائحة تحت نور مصباح خافت. وعبرتُ في لمح البصر الى الممر الذي تقوم فيه غرفة جدّي، ودخلت الغرفة.

كان مضطجعاً في سريره وظهره يواجه الباب وهو ينظر الى النافذة، واقتربتُ من ناحيته، فوجدتُ عينيه واهيتين. ورفع يده اليمنى من تحت الاغطية ومدها اليّ. فأخذتُها وأنا أبتسم أو أحاول الابتسام.

ورفعتُ الغطاء عنه، فبرز جسده القويّ وقد تضاءل بفعل المرض. وحاول أن يُدني قدميه الى الارض ويجلس منتصباً، لكنه لم يَقوَ على ذلك. ووضعت ذراعه على كتفي وركعت ارضاً حتى بات جسمه يغطيني. وكدنا ان نسقط معاً. غير أننا تقوينا واسترحنا قليلا عند حافة السرير. وكانت الخطوة التالية احضار العربة الى الغرفة.

وسألتُه: "أيمكنك ان تبقى كما أنت دقيقة واحدة يا جدي؟"

وهزّ رأسه موافقاً. ورأيتُ عضلة تتحرّك عند فكه، وهي في العادة تسبق أي جهد يستعدّ لبذله سواء أكان كبيراً او صغيراً.

واسرعتُ عبر البهو بعد تأكدي من أن الممرضة ليست هناك، وخرجت من الباب الجانبي الذي انفتح بسهولة، وحملت العربة الى الداخل، حيث اصدرت عجلاتها صريراً قوياً بين الجدران. ورفعتها بين يديّ وعدت الى غرفة جدي الذي كان حيث تركته، ثابتاً كصخرة.

ووضعتُ العربة تحت قدميه. ووجدت صعوبة في الباسه رداء الحمام. لكنني افلحتُ في ذلك الامر، وأتبعتُه بوضع الحزام المزين بشرابة حول خصره، ثمّ بادخال جوربين وخفّين في قدميه. ونظرتُ اليه وانا ابتسم كي اطمئنه الى أنّ الامور تتمّ على أفضل حال. وبادلني بضحكة كبيرة، فضحكتُ أنا ايضا أمام تلك المغامرة التي كنا على وشك استهلالها.

حانت المرحلة العسيرة من العملية. وأعنتُ جدّي على إنزال قدميه الى

الارض عن ذلك السرير المرتفع. ووضعتُ ذراعيه حول كتفيّ، وأخذتُ نَفَساً عميقاً قبل ان أُنزل ثقله عليّ. وبعد جهد ملحوظ امكنني ان أضعه على مقعد العربة.

وهمستُ في اذنه: "اثنِ ركبتيك يا جدّي." وكان العَرَق يتصبب من أنحاء جسمي. ولو كنت ألهو وجدّي، لكنتُ ضحكتُ طويلا على ركوبه عربة أطفال. غير ان المسألة كانت بعيدة جداً عن المزاح. ونظر اليّ وهو فخور بما أنجزناه معاً.

وحاولتُ ان اثبته اكثر في مكانه، لكنّ العربة كانت تتحرّك وحدها الى الامام. ووضعتُ وسادة بين العجلات كي اوقفها، ثم رفعتُ رجليه حتى باتت ركبتاه على مستوى ذقنه. ووضعتُ يديه على جانبي العربة. وتشبث بأرضية العربة وناحيتيها، وعضلات خدّيه تتسارع بفعل الجهد الذي يبذله.

وجررتُ العربة الى الباب. وإذ لم أجد احداً في الخارج، تابعتُ طريقي عبر البهو وقد خفت صوتُ العجلات بسبب الثقل. وفي لحظة فتحت الباب وأغلقتُه من غير أن يراني أحد.

وكانت الشوارع مظلمة وأنا اجرّ العربة نحو بيت جدّي الذي يبعد كيلومتراً ونصف كيلومتر. وأخذ الظلام ينجلي وينقشع عن الاشجار. وكنت أرى سيارة تمرّ بين وقت وآخر. الا ان احداً لم يتوقف ليسأل ماذا يفعل صبي مع عجوز بثياب حمّام وفي عربة اولاد عبر الشوارع الخالية.

وتابعت طريقي مجهداً والعجلات تتابع صريرها الرّتيب، وقد فاحت رائحة الصباح وباشرت العصافير الصُّداح. ووصلنا الى المنزل القائم عند ضفة الساقية التي تصبّ في نهر جينيزي. وبلغ مني الضّنى مبلغاً لم أعرفه قبل ذلك الحين.

وراح جدّي ينظر اليّ وقد اختلطت مشاعر الشفقة لديه بمشاعر الفخر والاعتزاز. شاهدتُ ذلك في عينيه وأنا آخذ مفتاح الباب من حوض الزهر تحت النافذة. وفتحتُ الباب وجَرَرتُ العربة الى غرفة الاحذية ثمّ الى المطبخ وغرفة الجلوس، ووقفت عند أسفل السلم المؤدّية الى فوق. وطفر الدمع الى عينيّ وانا افكر في طريقة حمل جدّي الى غرفة نومه في الطبقة الثانية.

ونطق جدّي بمشقة، ففهمتُ ان السرير يكفيه، وان الغرفة نفسها ليست غايته. وتسلقتُ السلم ورفعتُ الفراش عن السرير، وعدتُ به الى أسفل، الى الشرفة الصيفيّة المسقوفة. وصعدتُ مرة اخرى لاحضار الاغطية والوسائد. وبعد ترتيب الفراش كما ينبغي، جررتُ العربة اليه.

ولم يكد جدّي يرى فراشه حاضراً حتى نهض من العربة وسقط فوقه. عندئذ أدركتُ الألم الذي عاناه طوال الطريق في تلك العربة الصغيرة. وحرّكتُه برفق حتى صار في وسط الفراش وهو يحرّك يديه ورجليه مثل سرطان بحري. وألقيتُ رأسه على الوسائد ورفعتُ الشعر الضئيل عن عينيه، فيما رفع هو يده علامة الشكر. ووضعتُ يدي في يده، فشدّ عليها بما بقي له من قوّة واهية.

وتدفق الدمع من عينيّ بعد انحباس طويل. وقبل ان ادير ظهري

نظرتُ الى جدّي لأقرأ الرضا العميق في عينيه وهو يطبقهما. وهرعتُ الى حيث الحمَام ودمعي ينهمر مدراراً. وبقيت أشهق وأبكي كطفل وانا اتكىء على بيت الحمام وقد ملأتني ذكريات حبيبة عن تلك الطيور. وبعد قليل مسحتُ دموعي استعداداً لاطلاقها.

وسرّحتُ النظر في بيت جدّي، وأدركتُ انه سيعيش في امان هناك الى ان تحين منيّته. وعلت الشمس فوق المدخنة ودخلت اشعتُها عيني وانا فخور جداً بما فعلت. ثم أدرتُ نظري ناحية السماء الغربية.

وفي البعيد شاهدتُ نقطة قاتمة تتحرّك عبر الفضاء. وأخذت تكبر وتكبر وهي تشق العباب الازرق. وفي الوقت نفسه أحسستُ قلبي يكبر.

وسمعتُني أصيح: "آه يا جدّي! انظر! انظر!"

وما انفكت تلك النقطة تكبر وسط الفضاء بلونيها الابيض والازرق القاتم.

وصرختُ مرة بعد اخرى: "ديكنز! ديكنز!"

إنه ديكنز نفسه عاد الى البيت. لقد خسر المباراة، لكنه أكمل السباق حتى نهايته.

هذه حقاً قصة تلك المباراة كلها وذكريات الايام الحاسمة التي شهدتها السنة العاشرة من عمري.

اما جدّي فمات على سريره ضمن منزله، في غرفة النوم فوق حيث وُلد أطفاله وماتت زوجته. وقد توفي بعد ايام قليلة من عودة ديكنز الى البيت.

وعاش ديكنز اشهُراً قليلة بعد ذلك، ثم استسلم للجروح التي عاناها في رحلته البطولية تلك وقد استنزفت قواه... لقد مات في بيته هو ايضاً.

■ ر. رايت كامبل

اعمار الحيوانات

جمع مدير حديقة الحيوان في هلسنكي، عاصمة فنلندا، قائمة بمتوسط أعمار عشرات الحيوانات اللبونة والاسماك والطيور والزحافات. وفي ما يأتي نموذج عن اطول الاعمار المسجلة:

□ الثدييات: الفيل ٧٥ سنة، الحصان ٥٥، البرنيق: ٥٤، الشمبانزي ٥١، وحيد القرن ٤٨، الدب ٤٧، فقمة غرينلاند ٤٢، الغوريلا ٤٠، قرد الاوران ـ اوتان ٣٧، الثور الامريكي (البيسون) ٣٣، السعدان ٣٣، النمر ٣١، الاسد ٢٩، الزرافة ٢٨، الخفاش الكبير ٢٥ والخفاش الصغير ١٥.

□ الاسماك: السلور ٦٠ سنة، الكراكي ٥٠، الشبوط ٥٠ والقد ٢٥.

□ الطيور: الببغاء ذو العرف (الكوكاتو) ٦٩ سنة، الغراب ٦٩، البومة ٦٨، النسر الامريكي (الكندور) ٦٥، النعامة ٦٠، البجع ٥٢ والغرنوق (الكركي) ٤٣.

□ الزحافات: القاطور (التمساح الامريكي) ٦٢ سنة، العظاءة العمياء ٥٤، تمساح النيل ٥٠، ثعبان الاصلة ٣٤ وأفعى الاناكوندا ٣٢.

ويضيف التقرير أن سلحفاة مدغشقر وجزر الغلاباغوس قد تعمر حتى المئتين. وهذا يعني أنها الوحيدة بين الحيوانات التي تفوق الانسان عمراً، علماً أن العمر الاقصى المسجل للانسان هو ١١٠ سنين.

صحيفة "ديلي اميركيان"، روما

SUPER 23 JEWELS SERIES

5

فـــاخـــرة وممـــيّـــزة

نخبـة النخـبـة ، مجموعة
سيكو"٥" الرجالية الممتازة ذات الـ٢٣ حجرًا

فاخرة بأحجارها الثلاثة والعشرين ودقة حركتها . مميزة بتصميمها الأنيق وقيمتها الفريدة . تلك هي مجموعة سيكو"٥" الممتازة للرجل الذي يحسن الاختيار .

• أوتوماتيكية • ضد الماء • روزنامة باليوم والتاريخ
• مقاومة للصدمات • تصميم متفوق



